تاريخ المغرب الإسلامى

الدكتور

مدحت محمد عبد الحارث

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية

الآداب – جامعة جنوب الوادى

٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

كان من الضروري القيام بهذه الدراسة التي تخص اقليم بلاد المغرب الإسلامى ، الذي شكل اقليما واضحا محددا من اقاليم الدولة العربية الإسلامية ، والذى له دوره السياسي والفكري والحربي والاقتصادي على امتداد التاريخ الإسلامى ولا تزال لبلاد المغرب أياد بيضاء فى استمرارية الحضارة الإسلامية ومسايرة التطور الحضاري الانساني، وابراز دوره التاريخى فى نقل والحضارة الإسلامية إلى الجانب الغربي (أوربا) حيث اجتازت قبائل البربر بالإسلام إلى أوربا ونقلت الإرث الحضاري للإسلام أليهم ، وترمي هذه الدراسة تتبع مراحل التاريخ الإسلامى لبلاد المغرب، وتتبع أثر لأوضاع الأحداث العامة في الدولة العربية الإسلامية وبيان أثرها على بلاد المغرب

هذا وقد جاء الكتاب مرتباً على خمسة فصول:

الفصل الأول:- تناولنا فيه تاريخ المغرب العربي قبل الفتح الإسلامي.

الفصل الثاني:- الفتح الإسلامى لبلاد المغرب .

الفصل الثالث:- تناول وعصر الولاة، وعصر الدويلات المستقلة

الفصل الرابع:- عصر المرابطين

الفصل الخامس:- عصر الموحدين .

والله ولي التوفيق

د. مدحت محمد عبد الحارث

الفصل الأول

المغرب العربي قبل الفتح الإسلامي

أولاً:ـ مصطلح وحدود وجغرافية بلاد المغرب

ثانياً: سكان بلاد المغرب

ثالثاً : الحياة الدينية لبلاد المغرب

أولاً : مصطلح وحدود وجغرافية بلاد المغرب :

نجد خلافا بين المؤرخين والرحالة والجغرافين فى تحديد مدلول ومصطلح بلاد المغرب، فعرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور التاريخية بأسماء مختلفة، فقد أطلق الفنيقيون(١) على كل من سكن حول مدينة (طاقة أو أتيكا)(٢) اسم (إفرى Aphri)(٣) ويعتقد البعض أن هذه التسمية مشتقة من اسم احدى القبائل الليبية وهى قبيلة أفرى التى ما زالت موجودة فى تونس، وعنهم أخذها اليونانين والروم فأطلقوهاعلى جميع سكان المغرب ابتداءً من غرب مصر حتى بحر الظلمات، وتطور الأمر إلى أن أصبح الإسم يطلق على القارة بأسرها(٤)، وقد أطلق اليونانيين على بلاد المغرب كذلك اسم(ليبوأو ليبيا) هو الجزء الذي يسكنه العنصر الأبيض، وكانت معروفة عند الأمم القديمة بهذا الإسم، وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحابش والسود، وقيل أن للفظة إفريقية (Africa) نفس المدلول الذى كان لكلمة ليبيا، فأستعملت روما لفظة افريقية للدلالة على المقاطعة الموافقة لشمال شرقى البلاد التونسية، ثم أصبحت كلمتا إفريقيا وليبيا فيما بعد

---

(١) الفينقيون : من القبائل العربية التى هاجرت إلى منطقة الهلال الخصيب فى الألف الثالث قبل الميلاد وتعد من القبائل السامية ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الموطن الأول لها هل هو نجد أو البحرين والسواحل المقابلة لها أو من الأجزاء الجنوبية أى من اليمن ، فهم من شبه الجزيرة العربية عموما، وأن جزءاً منهم استقر فى الساحل السورى للبحر المتوسط ، وعرفوا بإسم الفينقيين ، وهم يمثلون امتدادا كنعانيا إلى لبنان، فينيقيا اسم مشتق من الكلمة اليونانية Phoinix ، أى الأحمر الأرجواني نسبة إلى صناعة الصباغ الغالبة عندهم ، اشتهرالفينيقيون في العالم القديم في مجال المالحة والكتابة،وأسسوا مستعمرات كانت بمثابة مراكز تجارية عظيمة وسط البحر المتوسط وغربه، وانتشروا فى شمال أفريقيا بدءاً من طرابلس فى ليبيا وانتهاء بطنجة فى المغرب ، وكانت قرطاجنة أكبر مستعمراتهم . لمزيد من التفاصيل أنظر : إبراهيم محمد بيومي مهران : المالحة الفينيقية في جزر البحر المتوسط، حولية الإتحاد العام للأثريين العرب " دراسات فى آثار الوطن العربى" العدد ١٥، ص ١-١٠؛ ماجد على أحمد : الفينقيون فى شرق وغرب البحر المتوسط ، مجلة العدد ٥٧، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) أتيكا:بمعنى القديمة تميزا لها عن قرطاجنة بمعنى الحديثة ، وتعد أقدم مستعمرة فينقية فى الشمال الإفريقى ، وقد أسسها الصوريون حوالى عام (١١٠٠ ق.م) وكانت تقع على مرتفع من الأرض عند مصب نهر " بغراداس" أهم أنهار تونس . ماجد على أحمد : الفينقيون فى شرق وغرب البحر المتوسط ٤٩٦ .

(٣) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٧٤م، ص١-٢ .

(٤) سالم : السيد عبد العزيز، المغرب الكبير، القاهرة،١٩٦٦م،ج٢، ص١٢٥؛ عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، دار الخليج للنشر والتوزيع، ص١٥ ؛ عبد العزيز عبد الفتاح حجازى: روما وأفريقيا ،مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧م، ص٢٠.

تعنيان القارة كلها[١]، وقسمها الجغرافيون من الإغريق واللاتين خمسة أقسام، الأول ليبيا ويشمل (طرابلس[٢] – وبرقة[٣]) وإفريقية تشتمل(على (تونس الحالية)، ونوميديا ويشمل (غرب تونس، وقسنطينة من أعمال الجزائر)، وموريطانية الشرقية ويضم (الجزائر وجزء من مراكش)، وموريطانية الغربية وتشمل (مراكش[٤] إلا جزءا من شرقه وتنتهى غربا حتى المحيط الأطلسى)، بعد الحروب البونية[٥] وتحويل قرطاجنة[٦] إلى ولاية رومانية سنة (١٤٦ق.م) وحل الرومان محل الفينقيين فى شمال إفريقيا وقسموها إلى ثلاث ولايات وهى : افريقية (المغرب الأدنى)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ج١، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٩م، ص٦١ ؛ شارل أندرى جوليان :تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامى ، ترجمة : محمد مزالى ، البشير بن سلامة مؤسسة ثاولت الثقافية ٢٠١١م، ص٧ .

(٢) مدينة طرابلس : فهى من عمل افريقيّة وهى مدينة مبنيّة من الصخر على ساحل بحر الروم خصبة واسعة الكورة حصينة جدّا ، وفيها مرسى عظيم، فيه ألف مركب، وأهلها من قريش، نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان وبها أشجار تين وزيتون ،وبها قرى كثيرة، وبينها وبين القيروان، مسيرة ستة أيام. الاصطخري : المسالك والممالك ،دار صادر، بيروت٢٠٠٤ م، ص ٣٨؛ إسحاق بن الحسين المنجم :آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان،عالم الكتب، بيروت١٤٠٨ هـ، ص٩٦.

(٣) برقة : مدينة كبيرة قديمة بينها وبين البحر ستة أميال، افتتحها عمرو بن العاصي ﷺ سنة (٢١هـ/ ٦٤١م)، فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٩١.

(٤) مراكش : بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة: أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البرّ الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة ٤٧٠، وكان موضع مرّاكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، كان إذا انتهت القوافل إليه قالوا مراكش معناه بالبربرية أسرع المشي، وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار حتى جلب إليها ماء يسير من ناحية أغمات يسقي بساتين لها، وكان أول من اتخذ بها البساتين عبد المؤمن بن علي. ياقوت الحموى : معجم البلدان ،ط٢، دار صادر، بيروت١٩٩٥ م،ج٥، ص٩٤.

(٥) الحروب البونية : البونية كلمة استقاق لاتينى تعنى الفينقيين، أطلقت على الحروب التى خاضتها قرطاجنة ضد الرومان للحفاظ على مصالحها داخل البحر المتوسط ، وهى ثلاثة حروب الحرب البونية الأولى بدأت منذ عام (٢٦٤-٢٤١ ق.م) وكانت الغلبة لروما وتمكنوا من السيطرةعلى جزيرة صقلية واستولوا على جزيرتى سردينيا وكورسيكا ، والحر البونية الثانية استعرت منذ (٢١٨- ٢٠٢ق.م) وفيا استطاع القائد القرطاجى هانيبال من العبور لأسبانيا واجتياز جبال الألب وجنوب أوربا واستطاع هزيمة الرمان فى عدة معارك إلا أن نقص القوى البشرية وقلة المؤن العسكرية كانت سبباً لهزيمته فى النهاية ، والحرب البونية الثالثة دارات رحاها فى الفترة الواقعة بين (١٤٩- ١٤٦ق.م) وذلك عندما حاول القرطاجيون استعادة قوتهم ، وانتهت بإحتلال الرومان مدينة قرطاجنة وتدميرها . نجاة سليم محاسيس : معجم المعارك التاريخية، دار زهران ، الأردن٢٠١١م، ص١١٨؛ آلان ستيفنز ونيكولا بيكر ، ترجمة أدهم وهيب مطر منطق الحروب وإستراتيجيات القرن الحادي والعشرين، دار رسلان ، سوريا ٢٠٢٠م،ص ١٠٧.

(٦) قرطاجنة :اسم قرطاجنة أو قرطاج مركب من كلمتين " قرت" ومعناها القرية أو المدينة ، و"حدشت " ومعناها الجديدة ، إذن قرطاج معناها المدينة الجديدة ، إبراهيم محمد بيومي مهران : المالحة الفينيقية ،ص١٠ .

نوميديا (المغرب الأوسط) موريتانيا (المغرب الأقصى)، وفى سنة (٤٢م) قسمت موريتانيا إلى ولايتين هما موريتانيا القيصرية وتشمل الجزء الغربى من الجزائر وأهمها منطقة وهران ، ومريتانيا الطنجية وهى عبارة عن المثلث الشمالى من المغرب الأقصى[١] ، **فالتطور فى مدلول ومصطلح بلاد المغرب خضع للتطورات التاريخية**، وقد استندت هذه التسمية إلى حقائق اجتماعية واقتصادية وجغرافية ،وعوامل تاريخية موغلة في القدم تمخضت عن وحدة الفكر والتراث والهدف والمصير[٢] .

فمع بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب أطلق القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه [٣] تسمية (إفريقية) على البلاد التى تقع غرب مدينة طرابلس ، وذلك حين كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه فى مواصلة الفتوحات للغرب بقوله : ((إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين افريقية إلا تسعة أيام)[٤]، واسم افريقية ليس عربياً فالمسلمون أخذوه عن البيزنطيين فأستخدموه بنفس دلالته ولكنهم اختلفوا فى تفسير الإسم[٥] .

---

(١) عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب ،ص١٥.

(٢)عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، الرباط،١٩٦٣م،ج١، ص٧.

(٣)عمرو بن العاص :هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو، أمه سلمى بنت النابغة، من بني جلان من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. يكنى أبا عبد الله، وَلاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاسِلِ ، قدم مصر فى الجاهلية للتجارة،وكان أمير جيش المسلمين فى فتح مصر، وولى على مصر من سنة عشرين إلى مقتل سيدنا عمر. وولى بعد سيدنا عمر لسيدنا عثمان بن عفان، حين انتقضت الإسكندرية. وولى- أيضا- لمعاوية بن أبى سفيان من ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين، مات وهو ابن تسع وسبعين سنة بمصر يوم الفطر سنة اثنتين، ويقال: ثلاث وأربعين، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ أَبُوهُ اسْتَخْلَفَهُ. خليفة بن خياط : الطبقات ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر ١٩٩٣ م، ص٦١؛البخارى : التاريخ الأوسط،تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، مكتبة دار التراث- حلب ، القاهرة ١٩٧٧، ج١، ص١٢٤؛ العجلى الكوفى : تاريخ الثقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية١٩٨٥م، ج٢،ص١٧٨؛ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢١هـ، ج١، ص٣٧٤.

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥ هـ، ص١٩٩.

(٥) فأبن الحكم نسب افريقيا إلى سكانها الإصليين متفقا مع الفينقيين، وزاد على ذلك وجعل نسبهم إلى جد يدعى " فاروق بن بصير " قد حاز لنفسه الأرض من برقة إلى افريقية، ويختلف ياقوت الحموى وابن أبى دينار عن ابن الحكم فى تفسيره لإسم افريقيا ، فاياقوت الحموى وابن دينار كلاهما يتفق فى أن (افريقية سميت بذلك لانها فرقت بين مصر والمغرب) ، وتم استخدام اسم (لإفريقية والمغرب) بدلالة واحدة من قبل كتاب الفتوحات ، إلى أن حدث التمايز بين الإسمين ففى عصر الولاة فى المغرب استخدم اسم افريقية بدلالة ادارية وسياسية تختص بشئون الحكم والولاية ، وأطلقوها على كل ما يلى طرابلس غربا ، ثم انحصرت تسمية إفريقية مع مرور الوقت

وجعل ابن منظور لفظ الغرب والمغرب هو ما يقابل الشرق والمشرق[١]، وجعل البعض لفظ بلاد المغرب يشتمل على بلاد شمال افريقيا، واختلف كذلك الجغرافيين والمؤرخون المسلمون فى تحديد بلاد المغرب، فجعل البعض لفظ بلاد المغرب يطلق على بلاد الشمال الإفريقى بالإضافة إلى الأندلس[٢] وجميع البلدان الإسلامية فى حوض البحر المتوسط الغربى مثل (صقلية[٣]، وجنوب إيطاليا ، وجزيرتى سردانية[٤] وقورسيقا[٥]، و جزر البليار أو الجزائر

واطلق على مدينة تونس .ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص١٩٩؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج١، ص٢٢٨؛ ابن أبى دينار ك المؤنس ، ص١٦- ١٧؛عطية مراجع محمد عمر : إفريقية فى كتابات الرحالة والجغرافيين المشارقة فى القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادى عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى ٢٠١٨م، ص ١٨ -١٩.

(١) ابن منظور : لسان العرب، ط٣، دار صادر - بيروت١٤١٤ هـ، ص ٦٣٧.

(٢) تقعُ شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية فى الجنوبِ الغربيِ منَ القارةِ الأوربيةِ تفصلها مِنَ الشمالِ عن جنوبِ فرنسا جبالُ أَلبرت أو البرتاب (Pyrenees) ويفصلها عِن الجنوبِ حدوداً للقارة الأوربية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذى يبلغُ عرضه من الشرقِ إلى الغربِ ١٣-٣٧ كم، وتقعُ سواحلُها الشماليةِ والشماليةِ الغربيةِ على المحيطِ الأطلسى عندَ خليج بسِقايه (Biscay) وتقع سواحلها الغربيةِ على المحيط الأطلسى، وتقع سواحلها الشرقيةِ والجنوبيةِ الشرقيةِ على البحِر المتوسط ويسمى بالبحِر الرومى أو البحر الشامى أو بحرِ تيران وجزيرةُ الأندلسِ محاطةٌ تماماً بمياهِ البحرِ المتوسطِ والمحيطِ الأطلسى باستثناءِ شريطِ ضيقِ فى الشمالِ يبلغ عرضه أقل مِنْ ثلاثمائة ميل ويتصلُ بالحدودِ الجنوبيةِ لفرنسا حيثُ تُقعُ جبالَ البرنيه التى جعلتْ إسبانيا منعزلةً تماماً عَنْ أوربا.عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، ط٢ ، دار القلم ، دمشق بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥ ، ٣٦ ؛ حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ط٢،مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨١؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، دار المنار للنشر والتوزيع، دمشق٢٠٠٣م، ج١، ص ٨٨ ..

(٣) صقلية : بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وهى من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل ، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان ، وهى أكبر جزر البحر المتوسط ، حيث يبلغ طولها سبعة أيام وعرضها خمسة أيام، وفتحت في سنة اثنتي عشرة ومائتين، فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان، بعث إليها أسد بن الفرات. الاصطخري : المسالك والممالك، ص٥١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦، ٤١٧؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٣٦٧.

(٤) جزيرة سردانية : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وبعد الألف نون مكسورة وياء آخر الحروف، جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً، وهم في الأصل روم ، وجزيرة سَرْدِينِيَة؛ ثانى أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط من حيث الحجم بعد جزيرة صِقِلِّيَّة، وتقع بين إيطاليا، وإسبانيا،وتونس، وجنوب جزيرة كورسيكا، وقد غزاها المسلمون عِدَّة غزوات ، فقد ذكر الذهبي في العبر أنها فُتِحت سنة سبع وثمانين، وأرسل إليها موسى بن نصير جيشاً في سنة اثنتين وتسعين، ،و غزاها أسد بن الفرات رحمه الله تعالى، وكاد أن يفتحها، وفى سنة (٣٢٣هـ) غزاها يعقوب بن إسحاق بأمر من المنصور بن القائم العُبَيْدِي. ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩ ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٥) جزيرة كورسيكا : هي بالقرب من سردانية، ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه بإسم قرسقة وبينها وبين ساحل إفريقية نصف يوم ، فهى تقع غربي إيطاليا، وشمال جزيرة سردينيا بنحو ١٤ كم، وهي الرابعة من حيث

الشرقية[١] (ميورقة، ومنورقة يابسة)، وكذلك الصحراء الكبرى ، والقلة منهم جعل مصر من من ضمن تقسيم بلاد المغرب[٢] ، **فالجغرافيين العرب عموما كانوا يتخذون من جزيرتهم أسأساً ينسبون إليه الإتجاهات الأصلية**، وقد ظهر ذلك واضحا فى كتاب الإصطخرى[٣] (مسالك الممالك) حيث بدأ مصنفه بديار العرب[٤]، وصار على نهجه ابن حوقل[٥] فى كتابه (صورة

المساحة في المتوسط بعد صقلية وسردينيا وقبرص ، وبينها وبين ساحل تونس أربعة أيام، طولها مائة وستون ميلاً، وهي كثيرة الخير وافرة النعم، وقد غنمها المسلمون أيام عبد الرحمن بن الحكم، وآبارها قريبة، وأن الجزيرة كانت عُرْضَةً لغزوات المسلمين في عهد خلافة بني أمية، وعهد الإمارة الأموية بالأندلس، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ص ٤٥٥.

(١) الجزائر الشرقية : هي عدة جزر تقع أمام الساحل الشرقي لأسبانيا وأهمها ثلاثة جزر هي : ميورقة majorca ومنورقة minorca ويابسة ibiza وتسمى في المصادر العربية بالجزر الشرقية، خضعت لنفوذ قرطبة سنة (٢٣٤ هـ /٨٤٨م) في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط الأموي غير أنها لم تضم نهائيا بواسطة عمال الدولة الأموية بالأندلس إلا منذ سنة (٢٩٠هـ /٩٠٢م) حينما أرسل إليها الأمير عبدالله بن محمد قائده عصام الخولاني حاكما عليها وظلت في يد المسلمين إلى أن احتلها ملك أراجون خايمى الأول (٦٢٨-٦٨٦هـ/١٢٣٠-١٢٨٧م) . الحميرى : الروض المعطار، ص٥٤٩، ٥٧٦،؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٦، ص ٤٣٨؛ عصام سالم : جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملاين، بيروت١٩٨٤، ص١٥- ١٨.

(٢) عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص١٥.

(٣) الإصطخرى : إبراهيم بن محمد الفارسي ، أبو القاسم الإِصْطَخْرِيّ الكرخي، جغرافي، رحَّالة، يعود أصله إلى إصطخر التي نشأ بها، وهي مدينة تقع جنوب إيران وهي واقعة في الشمال الشرقي من شيراز، على بعد ٣٥ ميلاً منها في الطريق إلى إصفهان، عاش في النصف الأول من القرن الهجري الرابع الموافق العاشر الميلادي، جاب بها البلدان، ودخل الهند سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م، قدَّم الإِصْطَخْرِيّ صورة لجميع الأرض، واقتصر على وصف العالم الإسلامي، وقسَّمه إلى عشرين إقليماً، أورد الإِصْطَخْرِيّ عن كل بلد معلومات تتعلق بحدوده ومدنه والمسافات وطرق المواصلات، وذكر تفاصيل متفرقة عن المحاصيل والتجارة والصناعة، وعن أجناس السكان، وهذه التفاصيل تتعلق بالبلدان والأقطار التي زاراها، ومن مؤلفاته صورة الممالك ، ومسالك الممالك، توفى سنة (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) . الزركلى : أعمال الأعلام ، ط١٥، دار العلم للملايين٢٠٠٢ م، ج١، ص٦١؛ عمر رضا كحالة :معجم المؤلفين، مكتبة المثنى -دار إحياء التراث العربي بيروت ، ج١، ص ١٠٤.

(٤) الإصطخرى : المسالك والممالك، دار صادر، بيروت٢٠٠٤ م ،ص١٢.

(٥) ابن حوقل :هو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل ، ولد بنصيبين بالجزيرة، ولم يعرف تاريخ مولده، وعمل بالتجارة بالموصل فترة من الزمن، وطالع كتب ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر والجيهاني، فزاد شغفه بحب الرحلة والترحال، فعزم على السفر لتجول البلدان من ناحية ولتحصيل الرزق من ناحية أخرى، بدأ رحلته لسبع خلون من شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة، فظل يجول بين البلدان لأكثر من ثلاثين عاما، (فوصل نهر السند شرقا حتى المحيط الأطلسي غرباً، و دخل بلاد البلغار ووصل إلى أواسط نهر الفولجا ،وتجول بن حوقل بأقطار المغرب العربي والأندلس وقد عاش ابن حوقل سنوات طويلة في قرطبة على عهد عبد الرحمن الثالث وانعكس ذلك فيما أورده من معلومات وافية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس. ، أشهر مؤلفات ابن حوقل، كتاب (المسالك والممالك)، نسبة إلى كتاب الأصطخري الذي أعاد النظر فيه، وهناك تسمية أخرى تعرف باسم (صورة الأرض)، انتهى ابن حوقل من تأليفه حوالي سنة ٣٦٦هـ، وتحدث فيه المسافات، وصفات الأبحار والأنهار، وخواص البلاد، وذكر جباياتها وخراجاتها، ومستغلاتها وتجاراتها ،و وبقى حيا الى

الأرض)[١] وكذلك المقدسى[٢] فى كتابة كتابه (أحسن التقاسيم) حيث بدأه بذكر جزيرة العرب، وبرر ذلك بأن بيت الله الحرام ومنها دحيت الأرض[٣] ، ولبعد هذا الإقليم من جزيرة العرب من ناحية الغرب أطلقوا عليه المغرب[٤] .

وبعد أن وصل المسلمين فى فتوحاتهم إلى الأندلس وسيطروا على جزر البحر المتوسط أطلقوا على تلك الممتلكات اسم (المغرب العربى الكبير)، ومدلول بلاد المغرب الإسلامى زاد اتساعه فى عصر العباسيين، فجعل هارون الرشيد[٥] ما هو غرب العراق مغرباً، فضم المغرب بلاد

قريب السبعين والثلاثمائة . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت١٩٨٨م، ج١٠، ص ٤٦٧٢؛ عمر رضا كحالة :معجم المؤلفين، ج١١، ص٥ .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، دار صادر، ، بيروت ١٩٣٨ م، ج١، ص١٨.

(٢) المقدسى : هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسي البشاري الحنفي الشامي المؤرخ الرحالة الجغرافي ، ولد في القدس سنة (٣٣٥هـ / ٩٤٧م)، واخذ لقبه منها ، ارتحل الى العراق وهناك تفقه على مذهب ابي حنيفة ، وصنف كتابَ اسماه" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "وقد أكسبه شهرةً كبيرة، بدأ المقدسي رحلته من مدينة القدس إلى جزيرة العرب في بداية عام (٣٥٦هـ/٩٦٦م) بهدف الحج، ثم زار العراق والشام ومصر والمغرب وزار بلاد العجم ، وبلدان المشرق ، ويبدو أنه انتهى من رحلته في حدود عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) ، واشتهر بدقة ملاحظاته وعمقها، وحسن ترتيب مادة كتابه ،. توفي سنة ٣٨٠ هـ . السمعانى : لأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد١٩٦٢ م، ج١٢، هامش ص ٣٩٢،عبد الرحمن العليمي الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس ، مكتبة دنديس – عمان، ج١، ص١٢ ، الزركللى : الأعلام، ج٥، ص ٣١٢.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم، ط٣ ، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١١هـ، ص ٦٧.

(٤) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص٦٩-٧١.

(٥)هارون الرشيد : هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ابن المنصور؛ كان طويلا جسيما أبيض قد وخطه الشيب، مولده سنة سبع وأربعين ومائة في نصف شوال بمدينة الري، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي، وكان ولي العهد بعده، وهو الخليفة العباسي الخامس ، وأمه الخيزران بنت عطاء وهي أم ولد يمانية ، كان شجاعاً كثير الحج والغزو، حج في خلافته ثماني حجج، وقيل تسع، وغزا ثماني غزوات، واعتمد على البرامكة في دولته فزينوها إلى أن أكثروا الدالة عليه ففتك بهم وكان في أيامه فتح هرقلة. توفي في مدينة طوس سنة (١٩٣هـ / ٨٠٩م) وله يومئذ اثنان وعشرون سنة ونصف، وله ست وأربعون سنة وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً. خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢،دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧هـ، ص ٤٤٧؛محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت١٩٧٤م، ج٤، ص ٢٢٥.

الشام ومصر وما يليها إلى طنجة [١] ، وأصبحت العراق قلب خلافتهم ، أما المشرق فشمل بلاد فارس وخراسان والترك والسند والهند والصين[٢] .

اصطلح الكتاب على تسمية المقاطعة التي تلي حدود مصر الغربية حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي حالياً) باسم (المغرب العربي) ،والتي تشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الحالي وموريتانيا، وقسموها إلى ثلاثة أقسام : الأول إفريقية ويمتد من حدود مصر الغربية إلى شرق الجزائر، والثانى من المغرب الأدنى ويشمل قطر الجزائر تقريبا، والثالث المغرب الأقصى ممتدا من غرب الجزائر إلى المحيط، يشمل إقليم مراكش وطنجة[٣]، ولأن بلاد المغرب استأثرت باهتمامات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن مسالكها وممالكها، وبلدانها، وجبالها وسهولها، وذلك لحاجتهم إلى معرفة الطرق ولتسهيل مهمة الولاة[٤].

والملاحظ أن معظم الجغرافيين المسلمين الأوائل ممن تناولوا جغرافية بلاد المغرب قد استهلوا حدودها الشرقية بمدينة برقة ويأتي في مقدمتهم (ابن واضح اليعقوبي[٥]) ، ففى القسم

(١) طنجة : مدينة قديمة بالمغرب على ساحل البحر، بينها وبين وسبتة ثلاثون ميلاً في البر، افتتحها عُقْبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها، وهى آخر حدود إفريقية من المغرب ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألفا ميل، وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وأن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة، وكانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٣ .

(٢)عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص١٨ -١٩.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٨؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط ٤، مكتبة الخانجى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ج١، هامش ص ١٥؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الأسكندرية،ج١، ص٦١.

(٤) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار الرائد العربى بيروت ١٩٨١م، ص٣٥.

(٥) اليعقوبى : هو أبو العباس أحمد بن إسحٰق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ومؤرخ وجغرافي) كان جده من موالي المنصور العباسي، رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي) وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة ٢٥٨هـ ٨٧٢م)م، انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان) و (أخبار الأمم السالفة) ، كتاب (مشاكلة الناس لزمانهم) ، وكتاب البلدان؛ وتحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام. وتوفي في مصر سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م) وفي روايات أخرى عام ٢٨٤هـ أو ٢٩٨هـ. ياقوت الحموى :معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت١٩٩٣ م، ج٢، ص ٥٥٧ ؛ الأعلام : الزركلى ،ج١، ص٩٥.

الرابع من كتابه البلدان نجد أنه جعل الحدود الشرقية لبلاد المغرب تبدأ من برقة[١] ، وأول تحديد جغرافي لتخوم المغرب نجده عند ابن حوقل ، الذى يذكر أن بلاد المغرب تمتد من غرب مصر عند الإسكندرية شرقا إلى البحر المحيط غربا، ومن بحر الروم شمالا إلى أرض الصحراء وبلاد السودان جنوبا، وتدخل ضمن هذه الرقعة الجغرافية بلاد الأندلس فيجعلها ابن حوقل من جملة المغرب"[٢]، ويذكر(أبو عبيد البكري) حدود المغرب حيث يقول: "وحدّ إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، واسم طنجة موريطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق"، فإن تخوم بلاد المغرب فى نظر البكرى تمتد من مدينة برقةشرقا إلى طنجة غربا ومن البحر المتوسط شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً.

وميز ياقوت الحموي (تـ ٦٢٦هـ) مصطلحين أساسيين هما إفريقية والمغرب وتحديد تخوم كل منهما، بخلاف البكري الذي أطلقهما على بلاد واحدة، و القزويني (تـ ٦٨٢هـ) يذهب إلى نفس التحديد الذي سبقه إليه غيره. فبلاد المغرب عنده "بلاد واسعة من برقة إلى آخر بلاد المغرب والبحر المحيط، سكانها أمة عظيمة".

ونجد أن بعض المؤرخين المؤرخين عبد الواحد المراكشي في مصنفه المعجب الذي كرس معظمه لدولة الموحدين، غير أنه في القسم الأخير من الكتاب يعطي وصفا جغرافيا لبلاد المغرب والأندلس "أول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومي مدينة إنطابلس المعروفة ببرقة، وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة، ومسافة ما بين ذلك على التقريب ست وتسعون مرحلة". [٣]

(١) اليعقوبى :البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢ هـ، ص١٨٠ .
(٢) ابن حوقل : صورة الأرض، ص٦٠- ٦١.
(٣) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الأسكندرية،ج١، ص٧٠ ٩٦؛ خالد بالعربى : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن: دراسة تاريخية وحضارية ٦٣٣ هـ - ٦٨١ هـ، دار الألمعية، الجزائر ٢٠١١م، ص٢٧- ٢٩ .

وإلى جانب المراكشي يقدم لنا ابن خلدون تحديدا شاملا ومفصلا لامتداد بلاد المغرب وتخومها في كتابه العبر يمكن تلخيصه كما يلي: "إن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة المغرب بحر المحيط (الأطلسي) ... وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وآزمور وأنفى وأسفى ... وأما حدّه من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر ... وأما حدّه من جهة الشمال فالبحر الرومي (المتوسط) والمتفرع من البحر المحيط ... وأما حدّه من جهة الشرق فيختلف باختلاف الإصطلاحات فعرف أهل الجغرافيا إنه بحر القلزم (الأحمر) ويدخل فيه إقليم مصر وبرقة ... وأما العرف الجاري في هذا العهد بين سكان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب، وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم".

لكن النصوص الجغرافية السابقة تؤكد في مجملها على اعتبار مدينة برقة بداية المغرب من الناحية الشرقية، والحد الفاصل بين بلاد المغرب ومصر التي يعتبرها المراكشي إقليما مستقلا بذاته وفي ذلك يقول: "قد تقرر واشتهر أن أول حد البلاد المصرية مما يلي الشام، العريش وآخره مما يلي المغرب مدينة انطابلس المعروفة ببرقة، هذا عرض الديار المصرية، وحدها في الطول من ثغر أسوان إلى مدينة رشيد الكائنة على ساحل البحر الرومي، هكذا ذكر أصحاب المسالك والممالك والمعتنون بهذا الشأن".

ويقوم هذا الدليل على أساس العامل البشري، أي أن العنصر البشري الذي سكن هذه الرقعة الجغرافية الممتدة من البحر المحيط إلى برقة هو عنصر البربر. ومن ثم ارتبط اسم المغرب بهذا الجنس، لذلك وجدنا كلا من ياقوت الحموي في معجم البلدان، والقزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، ينطلقان في تحديدهما للرقعة الجغرافية المذكورة والمتعلقة ببلاد المغرب تحت إسم مادة البربر.

وأصطلح البعض على تقسيم (المغرب العربى إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحب قربها أو بعدها من مركز الخلافة الإسلامية وهى تقسيمات وهمية أوجبتها الظروف والمتغيرات السياسية

وجاء التقسيم بحسب قربها أو بعدها عن عاصمة الدولة العربية الإسلامية أي مركز الخلافة في الشرق وهي :-

المغرب الأدنى:

وهو أول أقاليم المغرب العربي ، وسمى بالمغرب الأدنى لأنه أدنى بلاد المغرب لبلاد العرب وأقربها إلى عواصم الخلافة الإسلامية التى كانت فى الحجاز أو بلاد الشام أو العراق ، وحدود المغرب الأدنى من الشرق مدينة برقة وطرابلس، ومن الغرب مدينة بجاية[١] وقيل إلى مدينة مليانة ومن الشمال البحر المتوسط ،ومن الجنوب آخر بلاد الجريد ، وكان يشمل مدينة القيروان[٢] وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر ، واختلفت قاعدة المغرب الأدنى من فترة تاريخية الأخرى، فكانت مدينة القيروان قاعدته فى عصر الفتح وعصر الأغالبة(١٨٤ـ٢٩٦هـ/٨٠٠ـ٩٠٨م) ، ثم كانت مدينة المهدية فى عصر العبيديين(٢٩٩-٥٦٧هـ/٩٠٩-١٠٧١م)، ثم مدينة تونس فى عصر الحفصيين [٣] ، وأهم مدنه (

(١) بجاية : بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف، وياء، وهاء ، وهى تقع على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطّها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكّين، في حدود سنة ٤٥٧، بينها وبين جزيرة بني مزغنّاي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة، وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصّها من المنافع شيء، إنما هي دار مملكة، تركب منها السّفن وتسافر إلى جميع الجهات، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٣٩.

(٢) مدينة القيروان : القيروان اسم معرّب وهو بالفارسية كاروان التي اختطها عقبة بن نافع الفهري في خلافة سيدنا معاوية بن أبى سفيان ، وهي قاعدة إفريقية وحصنها ، وسبب بنائها أن عقبة قال لأصحابه " إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضّهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عادتهم ودينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا، وقد رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون" والقيروان مدينة كان عليها سور من لبن وطين، وموضعها في طرف البرّ بعيدة من البحر لئلا تطرقها مراكب الروم فتهلكها ، ويسكنها أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان ، وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك، وعمّر الناس المدينة فاستقامت في سنة ٥٥ للهجرة. اليعقوبى : البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٢ هـ،ص ١٨٦-١٨٧؛ ابن المنجم : آكام المرجان ،عالم الكتب، بيروت١٤٠٨ هـ،ص٩٨؛ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢٠- ٤٢١.

(٣) السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري- محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء؛ ج١، ص ١٢٧؛ أيمن السيد عبد اللطيف :الحياة الثقافية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية، ص١٨؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ج١، هامش ص١٥.

القيروان تونس ، سرت ، بونة ، فزان ، جلولاء ، جربة) ونزلت بعض قبيلة هوارة[١] فى المغرب الأدنى .

المغرب الأوسط :

نجد أن (البكرى ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) هو أول جغرافى استعمل مصطلح المغرب الأوسط [٢] وسماه المغرب الأوسط لتوسط مدينة تلمسان قبائل البربر فى بلاد المغرب فذكر :"تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسيف. وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجّار الآفاق" بالأوسط ، وحدود هذا الإقليم كانت فى تغير دائم ، وتمتد وتتقلص حسب قوة الدولة التى تحكم المنطقة، وحدود المغرب الأوسط العامة تبدأ من مدينة بجاية حتى وادي ملوية وجبال تازة، وذكر ابن خدلون أن قاعدة المغرب الأوسط مدينة تلمسان[٣] ، وهو يضم بلاد الجزائر عامة[٤] ، وكانت عاصمة المغرب الأوسط مدينة تاهرت[٥]، في عهر الدولة الرستمية والتي كانت من الخوارج

(١)قبيلة هوارة : من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب ، وبعض نسّابتهم: يقولون إنهم من عرب اليمن ، فتارة يقولون: إنهم من عاملة، إحدى بطون قضاعة، وتارة يقولون أنهم من كندة من السكاسك ، جهلوا أنسابهم؛ وبطون هوارة يتناسبون كما تتناسب العرب، فمنهم بنو اللهان، ومليلة وورسطفة؛ فبطون اللهان بنو درما، وبنو مرمزبان، وبنو ورفلة، وبنو مسر اتة ، ومنازل هوارة من آخر عمل سرت إلى إطرابلس؛ وناصرت قبيلة هوارة خوارج المغرب ثم خضعت للخلفاء الفاطميين . ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص ١٨٢ ؛ القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط٢، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١٦٧،١٦٨؛ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ط٢، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٨٠م، ص ٤٤١،٤٤٢؛ عبد الكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ٤٣٤ .

(٢) البكرى : المسالك والممالك، ج٢، ص٧٤٦.

(٣) تلمسان : بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام،وهي مدينة مسوّرة ولها خمسة أبواب، وفيها آثار قديمة، وتلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسيف. وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجّار الآفاق. ،وتلمسان دارا للعلماء والمحدّثين وحملة الرأي على مذهب مالك، هي مدينة تقع في شمال غرب الجزائر. البكرى : المسالك والممالك، ج٢، ص٧٤٦- ٧٤٧؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢، ص٤٤.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت١٩٨٨ م، ج١، ص٧٦.

(٥) تاهَرْت : بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، وهى مدينة من مدن المغرب الأوسط قريبة من تلمسان كانت عاصمة لبني رستم الخوارج الأباضية . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص ٧؛ الحميرى : الروض المعطار، ص١٢٦.

الإباضية والتى أسسها عبد الرحمن بن رستم (١٦٠ أو ١٦٢هـ) والتى سقطت سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) على يد الفاطميين[١]، وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية(٣٦١هـ/٩٧٢م) التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشير[٢] ، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري[٣] ، وسكن بلاد المغرب الأوسط قبائل زناته[٤]، وقبيلة نفزة[٥] ومغيلة[٦] ، واشهر مدنه (فاس ، مكناس سلا ، اغمات ، اودغشت).

المغرب الأقصى:

ظهرت هذه التسمية لأول مرة فى كتاب نزهة المشتاق للإدريس وذكر هذا المصطلح مرات عديدة ، وَسمي بالمغرب الأقصى لأنه أبعد أقسام بلاد المغرب عن دار الخلافة ، وهو

(١) محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس ، ط٢، دار القلم ، الكويت ١٩٨٧م، ص٨٢.

(٢) مدينة أشير : بكسر ثانيه، وياء ساكنة، وراء: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر، كان أول من عمّرها زيري بن مناد الصنهاجي، وشرع في إنشاء مدينة أشير، في سنة ٣٢٤ ، وتملكها بعده بنو حمّاد وهم بنو عمّ باديس، واستولوا على جميع ما يجاورها من النواحي . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٣.

(٣) صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٢م.

(٤) زناته : بفتح الزاي والنون وألف بعدها تاء مثناة من فوق ثم هاء، وهم إحدى مجموعتين كبيرتين من المجموعات البربرية التي سكنت الجزائر قبل الفتح الإسلامي، والمجموعة الأخرى صنهاجة، وهي مجموعة عرفت بالاستقرار ، ويتبع كلاً منهما قبائل كثيرة، ومن خصائص زناتة أنه كان يغلب عليها الترحال، ولهجتها تختلف عن سائر اللهجات البربرية الأخرى، وكان غالبها بالمغرب الأوسط، حتى كان يقال عنه وطن زناتة، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول، ومنهم بنو مرين و بنو عبد الواد، ملوك تلمسان ومن بنى مرين بنو عبد الحق ملوك المغرب الأقصى فى مدينة فاس . ابن خلدون : تاريخه، ج ٦، ص ١٢٨؛ القلقشندي : قلائد الجمان ،ج١، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٥) قبيلة نفزة : بكسر النون قبيلة كبير منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة وهى فى المغرب الأوسط وهى القبيلة المنحدر منها طارق ابن زياد فى بعض أراء المؤرخين : ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٥ ، ص ٢٩٦؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١ ص ١٤٠؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٥ ؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص ٢٢٥؛ المقرى : نفح الطيب، ج١، ص ٢٥٤، الزركلى : الأعلام، ج١، ص٢٨٧ .

(٦) مغيلة : مدينة متحضرة كثيرة التجارات متصلة العمارات ، والطريق من مغيلة إلى وادي سنات إلى فحص النخلة إلى مكناسة، ومغيلة أشهرت بالخارجية لأنهم كانوا صفرية، ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ونزل بالمنكب . ابن خلدون : تاريخه، ج٧ ، ص ١٢ .

يمتد من وادى ملوية[١] شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً وجبال درن[٢] جنوباً ، وعاصمة المغرب الأقصى تناوبت بين مدينة فاس[٣] أيام الأدارسة العلويين ،والتي أسست بين عامي(١٧٢ـ١٩٨هـ) ،ثم جاء المرابطون فأسسوا مدينة مراكش ،واتخذوها عاصمة لهم ،وتبعهم الموحدون على ذلك، ويتميز المغرب الأقصى بظاهرة امتداد جبال الأطلس من جنوبه وتسير بمحاذاة ساحل المحيط الأطلسى شمالاً بشرق ، وان كانت بعيدة عنه حتى قرب ساحل البحر المتوسط جنوبلى منطقة الريف ثم تنته شمالاً لتتلاشى غرب تونس، وهذه الجبال تتسع فى المغرب الأقصى ويزيد عرضها فى جنوبه، والمغرب الأقصى هو يطل على مضيق جبل طارق الذى يربط البحر المتوسط بالمحيط الأطلسى ، فالمغرب الأقصى متمايز جغرافيا لأنه يمتلك واجهتين بحريتين الأولى شمالية مطمة عمى البحر المتوسط ، والثانية غربية مطمة عمى المحيط الأطلسى، ويتميز المغرب الأقصى بغزارة الأمطار ووفرة الثلوج [٤] .

ويجب التأكيد على التقسيم السالف لبلاد المغرب العربي ما هو الإ تقسيم افتراضي أوجبته الضرورة السياسية أو الإدارية . والمغرب العربي الكبير وحدة متماسكة تجلت مظاهرها

(١) وادى ملوية : وادى نهر كبير تقع عليه مدينة أجر سيف فى المغرب الأوسط وتتميز هذه المنطقة بالزراعة ، وتنتشر بها البساتين . مجهول : الإستبصار ، ص١٧٧ .

(٢) جبال درن : تقع جبال درن ضمن سلسلة جبال الاطلس الكبير الغربي، وهذا الجبل معترض في الصحراء وهو فاصل بين الصحراء والسّاحل، ومنه ينفجر كلّ نهر هناك، وهم يختلفون في تسميته، فأهل فاس وسجلماسة يسمّونه درن، والمصامدة ونول يسمّونه بشكوا، وهوارة تسمّيه أوراس، فيه عدة قبائل وبلدان وقرى . اليعقوبى :البلدان، ص ١٩٨؛ البكرى : المسالك والممالك ،ج١، ٢٣٨ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص ٤٥٢.

(٣) مدينة فاس : من أهم مدن المغرب الأقصى ، بناها إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) أول ملوك الأدارسة وأتم بناءها ابنه إدريس الثاني سنة (١٩٣هـ/ ٨٠٨م) كانت في القديم بلدين، لكل منهما سور يحيط به وأبوب تختص به، والنهر فاصل بينهما، وكانت كل بلدة تقوم على عدوة (مرتفع)، فكانت إحدى العدوتين تسمى عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان إليها، وسميت الأخرى عدوة الأندلسيين لنزول العرب الوافدين من الأندلس فيها . المقدسى : أحسن التقاسيم، ص٢٠٣-٢٠٤؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٢٥٣؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠ ، ٢٣١؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٤٣٤، ٤٣٥.(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٢٥٣؛ السلاوى : الإستقصا ، ج١، ص٢٧٣.

(٤) على صدام نصر الله : الخصوصية الجغرافية لمنطقة المغرب الأقصى ، مجلة أبحاث البصرة ، مج٣٦، العدد ٣، ٢٠١١م، ص ١١٢.

في شتى النواحي الجغرافية والبشرية والاجتماعية والاقتصادية[١]، و فى ذلك يقول ابن خلدون " المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار[٢] .

جغرافية بلاد المغرب العربي

يؤلف المغرب العربي بأقاليمه الثلاث ، ابتداء من خليج سرت حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) ، وحدة جغرافية لها طابعها الخاص به ، وتنقسم طبيعة البلاد الجغرافية الى ثلاثة اقسام هي:-

القسم الأول : الإقليم الساحلي

١- يمتد هذا الإقليم على طول شواطئ البحرالمتوسط ،حتى مدينة طنجة ، ثم يستمر محاذياً للمحيط الاطلسي حتى مدينة نول[٣] في بلاد السوس وفي هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة، وقامت تجمعات سكانية ساعدتها الظروف الطبيعية من ارض خصبة ومناخ معتدل على قيام زراعة ناجحة[٤]

القسم الثاني : الاقليم الجبلي

تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال درن او جبال اطلس وهي جبال ضيقة وعرة الدروب و المسالك تكلل قممها الثلوج في فصلي الشتاء و الربيع وتنقسم هذه السلسلة الجبلية الى اقسام ثلاثة وهي :-

أ- **الأطلس الساحلي** : ويمتد غربا من جبال أنجيزه على ساحل بحر الزقاق(مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غماره وجبال الريف وجبال بسني يزناتن ترارة وبدوغ وغيرها ،وهي

(١)العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١١.
(٢) ابن خلدون : تاريخه ، ج٦، ص١٢٨.
(٣)نول: مدينة في جنوب بلاد المغرب هي حاضرة لمنطقة فيها قبائل من البربر .ياقوت الحموي، المصدر نفسه،٣١٢/٥.
(٤) السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٨م،ص١٢.

جبال متوسطة الارتفاع ،وأكثرها ارتفاعا جبل بني حسن الذي يبلغ ارتفاعه ما يقارب من الفي متر . وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي[١] ، وأهمها: **أطلس التل:** وهي سلسلة جبلية تمتد من المغرب الأقصى من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتنتهي في تونس بجبال الخمير وهي سلسلة تمتاز بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية ،أما السلسلة الثانية **فهي أطلس الصحراوي** أوجبال أطلس الجنوبية ، مما جعلها ذات أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن باقي بلاد المغرب، ويستمر امتداد جبال أطلس الكبرى في بعض مناطق المغرب الأوسط

ب- **الأطلس الصحراوي:** تسمى بجبال أطلس الكبرى، وتبدأ هذه السلسلة من المغرب الأقصى ،وتمتد من الغرب إلى الشرق، وتبلغ في المغرب الأقصى أعلى ارتفاع لها، ويصعب المرور في تلك الجبال ، حيث لاتوجد بها ممرات فتسببت فى عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب، وتشمل جبال القصور ، وجبال العمور ، وجبال أولاد نايل ، وجبال الزاب ، وجبال أوراس ، وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى . واغلب هذه الجبال تكسوها الغابات وتتوجها الثلوج. وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب وسهول مرتفعة يشتغل فيها السكان برعي الماشية ، وتجري فيها الوديان والأنهار، ومن اهم هذه السهول سهلي فاس ،ومكناس ، واغلب هذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الصحراوي في المغرب الأوسط[٢] . وإلى الشمال من سلسلة جبال أطلس الكبرى تقع سلسلة جبال أطلس الوسط ، التي تسمى أيضاً أطلس الصغرى، ويغلب عليها طابع الهضاب، و تمتد حتى المحيط الأطلسي، ومن أشهرها في المغرب الأقصى: هضبة المزيتا، وفي المغرب الأوسط هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتها . أما سهول المغرب الساحلية فيقع معظمها على ساحل المحيط

(١)محمد عبد المنعم الشرقاوي ،وآخرون : ملامح المغرب العربي ،الأسكندرية،١٩٥٩م،ص٩؛ عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان،١٩٦٢م،ص١٥.

(٢)جوليان: اندريه، تاريخ أفريقية الشمالية حتى الفتح العربي، باريس، ١٩٥١م،ص١٨ـ١٩؛عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين،ص١٥.

الأطلسي في الشمال والغرب، وكذلك بمحاذاة البحر المتوسط، وهذه السهول تضيق كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق ، حيث يزداد اقتراب السلاسل الجبلية من الساحل

القسم الثالث : الاقليم الصحراوي :

يمتد هذا الإقليم من واحات برقة الى سجلماسة ، إلى وادي درعة ، حتى بحر الظلمات(الأطلسي) غربا، وهذا الإقليم به ينابيع المياه والواحات التي تنتشر في اغلب المواضع[١] ، أما الهضاب تمتد بين أطلس الكبرى والوسطى حتى بحر الظلمات ، ففي المغرب الأقصى توجد هضبة المزيتا ، وفي المغرب الأوسط تمتد هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتهاوتعرف هذه الهضاب باسم الحماده[٢] .

وأما الانهار فى بلاد المغرب فهى تنبع من جبال اطلس وتجري باطوال مختلفة الى ان تصب في البحر المتوسط و المحيط الاطلسي ومن اهمها : نهر المجرد في تونس ونهر الشلف في الجزائر وهذه الانهار تصب في البحر المتوسط، وأما نهر سبو في المغرب الاقصى ونهر ام الربيع وهناك انهار اخرى مثل نهر ابو رقرارق ونهر تنفست وهذه الانهار التي تصب في المحيط الاطلسي.

ثانياً : سكان بلاد المغرب

تنوعت العناصر السكانية التى قطنت بلاد المغرب منذ أقدم العصور التاريخية ، وعند الفتح الإسلامى لبلاد المغرب كانت الطوائف التالية .

البربر : سكن البربر بلاد المغرب منذ أقدم العصور ، والتسمية القديمة لسكان المغرب هي (أمازيغ) وهي كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن أو الكريم النسب، وهذا الاسم لا يزال قسم من السكان في شمال أفريقية يطلقونه على أنفسهم ، أما كلمة بربر التي اطلقت على سكان المغرب فهي تسمية دخيلة اطلقها عليهم من غلب عليهم

(١) السامرائي : تاريخ المغرب العربي،ص١٣.
(٢) ابن خلدون : تاريخه ، ج٦، ص١٠٠؛عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين،ص١٦.

من الأمم كالرومان والاغريق، فيعتقد العلامة بوسكى أن كلمة بربر مشتقة من كلمة " باربـاروس Barbarus" اللاتينية ومعناها الشخص الجاهل المنتمى إلى الشعوب العديدة التى تقع خارج سلطان روما، وبعض المؤرخين يفسر كلمة البربر لغويا ، فاللغة البربرية تختلط فيها الأصوات غير المفهومة . حتى قيل لهم: ((ما اكثر بربرتكم)) والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة [١] ، وقيل أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرف الباء والراء ، فقيل ما هذه البربرية[٢] ،وأن علماء النسب العرب قالوا " إن شعب المغرب اتخذ اسم أحد آبائه البعيدين وهو بر بن قيس عيلان هذا القول الذى ينفيه ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب[٣] .

ولقد أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة انتماء اللغة البربرية إلى اللغات السامية وهذا ما يدعوا للإعتقاد أن أصل البربر من الجزيرة العربية ، وأنهم موجة من الموجات العربية التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية ، وقد اختلط المهاجرون العرب بسكان المغرب الأصليين فدخلت فى لغتهم العربية كلمات من لغة أو لغات السكان الأصليين [٤] .

ورغم اختلاف المؤرخين أعتقد أن قبائل بلاد المغرب الإسلامى طغى عليها الأصل العربى فالهجرات العربية القديمة التى استقرت فى بلاد المغرب والتى أثبتتها الدراسات التاريخية بالإضافة لإستقرار العرب الفاتحين واستقرارهم فى بلاد المغرب ، بالإضافة لهجرة بنى هلال الضخمة التى صبغت بلاد المغرب الإسلامى بالصبغة العربية الخالصة .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ط٢، دار التراث - بيروت١٣٨٧ هـ، ج١، ص ٤٤٢؛ ابن مسكويه :تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،ط٢، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران٢٠٠٠ م،ج١، ص ٦٨؛ ابن خلدون : تاريخه،ج٦، ص١١٧.

(٢) سعد زغلول : تاريخ المغرب،ج ١، ص٨٠.

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق لجنة من العلماءدار الكتب العلمية - بيروت١٩٨٣، ص ٤٩٦؛ العبادي، في تاريخ المغرب، ص١٣،عبد الحميد حمودة : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى منذ الفتح لإسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٧ .

(٤)عبد الحميد حمودة : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص١٨ .

هذا وهناك العديد من الأدلة التى برهنت للمؤرخين الأصول العربية لقبائل بلاد المغرب ، إذ تتلخص تلك الصفات بـ :

١ـ استعمالهم الخيول الأصيلة لاسيما في معاركهم ، وبخاصة الخيول الخفيفة ذات الركاب المرتفع .

٢ـ طريقتهم في القتال تمتاز بخفة الحركة وسرعة الكر والفر ، وهي فنون عرف بها العرب .

٣ـ التكوين القبلي والعشائري للبربر ، إذ يكون متشابهاً للتكوين القبلي في جزيرة العرب وما يحيط بها .

٤ـ الطبيعة البدوية التي تميز قبائل الصحراء المغربية الكبرى ، كاستعمالهم لبيوت الشعر واستعمال الجمال للتنقل .

٥ـ عزة النفس و(الأنفة) التي يمتلكها العربي ويثور ويغضب لها وترتعد لها فرائسه لاسيما عندما تُمس كرامته .

٦ـ اعتزازه بشرفه ، ويمثل الشرف أعلى مراتب الكرامة والخلق العربي .

٧ـ الكرم والغيرة التي اتصف بها البربر ، وهي صفة ملازمة للعربي أينما رحل أو حط .

٨ـ اعتزاز البربر بانتسابهم للعرب لا يعادله اعتزاز ، وقد استمسك بها كُتابهم وشعراؤهم وافتخروا بها على من عداهم .

٩ـ قرب حروف اللغة الأمازيغية من حروف اللغة العربية ، من جهة "، واستعمال الحروف العربية بالنطق إذ ينطق الأمازيغ بالعربية لتشابه الحروف من جهة أخرى .

١٠ـ أسلوب كتابة الحروف عند الأمازيغ من اليمين الى اليسار وهذا حال الكتابة بالعربية[١] .

وقد تألف البربر من فرعين كبيرين هما:ـ

١ـ البربر البتر :

(١)عامر حميد السامرائي : الموجز من تاريخ المغرب العربي في العصور الإسلامية الأولى، ص ٢٨ـ ٢٩ ، الكتاب متاح على لإنترنت : https://cutt.us/hHniP .

وتسموا نسبة إلى مادغيس بن بر بن قيس عيلان الملقب بالأبتر ، معظم قبائل البتر رحل يغلب عليهم التنقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والماء ، ولذلك تنتشر في الأقاليم الممتدة من غدامس إلى السوس الأقصى ، وينقسم البربر البتر إلى أربع عشائر رئيسة هي: **(ضريسه ،نفوسة ،أداسه وبنو لواي أو لواتة)** . .

٢ـ البرانس :

سكنت هذه القبائل في المدن ، وخصوصاً في المناطق الساحلية الغربية من البحر والمناطق الجبلية الممتدة عبر المغرب ، وعملوا بالزراعة وهم تأثروا بثقافة سكان البحر المتوسط وحضارته،ومن أشهر قبائل البرانس ، قبيلة صنهاجة وقبائل أزداجة وأوربة ، وأوريغة وكتامة وعجيسة ، واضاف النسابة قبائل لمطة وهسكورة وجزولة ، وقبائل أوربة، ومصمودة [١].

ومن سكان بلاد المغرب :<u>٢ـ الروم:</u>

استوطنوا الشمال الإفريقي قبيل الفتح الإسلامى فى المدن الساحلية المحصنة ، وكانوا يتمركزون في بعض إقليم الجريد وقسطيليه[٢] ومدينة طبنة ،والمنستير ، ومدينة قرطاجنة ، ومدينة تاهرت وسبته وطنجة ، ولم يمتزجوا مع البربر إلا فى حالات محدودة . وهؤلاء كانوا يدينون بالنصرانية . وعندما دخل المسلمون المغرب ، دخل بعضهم الإسلام، وأغلبهم لجأوا إلى الجزر القريبة فى البحر المتوسط المقابلة للساحل الإفريقى مثل جزيرة صقلية ومالطة وسردينية وكورسيكا .

ومن سكان بلاد المغرب <u>٣ـ الأفارقة</u> : وهم طارئون على البلاد المغربية ، وأشارت إليهم المصادر العربية بإسم الأفارق أو عجم إفريقيا، أو الأفارقة الأعاجم[٣] ، ويرى ابن الحكم أنهم من ولد فاروق بن يبصر وأن افريقيا سميت بإسمهم [٤] ، ويرى المستشرق غوتيه بأنهم بقايا

(١)ابن خلدون، تاريخه،ج٦، ص ١١٧ ؛عبد الحميد حمودة : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص١٨.

(٢)مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ،تشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ،مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م،ص١٥.

(٣)ابن عبد الحكم : تاريخ مصر وأخبارها، ص١٩٧، ٢٩٩ .

(٤) ابن عبد الحكم : تاريخ مصر وأخبارها، ص٢١٢ .؛ كاتب مراكشي: الاستبصار في عجائب الأمصار،دار الشؤون الثقافية، بغداد١٩٨٦ م، ص١١١.

الشعب القرطاجنى القديم[١] ، وهم دخلوا فى خدمة الرومان واختلطوا بهم حتى انهم تأثروا بهم وبعاداتهم وتقاليدهم ، واعتنقوا النصرانية ، وكانوا مؤيدين ومناصرين للخارجين على السلطة المركزية في المغرب. وقد أسلم الكثير منهم على يد العرب المسلمين ،وكانت حالتهم الإقتصادية جيدة حيث استغلوا بتجارة زيت الزيتون[٢]، واستوطن الأفارقة السهول الساحلية بالمدن وبعض الأجزاء الداخلية مثل مدن بنزرت وبرقة والقيروان ومدينة قابس التى سميت بإسم مدينة الأفارقة[٣] .

و لقد سكن المغرب العربي بعض الأقليات مثل :

السودان : ويشكلون نسبة قليلة ويعود وجودهم في المغرب الى العهد القديم بحكم العلاقة التي كانت تربط المغرب مع الأمم السودانية[٤]

اليهود : يحتمل أن الوجود اليهودى فلى بلاد المغرب يرجع مع وصول الفينقيين ، فيذكر المؤرخين أن أهم عوامل تواجد اليهود بالمغرب هو عامل الهجرة الذي كان له الدور البالغ في تواجد هذه الديانة بالمنطقة خاصة هجرة اليهود من بلاد الشام، وكذا من شبه الجزيرة الإيبيرية، [٥]. وتقلص الوجود البيزطى أثناء حكم جستنيان ، اذ تدخلت السلطات البيزنطية فى شئونهم فهاجروا إلى إسبانيا أو ايطاليا ، وهاجر البعض فى المناطق الداخلية فى بلاد المغرب واندمجوا مع القبائل البربرية ، وأخر هجرة عرفها المغرب لليهود قبيل الفتح الإسلامى جاءت من اسبانيا فى عهد الملك ششبرت الذى قام بإضطهاد اليهود واجبرهم على الإختار بين اعتناق المسيحية أو

(١) غوتيه : ماضى شمال إفريقيا، ص٨٩.
(٢) ابن عبد الحكم : تاريخ مصر وأخبارها، ص٢١٢.
(٣) البكرى : المسالك والممالك، ج٢، ص٦٥٠؛اليعقوبى : البلدان، ص ١٨٩؛ ابن خرداذبة :المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت١٨٨٩ م، ص٨٦.
(٤) يولم: دينز ،الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصار، ط٢، بيروت،١٩٨٢م،ص٢٢.
(٥) يوسف بنلمهدي، معالم التفكير الاسلامي في المغرب والأندلس، ج١، إصدارات المجلة العربية، العدد: ١٧٦، ص ٤١.

الرحيل عن اسبانيا ، فهاجر البعض لبلاد المغرب[١]، انتشروا في بلاد المغرب وكانوا يمارسون الأعمال التجارية والصناعية ، وأعمال الربا ، ويذكر البكرى أن مدينة فاس من أكثر بلاد المغرب يهوداً [٢]، وأشار الإدريسى أن مدينة أجدابية يغلب عليها المسلمون واليهود، ويذكر ابن خلدون أن جراوة قبيلة الكاهنة التى تسطوطن جبال أوراس اعتنقت الديانة اليهودية[٣] ، وكذلك سجلماسة وأغمات ونكور ووادي درعة [٤].وبعد الفتح الإسلامى نجد أنّ كثيرا من اليهود بالمغرب والأندلس كان لهم اسمان، واحد عبري وآخر عربي، وإن كان الاسم العربي غالبا ما يكون قريبا من الاسم العبري لأنه مشتق منه [٥].

ثالثاً: الحياة الدينية لبلاد المغرب

لقد تباينت المعتقدات الدينية لسكان المغرب عبر التاريخ ، فمنها معتقدات سماوية مثل اليهودية والمسيحية) ومنها الوثنية ، إذ تبلورت تلك المعتقدات بدءاً باتخاذهم مظاهر الطبيعة آلهة لهم يقدمون لها القرابين ويقدسونها، وقد وصف ابن خلدون هذه المرحلة من التدين قائلا: "**وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم. فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم، فقد غزتهم ملوك اليمن ... مرارا على ما ذكر مؤرخوهم، فاستكانوا لغلبهم، ودانوا بدينهم**" [٦] وكذلك قدسوا ملوكهم واعتبروهم آلهة،ايضاً ،وكانت أعمال السحر والشعوذة منتشرة بين سكان المغرب ، واستخدموا السحر والخرافات لجذب الأنصار والأتباع ، وخير مثال ثورة الكاهنة التي

(١) صالح بن داوود الآنسى : فتح الملك المعبود فى ذكر إجلاء اليهود ، تحقيق محمد عيسى الحريرى ، حولية دار العلوم ، القاهرة ١٩٨٥م، مج ٥،ص٤؛ مسعود كلاتي : اليهود فى بلاد المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ، ص ٣٩- ٤٥.

(٢) البكرى : المسالك والممالك، ج٢، ص٧٩٥؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر – بيروت(د.ت)، ص١٠٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخه،ج٦، ص١٤٠ .

(٤) يوسف بنلمهدي :معالم التفكير الاسلامي في المغرب والأندلس، ج١، ص ٤١.

(٥) بنيامين التطيلي :رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي٢٠٠٢ م ،ص٧٩ .

(٦) ابن خلدون، تاريخه ،ج٦، ص ١٣٩.

قاومت الفتح الإسلامي[١]، ثم تأثرت بلاد المغرب بالديانة المسيحية عبر الغزو الروماني والبيزنطي ، انتشرت المسيحية بين القبائل المغربية التي تستوطن المدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة الرومانية البيزنطية ، فمن هذه القبائل التي تنصر أهلها قبائل غمارة وأوربة وبعض بطون قبائل زناتة والبرانس، ثم تغلغلت المسيحية داخل مناطق المغرب ، بينما نجد قبائل أخرى أمازيغية اعتنقت الديانة اليهودية [٢].

(١) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ،نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن،١٩٤٨م،ج١،ص٣٧.

(٢) يوسف بنلمهدي: معالم التفكير الاسلامي، ص٣٥- ٤١.

الفصل الثاني

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

١ – فتوحات بلاد المغرب في عصر الخلفاء الراشدين
٢ - الفتوحات في عصر الدولة الأموية

فتوحات بلاد المغرب في عصر الخلفاء الراشدين :

يُعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي وتحريره من السيطرة الرومانية البيزنطية نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة الحركة الإسلامية للقضاء على قوة الامبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام ، خصوصاً وأن المغرب في ذلك الوقت كان ولاية من الولايات التابعة لها(١) .

وتعددت الدوافع لفتح بلاد المغرب فكان أهمها **نشر الدين الإسلامي، والجهاد فى سبيل الله** ومما يؤكد على دافع الجهاد لدى المسلمين ، ما قاله عقبة بن نافع(٢) « أقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره، ثم قال لأَصْحَابه ارْفَعُوا أَيْدِيكُم فَفَعَلُوا وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي لم أخرج بطرا وَلَا أشرا وَإِنَّك لتعلم إِنَّمَا نطلب السَّبَب الَّذِي طلبه عَبدك ذُو القرنين وَهُوَ أَن تعبد وَلَا يُشْرك بك شَيْء اللَّهُمَّ إِنَّا معاندون لدين الْكفْر ومدافعون عَن دين الْإِسْلَام فَكُن لنا وَلَا تكن علينا يَا ذَا الْجلَال وَالْإِكْرَام– وقال "اللهمّ إنى أشهدك ألا مجاز، ولو وجدت مجازا لجزت"(٣) ، زهير بن قيس البلوىُ(٤) بعد أن أعرض عن أملاك أفريقية وابى أن يقيم بها اذ قال: " إِنَّمَا قَدِمْتُ لِلْجِهَادِ فَأَخَافُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الدُّنْيَا فَأَهْلِكَ"(٥)، ويذكر عن حسان بن النعمان الغساني(١) عندما وضع غنائم أفريقية من ذهب

(١) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس،ص٣٥.

(٢) عقبة بن نافع : عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ولد خلال عهد رسول الله ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص وولاه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر افتتح عامة بلاد البربر وهو الذي اختط القيروان وذلك في زمن معاوية(٤٢،٦٠هـ/ ٦٦٢، ٦٧٩م) وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الأقصى، قتله كسيلة بن لمزم الأودي وقتل معه أبا المهاجر دينار، ثم قتل كسيلة على يد زهير بن قيس البلوي . ابن عبد البر : الإستيعاب، ص ٣٣١؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج٤، ص٥٠؛ ابن حجر : الإصابة ، ج٥، ص٦٤. .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٦ ؛ ابن الأبار :الحلة السيراء،ط٢ تحقيق حسين مؤنس،دار المعارف ، القاهرة١٩٨٥م ،ج٢، ص٣٢٩ ؛ السلاوى : الاستقصا ، ج١، ص ١٣٨.

(٤) زهير بن قيس البلوىُ : يقال إن له صحبة، يكنى أبا شداد، والبلويّ نسبة إلى بَلِى ،وهي قبيلة من قضاعة، شهد فتح مصر، وولاه أميرها عبد العزيز على برقة سنة (٦٩هـ/٦٨٨م) فكانت له مع البربر والروم وقائع.وأقام في القيروان مدة، فوجه الروم من القسطنطينية مراكب إلى برقة، فعاد إليها وقاتلهم، فكثرت عليه جموعهم فثبت إلى أن قتل سنة (٧٦هـ/٦٩٥م). ابن حجر العسقلانى : الإصابة،ج٢،ص٤٧٨؛ الزركلي: الأعلام،ج٣، ص٥٢.

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣، ص ٢٠٩ .

وفضة بين يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك[٢] ، استكثرها الخليفة وقال له: "جزاك الله خيراً يا حسان" فأجابه قائلاً: "يا أمير المؤمنين إنما خرجت مجاهداً في سبيل الله ، وليس مثلي يخون الله والخليفة" فقال له الوليد: (أنا أردك إلى عملك وأحسن إليك وأثق بك) فحلف حسان (لا أولي لبني أمية أبداً) [٣]، ومن الدوافع التى جعلت الخلافة الإسلامية تقدم على فتح بلاد المغرب هو رغبتها **فى تأمين سلامة ممتلكاتها**، وخصوصا وأن البحر المتوسط تحت السيطرة الرومانية ، إذ له تأثيره السلبي على الممتلكات الإسلامية التى أصبحت تحت التهديد المباشر للبيزنطيين، وعليه سعت الخلافة الإسلامية منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى بناء اسطول بحري ، ونجحوا فى تحقيق انتصار ضخم على البيزنطيين في موقعة ذات الصواري سنة(٣٤هـ/٦٥٤م)[٤] وكذلك **لتأمين مصر التى تمثل الحدود الغربية** للدولة العربية الإسلامية من خطر البيزنطيين .

ومحاولة توسيع مساحة الدولة العربية الإسلامية من جهة ، ومحاصرة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية التي امتنعت عن الجيوش الإسلامية من جهة أخرى ووضعوا استراتيجية تقوم على غزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية من الشمال الأفريقي وغرب البحر

---

(١) حسان بن النعمان : حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، كان يلقب بالشيخ الأمين، ولي إفريقية في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (٥٧هـ/٦٧٦م)، زحف لأفريقية بأربعين ألف مقاتل؛ فكانت له وقائع كثيرة مع الروم في قرطاجنة، ومع الملكة دهينا (الكاهنة البربرية) في قابس وجبل أوراس، ظهرت فيها بطولته، ودانت له إفريقية كلها، و أقام بالقيروان، فجدد بناء مسجدها سنة(٨٤ هـ/ ٧٠٣م)، ودون الدواوين وولى الولاة، ثم رحل قاصدا عبد الملك ابن مروان واعتزل الأعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك؛ وتوجه إلى أرض الروم غازيا، فتوفي بها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ط٢، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢؛ الذهبى : تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٣٩٢،٣٩٣ ؛ الصفدى : الوافى بالوفيات تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م، ج١١، ص٢٨٧؛ الزركلى : الأعلام، ج٢، ص ٧٧ .

(٢) الوليد بن عبد الملك : فَهُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وهو سادس خلفاء بنى أمية، بويع له بالخلافة، في منتصف شوال سنة ست وثمانين، وكان مغرماً بالبناء، فتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر،ج١، ص١٩٨؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٩٨٦ م ، ج١، ص ٣٨٨

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٣٩؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ط٣، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة١٩٨٥ م،ج٤، ص١٤٠ .

(٤)ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٢٥٦.

المتوسط وذلك بالسيطرة على أهم الجزر وسط البحر المتوسط ،وأهمها صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكي، ويؤكد تلك الرغبة عزم القائد موسى ابنَ نُصير[١] غازياً بعد أن استكمل فتح الأندلس أَن" يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروب الأندلس ويخوض إليه ما بينهما من بلاد الأعاجم وأمم النصرانية مجاهداً فيهم ومستصحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة في دمشق"[٢] .

ويبدو أَن أباطرة الروم البيزنطيين قد أدركوا هدف العرب المسلمين ، بدليل انهم بذلوا جهوداً كبيرة لحماية أجزاء امبراطوريتهم الغربية ، لدرجة أن الإمبراطور قسطنطين الثاني خليفة هرقل ، اضطر إلى اتخاذ خطوة جريئة لم تتخذ من قبل وهي ترك عاصمة القسطنطينية سنة٤٢هـ/٦٦٢م والإقامة في روما وصقلية[٣] .

.شغل فتح بلاد المغرب مساحة كبيرة في تاريخ العرب العسكرى ويختلف في مراحله وطبيعته عن بقية الفتوحات الإسلامية التي تمت في جهات أخرى مثل بلاد الشام والعراق ومصر علاوة على بلاد فارس ، فنجد أن هذه الجهات السالفة الذكر قد استغرق فتحها وانهارت أمام قوى المسلمين العسكرية في أقل من عشر سنوات ولم يحدث – على الإجمال – نكسات – بعد تمام فتح المسلمين لها ، في حين نجد أن بلاد المغرب قد خرجت عن هذه القاعدة حيث تعرضت الجهود التوسعية الإسلامية فيها بنكسات وهزائم متلاحقة قبل أن تنضم إلى الحكم العربي وتخضع له ، فطوال مراحل الفتح نجد أنه بمجرد تحقيق السيطرة على منطقة أو مدينة ما من قبل المسلمين ، نجد أن القلاقل والثورات ضد المسلمين الفاتحين ليعودوا مرة أخرى إلى نقطة البدء من جديد .

(١) موسى بن نصير : أبو عبد الرحمن والى أفريقية والمغرب وصاحب فتح الأندلس، وهو من التابعين، توفى سنة (٩٩هـ/٧١٧م) . الضبى : بغية الملتمس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨٩م، ج٢، ص٦٠٧؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٢٥٢؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٣٩ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص٢٣.

(٢)ـ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،٤/٢٥٥.

(٣)ـ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص٣٥.

قد تدخلت العديد من العوامل في حدوث مثل هذه النكسات والهزائم ، من هذه العوامل ما هو مختص بالجبهة العربية الإسلامية ونعني به المنازعات السياسية الداخلية داخل الخلافة والتي ساعدت بشكل كبير على الحيلولة دون حسم الموقف العسكري على أرض المغرب بصورة كاملة ، ومن هذه العوامل ما هو مختص بالجبهة المغربية ونعني به الطبيعة الجغرافية المميزة بلاد المغرب ، فلم يتعود المسلمون على الطبيعة الجبلية الوعرة وهو ما يميز طبيعة بلاد المغرب الجغرافية .

وتعنى به أيضا القبائل البريرية المنتشرة ببلاد المغرب والتي احترفت حياة الحرب والقتال فوقفت موقف الند للند إزاء القوى الإسلامية فاستطاعت التغلب عليها في أوقات ومعارك كثيرة ، نظرا لأنها الأعلم والأعرف بطبيعة بلادها الجغرافية والتي تتميز بوعورة التضاريس وهو ما لم يعهده العربي الناشئ في الأراضي المتوسطة – نوعا ما – في شبه الجزيرة أو الشام أو مصر

ولاية عمرو بن العاص (٢٠ – ٢٤ هـ):

تعود البدايات الأولى لفتح المغرب إلى مطلع العقد الثالث من القرن الأول للهجرة في وقت كان عمرو بن العام – أحد قواد الفتح – قد أنهى السيطرة على مصر خلال سنوات ثلاث (١٨ – ٢١ هـ / ٦٣٩ – ٦٤٢ م) ثم تابع سيره غربا إلى برقة لتأمين فتح مصر لا سيما وقد تأكدت الاتصالات بين حاكم الإسكندرية وحاكم برقة وتعاونهما لصد جيش المسلمين.

ففيما ذكره الواقدي أن حاكم الاسكندرية – ابن المقوقس – حاول الاستعانة بحاكم برقة فأرسل إليه رسالة من نصها :" ***وأنهم قد أتونا وأخذوا مصر وأخذوا ملكنا وحكيرا في بلادنا بعدنا ولابد لهم منك ولا غنى لهم عنك والصواب أن تشمر لهم الهمم وتجدنا على من بغي وأجرم فنحن جيرانك وكلنا جندك وأعوانك***" ، وخصوصا أن ولايتى برقة وطرابلس اقليمين تابعين لمصر منذ عهد الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)[١] .

(١)حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب،ص٥٠.

ويذكر الواقدي أيضا أن صاحب برقة بعدما استشار أرباب دولته أرسل بنجدة إلى صاحب مصر وعليه فقد كان احتمال مهاجمة الروم للمسلمين من الغرب احتمال يصل إلى درجة الأمر المؤكد مما دعا عمرو بن العاص أن يتخذ موقفا حذرا ويجعله يقوم باستطلاع الإقليم المجاور لمصر والإسكندرية غربا ويرسل الطلائع لجمع الأخبار التي ستسفر – كما سترى – عن وصول المسلمين إلى زويلة والسيطرة على برقة .

ولم تكن هناك أية خطة منظمة للتوسع أبعد من ذلك ، فقد استخدم عمرو بن العاص قوة عسكرية كانت جزء من قوات الخلافة المنتشرة في بلاد المشرق لأغراض عسكرية ، وعليه لم تكن هذه القوة كافية لعمل توسعى جديد علاوة على أن الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣هـ) كان متشددا تجاه توغل المسلمين ناحية الغرب وعليه فقد اكتفى عمرو ابن العاص بتحقيق نوع من السيادة غير الفعلية انحصرت في وجود حاميات صغيرة من الجند وفي أخذ الضرائب من السكان ، فبعد أن أتم عمرو فتح الإسكندرية سلكت قواته الطريق المحاذي للساحل إلى برقة التي كانت معقلاً من معاقل البربر وتسكنها قبائل لواتة المغربية ويبدو أن سقوط الإسكندرية قد أحدث ارتباكا في صفوف البيزنطيين قلم يقوموا بأي عملية ردع للغزو العربي على المنطقة ، أو يبدو أن التواجد العسكري للبيزنطيين كان في المنطقة المعتدة إلى الغرب من طرابلس حيث قاعدة الروم الشهيرة قرطاجنة.

لذا فإن عمرو بن العاص نفذ خطته لدخول المغرب عبر برقة التي استسلمت له دون آية مقاومة ورحبت به قبيلتها لواتة البترية وفرض عليهم ضريبة تقدر بثلاثة عشر ألف دينار سنويا ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن أهل برقة ربما كانوا ساخطين على حكامهم البيزنطيين لظلمهم وجورهم فدخلوا الإسلام مقتنعين به ورأوا في قدوم العرب ما يخلصهم من هذا الظلم وظل ولاهم للمسلمين طوال مراحل الفتح التي استغرقت أكثر من ثلاثة أرباع القرن دون أن يتألبوا على

السيطرة العربية وهو شيء نادر جدا لم يتكرر حدوثه في أية مدينة تم افتتاحها خلال تلك المراحل .وصالح أهلها على جزية قدرها نحو ثلاثة عشر ألف دينار [١] .

ومن هذه المنطقة تابع عمرو بن العاص سيره بمحاذاة الساحل إلى طرابلس Tripolis (المدن الثلاث) وهي مدينة حصينة استطاع البيزنطيون تحصينها بالأسوار من جميع الجوات باستثناء الجهة المطلة على البحر ، ولكن طرابلس سقطت بعد شهر من حصارها حيث تسلل المسلمون إليها من ناحية البحر فسقطت المدينة رغم استنجاد أهلها بقبائل نفوسة البربرية لفك الحصار عن المدينة وفرض عمرو بن العاص الجزية على أهل طرابلس في عام ٢٢ هـ/ ٦٤٣م [٢].

ويروى الحميري – صاحب الأقطار أحداث فتح مدينة طرابلس حيث يقول :

"وذكر أن عمرو العاص غزا مدينة طرابلس عام ثلاثة وعشرين للهجرة حتى نزل التي على الشرف من شرقها فحاصرها أشهرا لا يقدر منهم شيء فخرج رجل من بني مدلج ذات من معسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا بغرب المدينة ولم يكن فيه البحر والمدينة سور وكانت سفن البحر شارعة إلى فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر غاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى أتوا ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكن للروم مفزع سفنهم وأقبل دخل كان بالمدينة».

واستسلمت بعد طرابلس مدينة سرت حيث كانت اخر مدينة بلغها المسلمون على الساحل الإفريقي الشمالي، ولم يتحرك المسلمون باتجاه الساحل فقط ولكن من الجيش الإسلامي اتجه الداخل او نحو الجنوب فتفرقت حملة عسكرية عن الحملة الرئيسة التي تحت قيادة عمرو بن العاص،وكان قائد قائد تلك الحملة الفرعية هو عقبة نافع الفهري فبعد سقوط مدينة برقة قاد عقبة بن نافع بن حملة اتجهت إلى الجنوب لصد أي هجوم من القبائل البربرية ضد القوة العربية،فحقق انتصارات مهمة وملموسة في ودان وفزان وزويلة وظل هذا القائد سنوات طويلة بين البربر استطاع فيها أن يجذب كثير من أفراد القبائل البربرية للدخول في الإسلام بفضل

[١]. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٣٤.

[٢]. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٣٤.

شخصيته القوية وإيمانه العميق وقد استعانت به الدولة الأموية في استكمال الفتوحات العربية المنظمة لبلاد المغرب في عهدهم – كما سنرى –

ويذكر كثير من المؤرخين فتح زويلة فيقول الحميري – على سبيل المثال أنه:" لما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها [١]وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين، ويزيد البلاذري أنه : بلية ما بين زويلة وبرقة كلهم حسنت طاعتهم وقد أدى مسلموهم الصدقة وأقر معاهديهم بالجزية ".

وبالإضافة إلى زويلة افتتح عقبة كثير من القصور الواقعة في تلك المنطقة مثل قصور واجان وكوار وعاملهم مثل معاملته لأهل زويلة ميدان وتجدر الإشارة إلى أن عمرو بن العاص أثناء حصاره لطرابلس وجه عمرو بن العاص قوة نحو الداخل أسند قيادتها إلى نسر بن ابي أرطاة لإخضاع جبل نفوسة[٢] ، ثم مدينة ودان ، إذ أمن أهلها سنة ٢٣هـ/٦٤٣م[٣] . فافتتحها وبذلك يكون قد أمن جنوب طرابلس كما أمن جنوب برقة باستيلائه على فزان وزويلة.

وقد أرسل عمرو بن العاص بعد أن أتم فتح طرابلس إلى الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب يستأذنه في مواصلة واستكمال الفتح ناحية الغرب وكان من نص الرسالة التي بعثها إلى الخليفة :" إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل".

ولكن عمر بن الخطاب لم يأذن لعمرو بمواصلة الفتح في بلاد المغرب أو إفريقية وكتب إليه ينهاه عنها ويقول : «ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم» . الذي

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص١٩٨.

[٢]. ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم(ت١٠٩٢هـ)، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، تحقيق: محمد سمام، المكتبة العتيقة، تونس،١٩٦٧م،ص٢٦.

[٣]. خليل السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٥٤.

لم يشأ أن يجازف بأرواح المسلمين في تلك المجاهل، وأمر عمرو بن العاص بالرجوع إلى مصر حيث تذكر رواية ابن عبد الحكم أن الروم حاولوا نكث عهودهم مع عمرو في مصر لذا اجتمعت أسباب عديدة في وقف مواصلة الفتح ورجوع عمرو بن العاص ، منها : عدم رغبة الخليفة في التوسع بعد أن طالت المسافة بين مقر الخلافة – المدينة المنورة – وخط الفتوحات التي شملت بلاد الشام وفلسطين ومصر وبرقة وطرابلس في زمن قصير لا يتعدى عشر سنوات كذلك ما عرف عن أهل إفريقية من الغدر وهو ما سوف نجده في بعض أحداث الفتح التالية إضافة إلى نقض الروم لعهد عمرو بن العاص في مصر

وعاد عمرو بن العاص إلى مصر – المعروف أنه والى الخلافة الراشدة على مصر – بأمر الخليفة ولم يمر سوى عام واحد حتى اغتيل عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان الحكم من بعده (٢٣ – ٣٥ هـ) وبعدها بقليل قام الخليفة الجديد بعزل عمرو بن العاص الذي يعد أول قائد عربي يرتبط اسمه بالفتوحات الإسلامية في إفريقية وقام بتعيين سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي السرح[١] ﷺ مكانه في عام ٢٤ هـ.

ولاية عبد الله بن أبي السرح (٢٤ – ٢٨ هـ) :

قد تابع عبد الله بن أبي السرح خطة عمرو بن العاص السابقة فكان يبعث المسلمين في حملات استطلاعية – يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الجرائد – وكانت هذه الجرائد تتم بموافقة الخليفة نفسه وهذا ما يوضح اختلاف سياسة كل من الخليفتين عمر وعثمان إزاء قضية الفتوحات في بلاد المغرب ، فعمر بن الخطاب كان يكتفي بالوقوف عند الحد الذي وصلت إليه الفتوح في عهده في حين رأي عثمان بن عفان أن ظروف الدولة من الناحية السياسية والمالية تسمح

(١)عبد الله بن سعد بن أبي السرح : يكنى أَبَا يَحْيَى، أسلم قبل الْفَتْح، وهاجر، وَكَانَ يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، ثُمَّ ارتد مشركا، فلما كَانَ يَوْم الْفَتْح أمر رَسُول اللَّهِ ﷺ بقتله، ففر عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي السرح إِلَى عُثْمَان، فغيبه عُثْمَان حَتَّى أتى بِهِ رَسُول اللَّهِ ﷺ بعد ما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه لَهُ، وأسلم عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي السرح أيام الْفَتْح، فحسن إسلامه ، ثُمَّ ولاه سيدنا عُثْمَانﷺ بعد ذَلِكَ مصر فِي سنة خمس وعشرين، وفتح على يديه إفريقية سنة سبع وعشرين،وغزا غزوة الصواري ،وبعد مقتل سيدناعثمانﷺ اعتزل عبد الله الفتنة ، وخرج إلى عسقلان فمات فيها سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م). القرطبى : الإستيعاب، ج٣، ص ٩١٨، ٩١٩؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٣، ص٢٦٠.

بمواصلة الفتوحات وتم الإعداد لفتح بلاد المغرب في مقر الخلافة حيث دعا عثمان بن عفان كبار الصحابة ليأخذ رأيهم في هذا الشأن وتمت الموافقة على ذلك الذى آخذ يدعو الناس إلى الجهاد، ويحثهم على التطوع، وأعان هو الجيش بألف بعير من ماله، وأمدهم كذلك بالخيل، وعندما وصل عبد الله بن أبى السرح إلى إقليم قمونية[١] فى سهل تونس –أرسل السرايا، لتستكشف البلاد في كل الجهات، وتأتي بالمؤن والعلف، وأرسل له سيدنا عُثْمَان ﷺ مددا بقيادة عبد الله بن الزبير وعرفت هذه الحملة باسم "حملة العبادلة السبعة"[٢] .،وَسمع جرجير بوصول المدد ففت ذَلِك فِي عضده أثراً كبيرا ورفع معنويات الجنود المسلمين[٣] . وفي مصر زودت هذه الحملة بقوات إضافية من حامية الفسطاط فصار عددها نحو عشرين ألفا من المقاتلين،وسار عبد الله بن سعد بهذا العدد الكبير إلى المغرب الأدنى متخذا الطريق لمحاذي

للساحل الشمالي وذلك في عام ٢٧ هـ، ويلاحظ من خلال تحركات المسلمين أنهم اتخذوا الطريق الساحلي فأصبح هو الطريق أو المعبر التقليدي لحملاتهم العسكرية نحو المغرب حيث تحاشى المسلمون دخول الصحراء حيث المدن والمواقع العمرانية والحضارية.

هكذا تم تم التخطيط لفتح افريقية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فعلى حد قول أبو بكر الطرطوشى[٤] عن الحرب يقول أن " جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير، وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة، وقائدها **الرفق** وسائقها النصر [١] .

(١) قمونية : بالفتح، وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة: مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان .ياقوت الحموى، ج٤، ص ٣٩٩.

(٢)- وهم: ((عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن زيد بن الخطاب وعبد الله بن أبي بكر ،اضافة لقائدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح. أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم القيروانى : طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيقعلي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر١٩٦٨م،ص٧٣ـ٧٤ـ٧٥.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٠،٢١١؛ابن الأثير : الكامل، ج٢،ص٤٦٣،٤٦٤؛ ابن خلدون : العبر، ج ٢،ص ٥٧٤ ؛ السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء(د.ت)،ج١،ص٩٣.

(٤) أبو بكر الطرطوشى : هو الإمام العابد العالم محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي ولد في مدينة طرطوشة الأندلسية سنة(٤٥١هـ/١٠٥٩م)، انتقل إلى سرقسطة وتتلمذ على يد أبي

وفي تلك الأثناء كانت أخبار تقدم قوات المسلمين قد وصلت إلى حاكم إفريقية من قبل السلطة البيزنطية ويدعى جريجو ريوس أو جرجير – حسبما تورد اسمه المصادر العربية ، وهو الذي كان قد خلع طاعة الإمبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب العربي[٢] ، اتخذ من مدينة قرطاجنة عاصمة له، كما كانت خطته للتصدي للهجوم الإسلامي قد اعتمدت على محاور عديدة منها جمع قواته التي تفوقت عدديا على القوات الإسلامية حيث يذكر كل من ابن الأثير وابن خلدون أن عددها كان مائة وعشرين ألفا من الفرنج والروح والبربر ، كما اعتمد على أن يجعل أهل طرابلس يقومون بعصيان وتمرد على الحكم الإسلامي وفي ذلك محاولة منه لإنهاك قوى المسلمين قبل الوصول إليه ولكن المسلمون رفعوا حصارهم عن مدينة طرابلس المتمردة وتوجهوا مباشرة نحو العاصمة قرطاجنة.

وفي مدينة برقة التقت حملة العبادلة بحامية برقة التى يقودها عقبة بن نافع الفهري ، وقد اشتبك المسلمون مع البيزنطيين في مكان بعيد عن الساحل قرب مدينة سبيطلة وتحديدا في مكان يسمى عقوبة يقع على مسيرة يوم وليلة من سبيطلة بعد أن عرض المسلمون عليهم الإسلام أو الجزية فرفضوا واستمر القتال أياما انتهى بمقتل جرجير وعدد ضخم من جنوده وتفرق الناجون منهم في اتجاهات مختلفة بعدما منيوا بهذه الهزيمة النكراء ويذكر ابن عذاري أن من قتل جرجير هو عبد الله بن الزبير ، لقد ادى سقوط مدينة سبيطلة بيد المسلمين إلى انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير. وهرب الروم البيزنطيين الى الحصون والمعاقل ، وأذعن رؤسائهم لمطالب المسلمين بدفع مبالغ كبيرة بلغت الثلاثمائة قنطار من الذهب.

استغرقت هذه الحملة تقريباً الخمسة عشر شهراً ، انسحب بعدها أبن أبي سرح عائداً إلى الفسطاط ، وقام الروم بإفريقية بدفع الجزية وطلب الصلح وبعد أن وقع عبد الله بن سعد الصلح

الوليد الباجي، رحل إلى المشرق، وأستقر بالأسكندرية و تُوُفِّيَ بها، فِي جُمَادَى الأُوْلَى، سَنَةَ (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) ،وله العديد من المؤلفات مثل : سراج الملوك ،مختصر تفسير الثعالبي، الكتاب الكبير في مسائل الخلاف. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١٧، ص٥٦٠؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء، ج١٩،٤٩٦ .

(١) الطرطوشى : سراج الملوك، ص ٦٨٩.

(٢)خليل السامرائي : تاريخ المغرب العربي،ص٥٦.

عاد إلى مصر مكتفيا بما حققه من انتصار باهر دون أن يتابع هذا النصر بحملات متلاحقة أو دون أن يترك حامية أو قاعدة عسكرية عربية تحافظ على هذا الانتصار ، أو أن يترك حاميات في المناطق والمدن التي فتحت ، أو في تلك التي دخلت في أمانه[١] في حين يروى ابن عذاري أنه عاد عام ٣٣ هـ لغزو إفريقية مرة أخرى حينما نقض أهلها العهد مع المسلمين.

ولكن توقف الأعمال الحربية للمسلمين لا ينفى أهمية النتائج التي تحققت بانتصار المسلمين في موقعة سبيطلة التي تعد ضربة قوية أصابت معنويات البيزنطيين كما استطاع المسلمون فيها – في هذه الحملة – استعادة طرابلس وإحكام السيطرة عليها

ولكن رواية ابن عذارى تفرد دون روايات المؤرخين الآخرين نزول عبد الله بن سعد على مدينة قرطاجنة وذلك بعد هزيمة البيزنطيين في موقعة سبيطلة ، فيقول : «فحاصرها ومن كان معه من المسلمين حصارا شديدا حتى فتحت فأصاب فيها من السبي والأموال الكثير وكان أكثر أموالهم الذهب والفضة وعرف من البربر أن هذا من الزيتون وزيت الزيتون ، وكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار عينا وسهم الراجل ألف دينار ، وقسم ابن أبي سرح السرايا والغارات من مدينة سبيطلة فبلغت جيوشه بقصر قفصة فسبوا وغنموا كثيرا وأذلت هذه المعركة الروم بإفريقية فلجئوا إلى الحصون والمعاقل ثم طلبوا من عبد الله بن سعد أن يقبض منهم ثلاثمائة قنطار من الذهب في السنة جزية على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك» .

وبذلك كانت الحملة التي قادها عبد الله بن أبي السرح إلى إفريقية العمل العسكري البارز في عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي ديت الفتنة في نهايات مدة خلافته وأصيبت الحملات العسكرية بركود حتى نهاية الخلافة الراشدة نظرا للفتن والمنازعات السياسية الداخلية ليس ذلك على الجبهة المغربية فقط ولكن في شتى الجهات التي شهدت فتوحات المسلمين في بلاد الشام وفارس والبحر المتوسط، وبسبب أحداث الفتنة الكبرى التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن

[١]. ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب،ص٢٤٦-٢٤٧.

عفان((رضي الله عنه)) توقفت عمليات فتح المغرب حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان [١] سنة(٤١هـ/٦٤١م)[٢] .

هذا وقد اعاد معاوية بن أبي سفيان القائد عمرو بن العاص إلى ولاية الفسطاط واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة(٤٣هـ/٦٦٣م) ، لكن لم يسجل أي نشاط خلال الولاية الثانية ، وربما يعود لكبر سنه وعدم مقدرته على قيادة الحملات والجيوش ومواصلة العمليات العسكرية .

ولاية عمرو بن العاص الثانية (٢٨ – ت ٤٤ هـ) :

وقد استمر هذا الوضع حتى بداية العصر الأموى ٤١ هـ/ ٦٦٢ ، فعندما حسم الموقف لصالح معاوية بن أبي سفيان في حادثة التحكيم ، أعيد عمرو ابن العاص إلى مركزه السابق كوالى على مصر وما كاد يعود إلى الفسطاط حتى أخذ يخطط لتوسعة ولايته باتجاه الغرب والجنوب عن طريق حملات دورية صغيرة ، فخضعت بعض القبائل البربرية ولكن بصورة غير فعلية وغير حقيقية حيث ستراهم يقومون بحركات تمرد وعصيان عندما تسمح الفرص بذلك وكان ساعد عمرو بن العاص الأيمن – في هذه الحملات هو عقبة بن نافع الفهري الذي يتصل بصلة قرابة بعمروولكن تلك الحملات لم تأت بنتيجة عسكرية حاسمة وإنما كانت مجرد حملات استطلاعية أو دفاعية ضد القبائل البربرية المتذبذبة في ولائها للمسلمين ويرجع ذلك إلى تقدم عمرو بن العاص في السن ويوفاة عمرو في عام ٤٤ هـ/ ٦٦٠ م يعلن خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠ هـ) قراره بأن يفصل بين ولاية مصر وبين ولاية إفريقية اذ تولى

(١) معاوية بن أبي سفيان : هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند بنت عتبة، وُلد قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عامًا، ،أسلم عام الفتح، سنة (٨هـ)، ، وأصبح منذ أن أسلم كاتبًا من كتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وشارك في في حروب الردة، وفي فتوح الشام ،عينه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليا علي الشام كله سنة (١٨هـ) ،و أقره سيدنا عثمان (٢٣ - ٣٦هـ) علي الشام، وبويع بالخلافة لما تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه عن الخلافة له، ومَاتَ مُعَاوِية رضي الله عنه بِدِمَشْق يوْم الْخَمِيس لثمان بَقِينَ من رَجَب وَهُوَ ابْن اثْنَتَين وَثَمَانِينَ سنة وَيُقَال ثَمَانِينَ وَيُقَال سِتّ وَثَمَانِينَ وَكَانَت ولَايته تسع عشرَة سنة وَثَلَاثَة أشهر وَعشْرين يوْمًا . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ،ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧ هـ، ص٢٢٦؛ أبو الفداء عماد الدين :المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية(د.ت) ج١، ص١٨٤.

(٢)– ابن الأثير : الكامل في التاريخ،ج٢، ص٤٧–٤٩.

أمرها معاوية بن حديج الكندي[1] ، وقد استمر هذا القرار حتى عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م عندما عين مسلمة بن مخلد واليا على مصر والمغرب معا.

ب – الفتوحات في عصر الدولة الأموية :

(١) فتوحات العهد السفياني (٤١ – ٦٣ هـ) :

ولاية معاوية بن خديج الكندى : (٤٥ – ٤٨ هـ) :

بعد وفاة عمرو بن العاص وانفصال المغرب عن ولاية مصر ، أصدر الخليفة الأموى معاوية بن أبي سفيان قرارا بتعيين قائد على الولاية الجديدة – ولاية المغرب أو إفريقية – وهو معاوية بن حديج الكندي وأمره بالتوجه لمواصلة الفتح لبلاد المغرب وذلك عام ٤٥ هـ وزوده بجيش قوامه على رأس جيش قوامه عشرة الآف مقاتل فيه بعض الصحابة والتابعين، اضافة الى القوة التي كانت في برقة[2] ، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن خلافا نشب بين حاكم هرقل على إفريقية – وهو حاكم جديد عين بعد وفاة جرجير – وبين أهل إفريقية وذلك لأنه طلب منهم أن يؤدوا إليه نفس المبالغ التي كانوا يعطونها للمسلمين على سبيل الجزية مما جعلهم يتذمرون منه ... في حين تذكر بعض المصادر التاريخية الأخرى أن هذا الحاكم الجديد قد طلب بنفسه من الخليفة الأموى أن يرسل جيشا لفتح إفريقية ويبدو أن هناك نزاعا ثم بين هذا الحاكم وبين السلطة البيزنطية، وعليه فقد استغل معاوية بن أبي سفيان فرصة المنازعات وعدم الاستقرار السياسي بين البيزنطيين والبربر وأرسل معاوية بن حديج في تلك الحملة التي غادرت الإسكندرية متخذة الطريق الساحلي مروراً بمدينة طرابلس وانتهى الى الموضع الذي نزله عبد الله بن أبي سرح سنة(٢٨هـ) في منطقة قمونية ، وعندما علم البيزنطيون بتحركات المسلمين أرسل هرقل

(١)ـ لقبال، المغرب الإسلامي، ص٢٢.
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب،ج١، ص١٦؛ خليل السامرائي، تاريخ المغرب العربي،ص٦١.

جيشا في البحر مكونا من ثلاثين ألف مقاتل نحو قرطاجنة تحت قيادة نقفور وحاول نقفور إرسال قائد إلى ناحية المسلمين غير أن هذا القائد لم يحقق أي نجاح فقد كانت الروح المعنوية لدى جنوده سيئة للغاية ،وفي هذا المكان دارت معركة بين الجيش العربي الإسلامي والقوات الرومانية البيزنطية بقيادة نقفور التي عدتها ثلاثين ألف مقاتل واسفرت عن هزيمتهم واعتصامهم بمدينة سوسة[١] .

كانت الإمدادت المتوالية التى ترسلها الخلافة الأموية أثرها الكبير فى انتصار جيوشها على البربر وعلى البيزنطيين فى فتوحات بلاد المغرب، حيث كتب الخليفة مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان(٤١-٦٠هـ/ ٦٦١م – ٦٨٠م)إِلَى مَرْوَان بْن الحكم[٢] وَهُوَ عَامله عَلَى الْمَدِينَة :" أَن ابْعَثْ عَبْد الْملك بْن مَرْوَان عَلَى بعث الْمَدِينَة إِلَى بِلَاد الْمغرب " وذلك لكى يكون مدداً لمُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ[٣] . وتقدم معاوية بن حديج الكندي شمالاً فعسكر في موضع مرتفع يقال له القرن ، وقام بتجهيز الحملات ضد الروم البيزنطيين وكانت بالآتي:-

الأولى: وهدفها مدينة سوسة وكان يقودها عبد الله بن الزبير .وهدفها مهاجمة القوات البيزنطية بقيادة نقفور، فأحدث هذا الهجوم ذعرا في صفوف البيزنطيين الذين فروا إلى سفتهم التي حملتهم إلى جزيرة صقلية دون أن يحدث أي اشتباك فعلى بين الطرفين .

---

(١)ابن عذارى : البيان المغرب،ج١، ص١٦.

(٢) مروان بن الحكم : هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى بأبو عبد الملك ، وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه وُلِدَ في حياة النبيﷺ ، سنة اثنتين من الهجرة. وقيل: عام الخندق وابن سعد عَدَّه في الطبقة الأولى من التابعين لأنه لم يرى النَّبِيّ ﷺلأنه خرج إِلَى الطائف طفلا لا يعقل لِمَا نفي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أباه الحكم، فلم يزل بها حَتَّى ولي عُثْمَان بْن عَفَّان، فرده عُثْمَان، فقدم المدينة هُوَ وولده ، واستكتب عثمان مروان، وبويع مروان بالخلافة بالشام (٦٤-٦٥/٦٨٣-٦٨٥م) ، وتوفي مروان بن الحكم بدمشق لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة (٦٥هـ/٦٨٥م)، وهو ابن ثلاث وستين سنة. ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٥، ص٢٦؛ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط،ص٤٠٥؛ القرطبى : الإستيعاب، ج٣، ص١٣٨٧-١٣٨٩.

(٣) معاوية بن حديج : هو معاوية بن حديج بن جفنة بن تجيب أبو نعيم، ويقال: أبو عبد الرحمن السكوني، وقال البخاري: خولاني، شهد فتح مصر وذهبت عينه في غزوة النوبة مع ابن أبي السرح وغزا المغرب مرارًا آخرها سنة خمسين، وولي على برقة سنة (٤٧هـ/ ٦٦٧م) ومات سنة (٥٢ هـ/ ٦٧٢م) ابن عبد البر : الإستيعاب، ج٣، ص ١٤١٤؛ابن حجر : الإصابة،ج٦، ص١١٦ .

الثانية: سرية بقيادة عبد الملك بن مروان لفتح مصر جلولاء[١] وتقع على مسافة نحو عشرين ميلاً من القيروان ، فحاصرها وقتل من أهلها عدداً كثيراً حتى فتحها عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأخذ جميع ما كان في المدينة وحمل ذلك كله إلى معاوية بن حديج (٤٥هـ/ ٦٦٦م) [٢]

الثالثـــة: حملــة قادهــا عقبــة بــن نــافع الفهــري للتوغــل جنوبــاً فــي المنــاطق الصحراوية،واقتحمت قوات رويفع بن ثابت جزيرة جربه ، وأغارت قوات عبد الله بن قيس الفزاري على جزيرة صقلية فنال من سرقوسة كبرى مدن الجزيرة ورجع سالماً، وكلل معاوية بن حديج الكندي جهوده العسكرية ببعض الخدمات العمرانية التي عززت من استقراره العسكري هناك ، اذ عُرف عنه أنه كان أول من اتخذ قاعدة عسكرية ثابتة لقواته في اقليم قمونية، الذي اطلق عليه أسم القيروان ، وحفر بجواره آباراً يشرب منها الجند وسميت آبار حديج ، ويكون ابن حديج بذلك أول قائد عربي إسلامي في أفريقية اختار قيروانا ينزل فيه الجند وحريمهم وذراريهم واثقالهم ، .

قاد معاوية بن حديج حملة بحرية ضد جزيرة صقلية [٣]سنة (٤٩هـ/٦٦٩م) في مائتي راكب ونجح فى النزول على أرضها . وفوَّت على البيزنطيين فرصة استخدامها كقاعدة انطلاق ومركز إمداد لأساطيلهم الحربية المتجهة نحو سواحل مصر أو الشام [٤] .

ولم يستمر معاوية طويلا فى منصبه حيث صدر القرار بعزله في عام ٤٨ هـ / ٦٦٩ م وتعيين قائد آخر هو عقبة بن نافع الذي عرفته ببلاد المغرب واحدا من القادة المعروفين بالجهاد

---

(١) جلولاء : بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا، وهي مدينة قديمة أزلية مبنية بالصخر، ، وكان يحمل من فواكهها إلى القيروان في كل وقت ما لا يحصى ، وهي كثيرة البساتين والأشجار غزيرة الفواكه والثمار، والأزهار والرياحين بها كثيرة جداً، وأكثر رياحينها الياسمين وكان فتحها على يدي عبد الملك بن مروان، م.ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٦؛ الحميرى: الروض المعطار،ص ١٦٨.

(٢)ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢١؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ص٢١٠ ،٢١١؛ ابن الأبار: الحلة السيراء،ط٢، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف - القاهرة١٩٨٥م، ج٢، ص٣٢٣؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج١، ص١٦.

(٣) صقلية : بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وهى من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كلّ زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيّام، وقيل: دورها مسيرة خمسة عشر يوما، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية ، وطول هذه الجزيرة سبعة أيام وعرضها خمسة أيام، وفتحت في سنة اثنتي عشرة ومائتين، فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان، بعث إليها أسد بن الفرات. الاصطخري : المسالك والممالك، ص٥١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦ ،٤١٧؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٣٦٧.

(٤) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ، ج١، ص١٦ - ١٧.

وكان اختيار الخلافة الأموية لعقبة بن نافع مؤشرا لتطور الخطة الأموية في الفتح العربي للمغرب والانتقال من مرحلة الاستطلاع والسرايا العادية لتبدأ مرحلة تتسم بالحملات المنظمة ويكون عقبة بن نافع الرائد لهذه المرحلة

ولاية عقبة بن نافع الأولى (٤٩ – ٥٥ هـ) :

عين عقبة بن نافع والياً على ما فتح المسلمون في بلاد المغرب سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) على أن يستمر في تبعيته لوالي مصر ، وكان أول عمل قام به هو تأسيس مدينة القيروان ،حيث أدرك أنه لكي يستقر الأمر للمسلمين في إفريقية ويكف أهلها عن الارتداد، فلا بد من بناء قاعدة ثابتة للمسلمين ينطلقون منها في غزواتهم، ويعودون إليها ويأمنون فيها على أهلهم وأموالهم، ولتكون قاعدة للجند الإسلامي وتكون قريبة من مركز القيادة العسكرية في الفسطاط،وعندما أسند إليه معاوية بن أبي سفيان قيادة الفتوحات في إفريقية، أمده بعشرة آلاف فارس وانضم إليه من أسلم من البربر [١] . و أن الحملات العسكرية المنظمة التي استهدفت فتح المغرب إنما بدأت مع عقبة الفهرى حيث تتأرجح بدايتها ما بين (٤٩ هـ وعام ٥٠ هـ) ، حيث كان عقبة بن نافع على دراية كبيرة بأحوال أفريقية ومسالكها، ولهذا سلك بجيوش المسلمين طريق الصحراء عبر الواحات وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب القادة الذين سبقوه ، والذي أصبح يعرف بالطريق الأعظم[٢]، وبـ(الجادة)[٣] ، وقد بدأ عقبه تحركه العسكرى بسلسلة من الحملات نحو مدينة غدامس وأبقى فيها بعد فتحها حامية بقيادة زهير بن قيس البلوى وكانت هذه خطة عقبة بن نافع في فتحه لبلاد المغرب حيث كانت تقتضى هذه الخطة الاحتفاظ بالأرض وليس الاكتفاء بالغزو فقط .،وبعد خضوع غدامس خضعت فزان وعاصمتها زويلة بالإضافة إلى عدد من المدن

(١) ابن الأثير : الكامل، ج٣، ص٦٢؛ الصَّلاَّبي : الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، ط٢،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان٢٠٠٨ م ، ج١،ص٣٦٣.
(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٢.
(٣)البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، باريس،١٩١١م،ص١٠.

المهمة الواقعة في المغرب الأدنى، وتروى المصادر التاريخية جهود عقبة بن نافع في تلك المرحلة فيذكر الحميري على سبيل المثال هذه الفتوحات بما نصه : «من زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر وسار متوجها إلى المغرب وجانب طريق الجادة وأخذ أرض مزاتة فافتتح قصورهم حتى انتهى إلى قفصة ففتحها » .

وعمل عقبة بن نافع على ترسيخ سلطة المسلمين على تلك الأرض بوضع حامية ثابتة تحافظ على ما يكسبه المسلمون من أراض مفتوحة وتؤمن الخطوط الدفاعية للحكم الأموى وتكوين مركز يجمع بين البربر والعرب وهذا لا يتأتى إلا ببناء قاعدة عسكرية على أرض المغرب فكانت مدينة القيروان

وقد ساعدت الظروف السياسية التي أحاطت بالدولة البيزنطية على ترسيخ النفوذ الإسلامي على أرض إفريقية ، فقد كانت الدولة البيزنطية تعاني بعض الاضطرابات الداخلية ، فبعد مقتل الامبراطور قسطنطين الثاني الذي عرف بسياسته العدائية للعرب تفرغ خليفته إلى الاهتمام بحركة التمرد التي قامت في صقلية إحدى الولايات التابعة للامبراطورية

لذا كان الوقت والظروف السياسية في جانب العرب لترسخ النفوذ الأموى في المنطقة ، خاصة وأنه ليس هناك أي مواجهة بيزنطية ذات وزن أو مقاومة من البربر الذين لم يذعنوا للبيزنطيين ومن ثم لم يكن لديهم ولاء لهم . وكان اختيار قاعدة المسلمين العسكرية موضع القيروان في إحدى الوديان ذات الأشجار الكثيفة غير البعيدة عن الساحل وتقع بالتحديد إلى الجنوب من قرطاجنة وإلى الغرب من سوسة . .

ويروي المؤرخون الظروف التي اختار فيها عقبة بن نافع مكان مدينته حيث يورد ابن عذاري فيما يخص ذلك ما نصه :«وقال (عقبة) إنى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا بالإسلام وإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله عز وجل فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر ، فاتفق الناس على ذلك وأن يكون أهلها مرابطين فيها وقالوا : نقربها من البحر ليتم الجهاد والرباط فقال لهم عقبة : أخاف من ملك

القسطنطينية فاتفق رأيهم على موضعها فقال : قربوها من السبخة فإن أكثر دوابكم الإبل تكون إبلكم على بابها في مراعيها أمنة من البربر»[١]، اذ اختار هو مكاناً وسطاً بين الساحل والداخل بحيث يكون قريباً من المرعى ولا يكون قريباً من البحر فيصبح في مرمى الرومان . ولا يبتعد كثيراً في العمق فيكون عرضة لتحركات القبائل الصحراوية ذات الأهواء المتقلبة[٢] .وكان يقول لأصحابه: "أنا اخترت هذا الموضع لئلا تطرقه مراكب الروم فتهلكه وهو وسط البلاد"[٣] .

هذا وقد وصف المؤرخون موقع القيروان ،اذ اشار البكري أنها: "في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة وفي القبلة بحر سفاقس وأقربها منها البحر الشرقي بينهما وبينه مسيرة يوم ،وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ،وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف"[٤] .

وقام عقبة بن نافع حسبما تروى بعض المصادر التاريخية بدعاء أراد به خروج الهوام والوحوش من المكان قائلاً :«أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنا فإنا نازلون ومن وجدناه بعدها قتلناه فنظر الناس بعد ذلك إلى أمر معجب من أن السباع تخرج وهي تحمل أشبالها سمعا وطاعة والذئب يحمل جروه والحية تحمل أولادها ونادي في الناس : كفوا عنهم حتى يرحلوا عنها ، فلما خرج ما فيها من الوحش والسباع والهوام والناس ينظرون إليها حتى أوجعهم حر الشمس فلما لم يروا منها شيئا دخلوا فأمرهم أن يقطعوا الشجر ، وبقيت القيروان أربعين سنة لم ير فيها خشاش ولا هوام»[٥] .

وقد استغرق بناء القيروان نحو أربع سنوات وأول شيء اختطه عقبة بن نافع هو دار الأمارة ثم اختط الى جانبه المسجد الجامع، أما خطط الأهالي فقد وزعت بذلك الأساس القبلي ،

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب، ج ، ص.

[٢] مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص١٤٣-١٤٤.

[٣] البلاذري، فتوح البلدان،ص٢٦٩.

[٤] البكرى : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،ص٢٤.

[٥] البلاذري، فتوح البلدان،ص٢٣٠.

علاوة على الأسواق ومساكن الجنود التي بنيت بصورة تدريجية ، وعمرت مدينة القيروان بمرور الزمن بأنواع الأبنية والمنشآت ،وشد الناس اليها الرحال فسكنوها ،ودامت حركة البناء فيها ما يقارب من الخمس سنوات حتى اكتملت عمارتها سنة(٥٥هـ/٦٧٤م)[١] . ولأجل تأمين الحماية لها وهو حال المدن العربية الإسلامية احيطت بسور محكم مبني من الطين، ولقد نمت المدينة بسرعة مدهشة يساعدها الموقع الجغرافي في منطقة من الأشجار والمراعي وكذلك موقعها على امتداد الخط البري الذي يصل بينها وبين الفسطاط دون أن يكون هناك خطر تتعرض له من قبل البيزنطيين من جهة البحر ، لذا فقد انطلقت من القيروان الحملات الصغيرة التي عرفت باسم السرايا في وقت واحد مع بناء القاعدة، وقاعدة تنطلق منها الجيوش والحملات العسكرية لنشر الإسلام في الأراضي المغربية عامة ،واصبحت مقراً للولاة ومسكناً لقبائل العرب والبربر الذين دخلوا الإسلام وحسن اسلامهم وتعلموا اصول الشريعة الإسلامية، يقول ابن الأثير: "ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ،وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها"[٢] .

وللقيروان دور كبير وواضح في نشر الإسلام ،فشيوخها من أبناء الصحابة ومن التابعين ، وكانوا خير دعاة وخير معين . وهكذا قدر لمدينة القيروان ومنذ البداية أن تؤدي دوراً يشمل النواحي العسكرية والسياسية والحضارية والاجتماعية[٣] .

وقد تم عزل عقبة بن نافع في عام ٥٥ هـ/ ٦٧٤ م وتعيين أبي المهاجر دينا الأنصاري بدلاً عنه ويرجع بعض المؤرخين هذا القرار إلى الخلاف بين عقبة وبين رئيس – والى مصر – مسلمة بن مخلد أو لأن مسلمة أراد أن يتولى ولاية المغرب لواحد مـ الأنصار مثله وهو أبو المهاجر ، وربما يكون السبب في أن الخلافة الأموية نفسها = أرادت تحجيم مكانة عقبة بن نافع العسكرية والسياسية وهو ما اتسم به الخليفة الأمد معاوية بن أبي سفيان.

((١))- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٣/٣٦٦.

((٢))- الكامل في النتاريخ،٣/٢٣٥.

((٣))- المطوي: محمد العروسي، سيرة القيروان، الدار العربية، تونس،١٩٨١م،ص١٧.

ويعزل عقبة انضم إلى صفوف المجاهدين تحت قيادة أبي المهاجر دينار وكان هة القائدان يختلفان في سياستهما نحو فتح بلاد المغرب ، ففي حين اتسم الأول بالحـ والعنف اتسم الثاني بالهدوء والدعة والبراعة في المحاورة والسياسة.

ولاية أبي المهاجر دينار : (٥٥ – ٦٠ هـ) :

استمرت ولاية أبي المهاجر دينار نحو خمس سنوات (٥٥ – ٦٠ هـ) ، وكانت أعماله ذلك الهجوم الذي شنه على معاقل قبيلة أوربة إحدى أقوى قبائل البرانس والتي تسكن جبال الأوراس ، وقد استطاع أبو المهاجر دينار أن يجتذب رأس هذه القبيلة ويدعى كسيلة بن لمزم للإسلام ، وجعله يتعاون معه هو وقبيلة أوربة (التى كانت تدين بالمسيحية) فكسيلة لم يُسلِم بمفرده وإنما أسلم معه نفر كثير من قومه [١]فنجد أن أبو المهاجر دينار عمل على كسب ود قبائل البربر ، والاعتماد عليهم في القضاء على معاقل الروم .

ولكن الأحداث اللاحقة سوف تؤكد على أن إسلام كسيلة ومن تبعه كان ظاهريا وقد استطاع أبو المهاجر دينار بمساعدة كسيلة أن يغزو منطقة تلمسان قلب المغرب الأوسط.

وبعدها عاد أبو المهاجر إلى القيروان ليتصدى بأعمال عسكرية ضد البيزنطيين ، فشن هجوما على مدينة قرطاجنة في عام ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م ولم يتجاوز هذا الهجوم سوى الحصار لمدة قصيرة للمدينة ويبدو أن أبا المهاجر كان يريد من هذا الهجوم أن يتعرف على إمكانيات المدينة الدفاعية ، فتراجع عن حصارها مقابل أن يترك له البيزنطيون جزيرة شريك التى كان يحاصرها القائد حنش بن عبد الله الصنعاني.

فلأبى المهاجر دينار ،دور كبير في تقدم حركة الفتح ونشر الإسلام بين سكان المجتمع المغربي ،لاسيما المغرب الأوسط الذي يعد أول قائد مسلم اوغل فيه ،حتى أصبح سكانه حلفاء يوثق بهم . وقد نجح في تحطيم مقاومة الروم البيزنطيين واقتحام مدينة قرطاجنة . "

وفي عام ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م توفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتولى ابنه يزيد الذي أمر بمجرد توليه منصب الخلافة أن يعاد عقبة بن نافع واليا على المغرب ويستأنف مشروعاته التوسعية التي كان يخطط لها قبل عزله .

---

[١]- خليل السامرائي، المغرب العربي،ص٧١.

وتتحدث الروايات التاريخية عند ابن عذارى وابن عبد الحكم عن أفعال عقبة ابن نافع عندما عاد إلى القيروان من اضطهاده لأبي المهاجر دينار واعتقاله ومن قمعه لقبيلة أوربة الموالية للمسلمين انتقاما من أبي المهاجر ومثل وضع أبي المهاجر في الأصفاد بناء على أوامر عقبة في أثناء غزو المسلمين لمنطقة السوس بالمغرب الأقصى ويعتقد أن هذه الروايات كانت بها كثير من المبالغات التي لا تتفق أحداثها مع شخصية عقبة بن نافع كما أنها تضر بمصالحه التي هي مصالح المسلمين نفسهابالمنطقة .

كذلك لجأ عقبة بن نافع لسياسةِ اتخاذِ الرهائنِ، وذلكَ حتى يضمنوا ولاَء القبائلِ البربرية فأتخذ رهائنَ مِنْ قبائلِ المصامدةِ[١] وتركَ بعضَ أصحابِه يعلمونَهُمُ القرآنَ والإسلامَ[٢]،

فأصبح عقبة واليا يتبع الخليفة الأموي بدمشق فخرج بحملة نحو المغرب الأقصى المشهورة في بلاد المغرب ،اذ استخلف زهير بن قيس البلوي وعمر بن علي القرشي على مدينة القيروان، وقد أكد عقبة مهمته الجهادية بوصيته لأولاده التي جاء فيها: "اني قد بعت نفسي من الله ،فلا أزال أجاهد من كفر بالله ،وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا"[٣] . وقدرت حملة عقبة بعشرة آلاف مقاتل[٤] .

وأثناء سيره نحو المغرب الأقصى استطاع غزو بجاية على الإفريقي إلى الغرب من قرطاجنة والواقعة منطقة مع البيزنطيين كانت من أعنف المعارك حيث تراجع البيزنطيون داخل وحاصرها

(١) المصامدة : بفتح الميم، والصاد المهملة، والميم الأخرى المكسورة، بينهما الألف، وفي آخرها الدال المهملة، وهم من ولد مصمود بن يونس من بربر البرنس ، وهم أكثر قبائل البربر بالمغرب الأقصى ولهم بلاد كثيرة يقال لها بلاد المصامدة: وهم قوم سود طوال، ومن بطونهم غمارة، و برغواطة أهل تامسنا وما اتصل بها ومنهم أهل جبل درن القائمون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج٣، ص٢١٩؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ج٦، ص ٢٧٥؛ الأنساب : السمعانى، ج ٥ ، ص ٣٠٨، ٣٠٩؛ القلقشندي : قلائد الجمان، ص ١٦٩؛ السلاوى: الإستقصا فى ألأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر السلاوى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧م، ج١، ص ١٢١.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١، ص ٤٢ .

(٣) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،ص٥١.

((٤))ـ الدباغ، المصدر السابق،٤٧/١.

عقبة مدة طويلة ثم متجها نحو الجنوب ليتخذ طريقا محاذيا للسفوح الشمالية لجبال وعليه فقد اجتاح إقليم الزاب في المغرب ودخل مدينة المسيلة بعدما طرد البيزنطيين وحلفائهم من البربر قبائل لواته وهوارة ومكناسة وتابع إلى مدينة تاهرت وبذلك تمت له السيطرة الكاملة على المغرب الأوسط ومن تمهد الطريق نحو اختراق من المغرب الأقصى وكان موقف القبائل البربرية زال غامضا التوجه الجانب البيزنطي وإن كانت القبائل المنتمية إلى البرانس قد رأت مصالحها الجانب البيزنطي ومن كانوا يساعدونهم ضد الجانب العربي بقاء القواعد يعيشون في مناطق محاذية لها السواحل واستمر عقبة بن نافع في سيره المغرب الأقصى حتى طنجة ذات الاستراتيجي الفريد على المدخل الغربي للبحر المتوسط وكانت والمنطقة المحيطة – طنجة وسبتة تحتل وتتمتع بقدر الاستقلال مما أعطى يوليان استقلالية في الحكم واتخاذ القرار المناسب الجانب العربي .

وما وصل عقبة إلى طنجة حتى اتجه الجنوب ووصل بقواته إلى وليلي الواقعة على مسافة قريبة فاس وأنزل بقبيلة مصمودة التي تسكن الأوسط ضربة قوية جعلتهم يفرون الصحراء واقتفى حتى وصل درعة الجنوب اتجه عقبة نحو الشواطئ الغربية للمغرب الأقصى قبيلة صنهاجة خضعت له مدينة أغمات (إلى الشمال الشرقي من بعد حصار قصير مدينة نفيس وتقع الغرب مدينة أغمات وتعتبر المراكز المهمة حتى وصل السيوس الأقصى حيث قواته المنطقة دون مقاومة وسيطر على مدنه الرئيسة وأهمها العاصمة إيجلي وخضعت قبائل مثل قبائل جزولة وأجابته قبول دعوته للدخول في الإسلام إلى مدينة ماسة

وعندها وقف على المحيط وأخذ الحماس بمشاعره فأوغل بفرسه وسط الماء ثم لوى عنان فرسه ،وقيل أنه دخل مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن فرسه ورفع يده الى السماء معتذراً قائلاً: "اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك"[١] .

---

[١]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٧٢.

. وحينما وصل عقبة الى موقع طبنه التي تبعد عن القيروان نحوا من ٣٠٠كم ،ترك لجنوده حرية العودة الى ديارهم بالقيروان ،ولم يبقى معه سوى بضعة آلاف ،وقيل أنهم كانوا خمسة آلاف فقط[١] .

وفي العودة وبعد اطمأن إلى أنجزه في المغرب الأقصى حدث ما لم يكن متوقعا فعند وصوله طبنة إقليم الزاب أنحاء المنطقة وبقى ومعه عدد قليل من جنوده يتجاوزوا الخمسة آلاف حيث استدرجه الزعيم البربري كسيلة بن لمزم الذي كان متحالفا مع المسلمين في ولاية أبي دينار

وكان اعتراض كسيلة للزعيم العربي في مدينة تهودة في منطقة الأوراس ومعه قوة من البرنطيين الذين أحاطوا بعقبة وجنوده من الشمال وحيث أن القوى العسكرية والعددية كانت غير متكافئة فقد دخل الطرفان في معركة عنيفة قتل فيها عقبة بن نافع وعدد آخر من القواد كان من بينهم أبي المهاجر دينار.

وكان لهذه المعركة نتائج سيئة بالنسبة للجانب العربي ، فقد كانت قوات كسيلة تبلغ الخمسين ألفا فقد زحفت القوات البربرية نحو القيروان وكان عليها من قبل عقبة بن نافع القائد زهير بن قيس واختلفت آراء الجند المسلمين حول التصدي لقوات كسيلة رغم ضعف وقلة القوات المسلمة بين الانسحاب من القيروان وانتهى الأمر بأن ترك زهير ابن قيس المدينة لكسيلة وانسحب بمن بقي معه من الجند إلى برقة ودخلها كسيلة وأصبح أميرا عليها مدة خمس سنوات (٦٤ – ٦٩ هـ) وتعتبر الحملة التي قام بها عقبة بن نافع قبل مقتله أول حملة في إفريقية تأخذ الطابع المنظم ، حيث أنها اعتمدت على تحقيق هدفين في وقت واحد ه الهدف الأول هو تطويق نفوذ البيزنطيين وإنهاء حامياتهم المنتشرة على السواحل المغربية

ه الهدف الثاني وهو الأهم ترسيخ الحكم العربي بين القبائل البربرية ودعوة قبائلهم إلى الإسلام . واعتبر كثير من المؤرخين قتل عقبة في تهودة مأساة حقيقية وإن لم يفن الجيش كله في هذه

---

[١]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب،٢٩/١؛ ويذكر صاحب الاستقصاء :أن العدد ثلاثمئة فارس. ٨٤/١.

المعركة ، غير أن انسحاب بقية الجيش أدى إلى خروج بلاد المغرب من طنجة إلى القيروان على الحكم الإسلامي ، فلم يهتم الجنود المسلمون بدعوة زهير بن قيس وندائه إليهم :

«يا معشر المسلمين إن أصحابكم دخلوا الجنة وقد من الله عليهم بالشهادة فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك» وأثروا الانسحاب واضطر زهير إلى العودة معهم وسار إلى برقة وأقام بها.

(٢) الفتوحات في العهد المرواني (٦٥ – ١٣٢ هـ) :

كانت معركة تهودة وانسحاب بقية الجيش الأموى إلى برقة بمثابة كارثة على العرب المسلمين ، فقد فقدوا في تلك المعركة كل مجهودات السنوات الطويلة السابقة ورجعوا إلى نقطة البداية من الناحية العسكرية ، وهذا يعني أن مجهودات الأربعين عاما السابقة لإقامة حكم راسخ في بلاد المغرب قد منيت بالفشل لذا كان يجب أن تستأنف الحملات المنظمة للفتح والاستقرار النهائي وهذه الغاية الأخيرة – الاستقرار – سوف نجد أنها السمة المميزة للفتوحات الإسلامية للمغرب في العهد المرواني للدولة الأموية فمن المعروف أنه بوفاة يزيد بن معاوية ، قامت الثورات في العراق ثم في مكة بزعامة عبد الله بن الزبير الذي انتشرت سيادته على العراق ومصر فضلاً عن بلاد الحجاز أما في دمشق عاصمة الأمويين فقد ترك معاوية بن يزيد الحكم لينتهي بذلك زعامة البيت السفياني للخلافة ويبدأ زعامة البيت المرواني خاصة بعد انعقاد مؤتمر الجابية في عام ٦٤ هـ وإعلان مروان بن الحكم [١]، خليفة أمويا في ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م.

(١) مروان بن الحكم : هُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ في مكة، وكان كاتب ابن عمه عثمان ودافع عنه يوم الدار، وتولي ولاية المدينة في عهد سيدنا معاوية، بعد اعتزال معاوية بن يزيد الخلافة، دعا مروان إلي نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤ هـ ، توفي سنة ٦٥ هـ بالطاعون. وقيل: غطَّته زوجته أم خالد بالوسادة وهو نائم، فقتلته. فدام حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوماً .ابن الأثير : الكامل ، ج٣، ص ٢٧٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج٨،ص ٢٥٧ .

*ولاية زهير بن قيس البلوى (٦٣ – ٦٩ هـ)

وفي عهد عبد الملك بن مروان[١] (٦٥ – ٨٦ هـ/) الذي استطاع إخماد ثورات كثيرة عرقلت سياسة الفتوحات للدولة الأموية ، وخاصة ثورات عبد الله بن الزبير بدأ توجيه الأنظار نحو بلاد المغرب ، فعهد إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية في عام ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م وزوده بعناصر إضافية من الجيش الشامي وأرسل أخاه عبد العزيز بن مروان على رأس هذا الجيش ويرى بعض المؤرخين أن عبد العزيز بن مروان كان بمثابة الجندي المجهول والمنظم والمسئول الأول عن العمليات المنظمة التي نتج عنها فتح المغرب بصورة نهائية والسيطرة عليه وكان هو المسئول عن اختيار القائد الذي ارتبط اسمه بمنطقة المغرب وهو القائد : موسى بن نصير أحد مستشاري عبد العزيز بن مروان وأخلص المقربين إليه

وعند وصول القوات الشامية إلى زهير بن قيس سار بجيشه متخذا التقليدي إلى القيروان ، وعندما اقترب من مدينة قونية ، علم الزعيم البربري كسيلة بمقدمه فاستشار أشراف القبائل وعرض عليهم اختيار مكان اللقاء في ممس (وهي مدينة بيزنطية قديمة تقع في جنوبي القيروان) بحيث إذا هزم المسلمين قام بتتبعهم الطريق والقضاء عليهم وإذا هرمه المسلمون لجأ إلى الجبال واحتمى بها وقد وافق قواده على ذلك.

وقد اقتضت خطة المسلمين بالا يتقابلوا مع الجيش البربري فور وصولهم على القيروان ولكن زهير نزل بجيشه قريبا من القيروان ولم يدخلها ومكث ثلاثة أيام للراحة وفي اليوم الرابع بدأ القتال بين الطرفين وانتهى بانتصار المسلمين ومقتل كسيلة وكثير من ملوك البرير وأشرافهم وفرسانهم كما قتل عدد كبير من الروم المنضمين للجيش البربرى .

---

(١) عبد الملك بن مروان : هوعبد الملك بن مروان بن الحكم بْن أبي العاص بْن أمية بْن عَبْد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ولد سنة ست وعشرين، وكانت خلافته من سنة خمس وستين إلي سنة ست وثمانين، استعمله سيدنا معاوية رضى الله عنه علي أهل المدينة وهو يومئذ ابن ست عشرة ، تولي الخلافة بعد ابيه مروان بن الحكم دخل في حروب طاحنة لتوحيد الجبهة الاسلامية أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وسمي بعام الجماعة الثاني قام عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. ، وعرب الدواوين. البخاري: التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ج،ص ٤٢٩؛ابن سعد : الطبقات الكبري، ج٥ ، ص١٧٣ــ١٨١ .

ولكن زهير يترك حامية بالقيروان ولا يستقر بها ويعود ثانية نحو المشرق ولا يلتفت لرأي أصحابه بالاستقرار في القيروان وكان من نتائج هذا أنه عند وصوله إلى برقة يلتقى بقوة من الروم تقطع الطريق عليه ويستشهد القائد المسلم فقد استغل الروم خروجه من برقة قاصدا إفريقية لقتال كسيلة وأعدوا حملة بحرية كبيرة للإغارة على برقة وخرجت هذه الحملة من صقلية وتمكنوا من أسر كثير من المسلمين واتفق هذا مع عودة زهير بن القيروان فتصدى لهم ولكنه نظرا لعدم التكافؤ العددي بين الجيشين انهزم زهير وقتل وقتل من معه وعاد البيزنطيون بما غنموا إلى القسطنطينية.

* ولاية حسان بن النعمان (٧٣ – ٨٥ هـ):

وقد أسند الخليفة الأموى مهمة ولاية المغرب بعد مقتل زهير إلى حسان بن النعمان[١] لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الفتح العربي للمغرب وهي مرحلة الفتح الأخير الذي يتولى حسان بن النعمان الغساني تحديد ملامحها وفترة ولاية حسان كانت ما بين ٧٣ ٨٥ هـ/ ٦٩٢ = ٧٠٤ م . وكان حسان أول قائد من خارج المدرسة التي زودت بلاد المغرب بالقادة السابقين الكبار وجاء اختيار الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ليكون حسان قائد هذه الجبهة ومعه عدد كبير الجند بعد نجاح الخلافة الأموية في القضاء على ثورة ابن الزبير وقد أرسله الخليفة الأموى إلى المغرب قائلاً له «إنى قد أطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله .

(١) حسان بن النعمان : حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، كان يلقب بالشيخ الأمين، ولي إفريقية في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (٥٧هـ/٦٧٦م)، زحف لأفريقية بأربعين ألف مقاتل؛ فكانت له وقائع كثيرة مع الروم في قرطاجنة، ومع الملكة دهينا (الكاهنة البربرية) في قابس وجبل أوراس، ظهرت فيها بطولته، ودانت له إفريقية كلها، وبعد أن عم الإسلام إفريقية، أقام بالقيروان، فجدد بناء مسجدها سنة (٨٤ هـ/ ٧٠٣م)، ودون الدواوين وولى الولاة، ثم رحل قاصدا عبد الملك ابن مروان واعتزل الأعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك؛ وتوجه إلى أرض الروم غازيا، فتوفي بها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ط٢، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٠٠ – ٢٠٢؛ الذهبى : تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٣٩٢،٣٩٣ ؛ الصفدى : الوافى بالوفيات تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م، ج١١، ص٢٨٧؛ الزركلى : الأعلام، ج٢، ص ٧٧ .

وشخصية هذا القائد كما تدل عليها كتابات المؤرخين شخصية تتسم بالقدرة القيادية والمرونة وكانت بلاد المغرب أرضا وسكانا بحاجة إلى مثل هذه الشخصية ، فهي أرض وسكان رافضين للغزاه والفاتحين الجدد وقد دفع ثلاثة من القادة حياتهم في هذا النضال بين العرب والبربر ، ومن ثم اع حسان بن النعمان أن يستوعب طبيعة الأرض والبشر وأن يضع خطوطا عريضة لأهدافه وخطوطا عريضة للطريقة التي سيتولى بها قيادة الجيش فقد كانت خطته تهدف إلى محاولة الوصول إلى قلوب البربر وعقولهم ومن ثم اجتذابهم إلى جبهة واحدة مع العرب ضد البيزنطيين

وعليه ، فقد أعد حسان الجيش بمصر وانضم إليه من أقام من العرب في برقة ومن أسلم من القبائل البربرية ، وقد اتخذ الطريق المعروف حتى طرابلس فالقيروان التي استعادها من غير صعوبة ثم توجه إلى قرطاجنة القاعدة البيزنطية حيث دخل في معركة مع حاميتها واستطاع حسان هزيمتهم فقتل عدد كبير منهم وأجبر الباقين على مغادرة المدينة حيث ذهب بعض منهم إلى جزيرة صقلية والبعض الآخر إلى إسبانيا والتي كانت وقتها تحت سيادة القوط الغربيين) –

وبذلك سقطت مدينة شرطاجئة وكان لسقوطها أثر بالغ على مسيرة الفتوحات الإسلامية في المغرب ، فقد تم حصار المدينة من قبل العرب بإحكام شديد واستطاعوا أن يخترقوا أسوارها مما أدى إلى تدمير قرطاجنة . وتوالى بعد سقوط قرطاجنة عمليات حسان بن النعمان الحربية ، فشن سلسلة من الهجمات على مواقع البيزنطيين التي تقع بالغرب من مدينة قرطاجنة على امتداد الساحل الشمالي حيث سقطت في يده مدينة بنزرت بعد معركة عنيفة شارك فيها البربر وانسحبت فلولهم مضطرية نحو إقليم بونة إلى الغرب من هذه المدينة .

وبعد تحقيق هذه الانتصارات عاد حسان بن النعمان إلى القيروان ليبدأ مواجهة الخطر الثاني بعد البيزنطيين وهو القبائل البربرية وحسم الموقف العسكري معهم

ولكنه ما إن استعد للرحيل عن القيروان حتى وصلته الأخبار عن حشد قوات ضخمة من البربر البتر الذين تصدوا هذه المرة للأمويين بعد هزيمتهم في ممس وكانوا تحت قيادة إمرأة قوية من قبيلة جراوة وعرفت عند العرب باسم الكاهنة وكان اسمها الحقيقية داهية بنت مائية بن تيفان

ويبدو أنها كانت تعتنق اليهودية وذات نفوذ سياسى وروحى على البربر ، وهي تختلف عن زعيم البرانس الذي كان يدين بالمسيحية ، فقد عرفت الديانات السماوية في بلاد المغرب مع الدول والقوى التي كانت تسيطر أو تحاول السيطرة عليه ، فانتشرت المسيحية بصورة خاصة في المدن والمناطق الأكثر قربا من السواحل أي من أماكن استقرار البرانس ، بينما كانت اليهودية أكثر توغلا وانتشارا في الداخل بعد أن أمن بها بعض البتر غير أن الوثنية كانت الأكثر شيوعا بين صفوف القبائل البربرية البترية .

وفى حربِ حسَّان بنِ النعمانِ ضدَّ الكاهنةِ استأمنَ إليه جماعةٌ من البربرِ فلمْ يقبلُ أمانهُمْ إلا أن يعطوهُ مِنْ قبائلهِم اثنى عشر ألفاً يجاهدونَ معَ العربِ فأَجابوهُ وأسلموا على يديهِ وذلكَ فى سنةِ (٨٢هـ/٧٠١م)[1] ، وقد تحرك القائد حسان لاعتراض قوى الكاهنة في باغاية ولكن الكاهنة استطاعت دخول المدينة مع قوادها وجنودها والاعتصام فيها بحيث وقعت معركة عنيفة على مقربة من المدينة انتهت بهزيمة الأمويين ووقوع كثير من الجند ما بين قتيل وأسير ويروى بعض المؤرخين أحداث لقاء المسلمين بجيش الكاهنة ، فيروى الحميرى أن الكاهنة التقت بالجيش الإسلامي عند نهر سمى بنهر البلاء (واسمه نهر نيني) لكثرة ما لقى فيه المسلمون من بلاء وقد أسرت الكاهنة من المسلمين نحو ثمانين رجلا وتتبعت جيش المسلمين حتى خرج من قابس .

في حين يروى ابن عذارى أن مكان تقابل الجيش العربي والقوات البربرية في وادي سكتاتة والمسمى بوادي العذاري ويرجع أن سبب التسمية جاء من سبي المسلمات اللاتي اقتادهم الروم في مراكبهم، وكتب حسان إلى الخليفة الأموى يخبره بصعوبة التغلب على قبائل المغرب فرد عليه الخليفة بأن يمكث بالمكان الذي وصل إليه – منطقة برقة – فأقام بها وبنى هناك منطقة سكنية تسمى «قصور حسان».

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١،ص ٣٨؛ ابن خلدون : تاريخه، ج ٤، ص ٢٣٩؛ السلاوى : الاستقصاء، ج١، ص١٥٠؛ عبيد الله بن صالح : فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفى بروفنسال، تعليق حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٥٤م، مج٢، ص٢٢٣ .

ظل حسان مقيما بها طيلة خمس سنوات فسيطرت الكاهنة على المغرب كله ، وقد ظنت الكاهنة أن العرب قادمون للسلب والنهب والاستيلاء على المدن والمغانم والثروات كما كان يفعل الغزاة سابقا ، فقامت بتخريب البلاد فانتشر أنصارها في كل مكان يقطعون الأشجار ويهدمون الحصون ونتج عن ذلك تحول بلاد المغرب من طرابلس إلى طنجة إلى خراب وغضب النصارى والأفارقة من أفعال الكاهنة وأنصارها تاركين بلاد المغرب إلى جزر البحر المتوسط والأندلس .

ويعبر الرقيق القيرواني – صاحب كتاب تاريخ إفريقية والمغرب – إلى أن البربر والنصاري ثار سخطهم على الكاهنة لدرجة أنهم استغاثوا بحسان بن النعمان ، فيروى أن ثلاثمائة من النصارى قد استغاثوا به وعليه كانت الفرصة سانحة لحسان بأن يتوجه نحو مدينة قابس حيث أمنهم على أموالهم وممتلكاتهم ثم يتوجه إلى قفصة، وأخذ حسان طوال هذه الفترة يستعد لخوض المعركة الفاصلة فقد طلب الإمدادات من الخليفة وقام باستطلاع أحوال العدو والتمكن من معرفة مواطن القوة والضعف في الجيش البربري ، وقد استعان في ذلك بأحد الأسرى المسلمين الذين أسرتهم الكاهنة وهو خالد بن يزيد وكانت الكاهنة قد تبنته ، فقدم خالد لحسان وصفا كاملاً عن حالة الجند البريري وحث حسان على سرعة القدوم وعندما أتم حسان الاستعداد للقاء الكاهنة ووصلته الإمدادات من جنود العرب وفرسانهم ومن انضم إليهم ممن أسلم من البربر ثم سار إلى الكاهنة التي ما إن شعرت باقتراب الخطر وأدركت نهايتها حتى أمرت ولديها أن يذهبوا إلى حسان ويطلبوا منه الأمان لأنفسهم حتى تحافظ على خط الرجعة لأولادها إذا أصابتها الهزيمة أو قتلت في معركتها مع حسان .

وسلك حسان بقواته الطريق التقليدي حتى مدينة قابس إلى الجنوب الغربي من مدينة صفاقس ومن هناك اتجه شرقا عبر الطريق الصحراوي إلى حصون الكاهنة في الأوراس ، وقد دخلت أفواج من البربر تقاتل إلى جانب العرب المسلمين بعدما أدركوا إصرار الأمويين على المضي في عملياتهم العسكرية في المغرب وكان دخول البربر بهذه الأعداد في الجيش الإسلامي سببا في زيادة معرفة العرب بطبيعة الأرض وإتقان أساليب حرب الجبال علاوة على أنه ترك انعكاسا

نفسيا سلبيا على الكاهنة ، وكان حسان في نفس الوقت التي تراجعت فيه الكاهنة إلى أدراجها يتابع تقدمه في أقاليم بحرية صحراوية لأن الصحراء منها قريبة ... كثيرة التمر والموز والتوت والحرير متعقبا فلول الكاهنة(١) . وتقابل الطرفان في معركة حاسمة عند بئر الكاهنة وهو أحد المعاقل في منطقة الأوراس وانتهت المعركة بهزيمتها وقتلها في عام ٨٣ هـ/١٧٠١ م .

وجعل حسان بن النعمان ابنى الكاهنة على قيادة قوات مسلمة كل منها تتكون من ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يقاتلون الروم ومن بقي من البربر على غير طاعة العرب ثم عاد حسان إلى القيروان .

وبهذه المعركة دخلت عملية فتح العرب للمغرب آخر مرحلة من مراحلها الصعبة الطويلة بعد أن أصبح التقدم في شتى الأقاليم ممكنا دون التعرض لأية أخطار غير متوقعة ورغم أنه ما زالت هناك بعض الأملاك البيزنطية غير أن حسان لم يكن ليترك الخطر الثاني – خطر البيزنطيين – يهدد ما حققه المسلمون من انتصارات بعد القضاء على خطر البربر

فقد توجه بقواته نحو قرطاجنة التي استطاع البيزنطيون استعادتها في أعقاب هزيمة حسان الأخيرة ، وكان الامبراطور البزنيطي ليونيتوس Leonitus قد أرسل حملة بحرية نجحت في السيطرة على المدينة في عام ٧٧ هـ / ٦٩٧ م في غياب المقاومة الأموية غير أن حسان تمكن من استردادها وهرب من فيها إلى جزيرة صقلية والأندلس ودخلها حسان فخرب سا بناه البيزنطيون أثناء فترة استيلائهم عليها وبنى بها مسجدا وبذلك تمكن حسان من القضاء على مقاومة البربر في الداخل ثم القضاء على الروم في الساحل وتوج أعماله بالشروع في إقامة مدينة ساحلية على مسافة قريبة من قرطاجنة وتحتل مكانتها وتكون مدينة وميناء إسلاميا ، فاتخذ من تونس (ترشيش قديما) مركز لها ، وكان ذلك إجراء حتمي في وقت انتشرت فيه السيادة الأموية على مساحة كبيرة من الأرض حفاظا عليها من غزوات البيزنطيين الذين يحتلون المرتبة الأولى في القوى البحرية .وقد انصرف حسان بن النعمان بعد قضائه على المراكز البيزنطية وإضعاف قوة البربر إلى الاهتمام بالشئون المتعلقة بالدواوين والخراج والجيش والشرطة وذلك بعد إنشاء دار

الصناعة وتعميرها .كما جدد بناء مسجد القيروان وأحسن بناءه ، فضلاً عن أنه اهتم بنشر الإسلام وإرسال الفقهاء إلى قبائل البربر لتعليمهم أمور الدين واللغة العربية . وعندما استقامت بلاد إفريقية لحسان بن النعمان قام والى مصر عبد العزيز بن مروان بعزله وأمره بالقدوم إليه ويبدو أن الوالي قد سمع عن كم الغنائم الوفيرة التي وقعت بين يدي حسان فأراد أن يكون له نصيب فيها فلجأ حسان إلى حيلة يدس فيها الجواهر والذهب والفضة عن أيدي الوالي فأخفاها في قرب الماء وأظهر ما دون ذلك من الأمتعة وأنواع الدواب والرقيق وسائر أنواع الغنائم فلما قدم على والى مصر أراد عبد العزيز على سلب وأخذ كل ما شاهده من خيل وأمتعة ، ووصل حسان إلى دمشق بقرب الماء المملوعة بالجواهر إلى الخليفة الأموى وقد سرد له حسان كل ما فعله أخوه من استيلائه على أكبر قدر من الأسلاب والغنائم وأنه كان أمينا في نقل تلك الغنائم إلى الخليفة ، وعندما أراد الخليفة مكافأته على توليته المغرب مرة أخرى رفض فزاد غضب عبد الملك من ناحية عبد العزيز الذي حرم الخلافة الأموية من خدمات رجل كفء مثل حسان الذي حرص كل الحرص على نقل الأموال للخليفة في دمشق مما حذا بالخليفة أن يطلق عليه الشيخ الأمين ،وكانت مغادرة حسان بن النعمان للقيروان في عام ٨٥ هـ ، وقد تولى بدلاً عنه موسى بن نصير.

*موسى بن نصير (٨٩- ٩٨هـ)

فى عهدِ الخليفةِ الوليدُ بنُ عبد الملكِ (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) خرجَ موسى ابنَ نُصير غازياً لبلادَ المغربَ سنة (٨٩هـ/٧٠٨م) وتتبع البربرَ، وحظىَ المغربُ الأوسُط بأكثرِ أعمالِ موسىَ ابن نصير الحربيةِ نظراً لأن مَيْدانهُ كانَ محوراً للتحالفِ البِيزنْطِى البَربَرى الذى كانَ سبباً فى إخفاقِ الكثيرِ من الجهودِ الحربيةِ للمسلمينَ فى المغربِ، ومِنْ هنا كان لموسى بنِ نُصير سياستهُ الخاصةُ، فقد أوصى موسى بنُ نصير قائِده عياشَ بنَ أُجَيْل[1] الذى أرسله لإخضاعِ

(١) عياش بن أجيل الرعيني: قائد بحري؛ يمنى الأصل، مصري المنبت؛ كان في المغرب مع موسى بن نصير، وولي شرطته، ودخل معه الأندلس؛ وولي البحر زمن بني أمية؛ وقدم بالسفن من الأندلس إلى إفريقية سنة (١٠٠ هـ/ ٧١٨م)، وانقطع خبره بعد هذه الرحلة؛ الزركلى : الأعلام ، ج ٥، ص ٩٩ .

بعض قبائلِ المغربِ الأوسط، بانتهاجِ سياسةِ الاسترضاءِ مع القبائلِ الراغبةِ فى الصلحِ وأن يعاملَهَا معاملةً كريمةً ويترك تدبير أمورِها بيدِ أناسٍ مِنْ أهلِها، مع إصرارِهِ على ضرورةِ أخذ رهائنَ منهم ضماناً لاحترامِهم للعهودِ والمواثيقِ[١] وتمكَّنَ القائدُ عياشُ بنَ أجيل من إرغامِ قبائل هوارةوزناتة على الصلحِ بعد أن أغارَ عليهِمْ وأسرَ أميرَهُمْ (كمامون) فلمَّا رأتْ قبائلُ كتامة(٢) ذلكَ أسرعتْ فقدَمِتْ على موسى برهائِنَها فولى عليهمِ رجلاً منهم[٣] وتقَّدمَ موسى بقواتهِ وقتلَ فى البربرِ قتلاً ذريعاً وسبَىَ منهم سبياً عظيماً وتوغلَ فى جهاتِ المغربِ حتى انتهى إلى السوسِ الأدنى[٤]، ثم تقَّدم إلى مدينةِ سبتة[٥] فصانعهُ صاحُبَها يُلْيَان[٦] بالهدايا وأذعن للجزية وكان

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٤١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٣٩؛ السلاوى : الاستقصا، ج١، ص١٥٢ .

(٢) كتامة : ضم أوله وفتح التاء فوقها نقطتان وبعد الألف ميم، وهى من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر، وهم من ولد كتام بن برنس ويقال كتم ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبى والطبري وأول ملوكهم فريقش بن صيفي من ملوك التبابعة وهو الذى افتتح افريقية وبه سميت . ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص ١٩٥؛ السمعانى : الأنساب، ج٥، ص ٣١؛ ابن الأثير : اللباب، ج٣، ص٢١٩؛ أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطمين نحو المغرب والأندلس، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، العدد الخامس، مدريد١٩٥٧م، هامش ص٢.

(٣) محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية فى المغرب الإسلامى، ط٣، دار القلم ، الكويت١٩٨٧م، ص ٤١.

(٤) السوس الأدنى : كورة كبيرة بالمغرب، مدينتها طنجة، والسوس مدينة بالمغرب كانت الروم تسميها: قمونية، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى مسيرة شهرين، والسوس الأدنى يمتد من القيروان على ألفي ميل ومائة وخمسين ميلاً (والميل يساوى ١٨٤٨مترا) وأهلها من أنجاد البربر وفرسانهم ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١؛ النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٥؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، دار منار للنشر والتوزيع، دمشق٢٠٠٣ م، ج١، ص ٢٢٢؛ محمد صبحى حسن : الإيضاحات العصرية للمقايس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن ٢٠٠٧م، ص٧١.

(٥) سبتة : مدينة مطلة على مضيق جبل طارق في شمالي المغرب الأقصى وهي عبارة عن شبه جزيرة فى المضيق تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب وهذا الوضع جعل اتصالها بالأندلس قويا جدا لذلك امتازت بطابع أندلسي في مظهرها وثقافتها بل وفي وضعها السياسي إذ خضعت للدولة الأموية في الأندلس ثم سيطر عليها بنو حمود الأدارسة في عصر ملوك الطوائف ثم دخلت في طاعة المرابطين ثم الموحدين بالمغرب ؛ و أستولى عليها البرتغاليون سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، ثم استولى عليها الأسبان سنة (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) ولا تزال المدينة فى أيديهم إلى الآن . الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٠٣ . المقرى : نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت١٩٦٨، ج١، ص ٤٣١ ؛ السبتى : إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، ط٢، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٨٣م، ص ٢٧-٣٩؛ السلاوى : الاستقصا، ج٤، ص٩٢؛ الصلابى : فقه التمكين عند دولة المرابطين، دار إقرا ، القاهرة ٢٠٠٦م ، ص٦٤.

(٦) يُلْيَان: حاكم مسيحي يدعى : (يُلْيَان، جوليان، يوليان، وليان، بليان، إليان، جليان) حاكم مدينة سَبْتَة وما يجاورها، وكانت له عدّة وقوّة، ولم يتمكن موسى بن نصير من فتحها، فعقد الصلح مع يليان، وأقرّه في منصبه، مقابل اعتراف الأخير بالفتح الإسلامي، وقد شجع يليان موسى بن نصير وطارق بن زياد على فتح الأندلس، وعاونهم في الفتح ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ٢٠٥؛ ابن الكردبوس : الإكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى، مجلة معهد

نصرانياً فأقرُه عليها، واسترهَنَ ابنَهِ وابناَء قومِهِ على الطاعةِ، فلما رأى بقيةُ البربر ما نزلَ بهمْ استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعةَ، فَقَبلَ منهم وولى عليهم(١)، وغزا موسى بنُ نصَير طَنْجَة(٢) وافتتح مدينةَ درعةَ(٣)فقد استطاع أن يجند أعداداً كبيرة من قبائل البربر مثل كتامة وهوارة وزناتة ومصمودة ، وألحقهم مع المقاتلين ووضعهم جميعاً في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زياد.

الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م، مج ١٣، هامش ص ٤٢؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٣٥؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس،ج١، ص١٤٤.

(١) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق١٩٨٧م، ج٥، ص١٥٣؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٦، ص ٢٨٢؛ السلاوى : الاستقصاء، ج١، ص ١٥٢.

(٢) طنجة : مدينة قديمة بالمغرب على ساحل البحر، بينها وبين وسبتة ثلاثون ميلاً في البر، افتتحها عُقْبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها، وهى آخر حدود إفريقية من المغرب ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألفا ميل، وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وأن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة، وكانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٣ .

(٣) درعة :مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة، وهي مدينة عامرة، بها وأسواق ومتاجر رائجة، وبين درعة وسجلماسة ثلاث مراحل (المرحلة عند الجمهور تساوى أربعة وعشرين ميلاً، والميل يساوى ١٨٤٨مترا،فالمرحلة تساوى ٢٤×١٨٤٨، فهى تساوى ٤٤,٣٥٢ كيلو مترا) وليس لها سور إنما هي قرى متصلة، وفيها أخلاط من البربر، وبين درعة والسوس الأقصى أربعة أيام . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥١؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٣٥ ،٢٣٦؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون= = الإسلامية – الكويت، مطابع دار الصفوة، القاهرة١٩٨٣م، ج٣٨، ص ٣٢٤. محمد صبحى : الإيضاحات العصرية للمقايس والمكاييل، ص٧١.

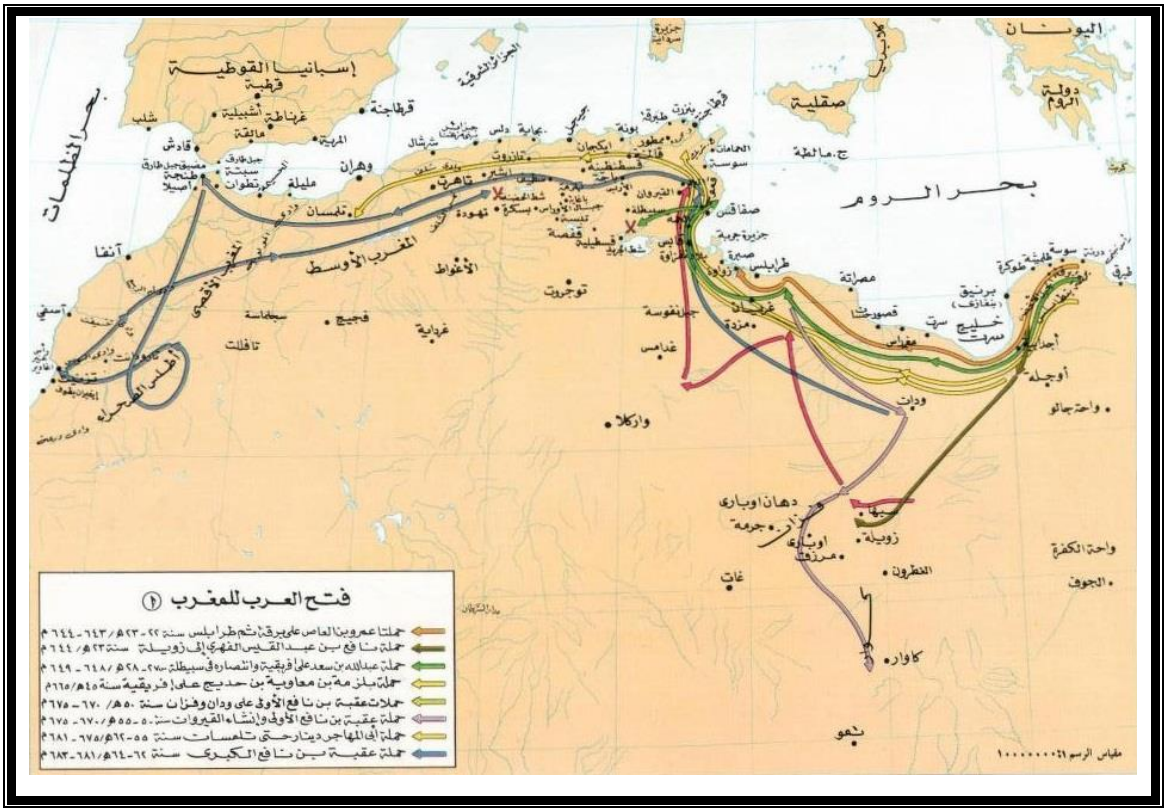

خريطة توضح فتح العرب لبلاد المغرب

https://2u.pw/sBlC6

الفصل الثالث

عصر الولاة فى بلاد المغرب

عصر الدول المستقلة في المغرب

عصر الولاة في المغرب

لقد توالى على بلاد المغرب الإسلامى العديد من الولاة ، ولقد نعمت بلاد المغرب بالإستقرار فى عهد بعض الولاة مثل محمد بن يزيد القرشي(٩٧-١٠٠هـ) الذي عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك[١] ، وبعده يأتي الوالي اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر الذي عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز[٢] سنة (١٠-١٠٢ هـ) ، وكذلك شهدت المغرب بعض الولاة الذين عرفوا بالشدة مثل يزيد بن أبي مسلم ، ولاه الخليفة يزيد ين عبد الملك بن مروان ، وكان شديداً على الموالين لموسى بن نصير من البربر ، حتى قيل أنه وشمهم بأيديهم واتخذهم حرساً له . وقد أنف البربر من هذا العمل مما دفعهم الى قتله سنة (١٠٢هـ)((٣).

وعين بعده بِشر بن صفوان (١٠٢-١٠هـ) الذي بذل جهوداً كبيرة لتهدئة قبائل البربر وإزالة اسباب النقمة على السلطة المركزية، وعين بعده عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والياً سنة ١١٠هـ[٤] ، وعرف كفاية وحسن ادارته للمغرب ، في حين اغلظ بسياسته على اعوان سلفه بشر بن صفوان ، ولما كانت سنة (١١٦هـ) عين عبد الله بن الحبحاب والياً للمغرب ، وعرف بإمكانياته الادارية والعسكرية لاسيما نحو جزيرة صقلية وسردانية وحقق انتصارات كبيرة[٥] .

---

(١)سُلَيمَان بْن عَبْد الْملك : هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ،ولد بدمشق، بويع له يوم السبت النصف من جمادي الآخرة سنة ست وتسعين، وتوفي بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة، وصلي عليه عمر بن عبد العزيز، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام. ابن سعد: الطبقات الكبري، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، ص٩٥. ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٠٠م ، ص٤٢٠ .

(٢) عمر بن عبد العزيز : بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكني أبا حفص وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب ، اختلف المؤرخون في سنة ولادته والراجح أنه ولد عام ٦١هـ ، وذكر الذهبي أنه ولد بالمدينة زمن يزيد ، تولي الخلافة في اليوم الّذي توفي فيه سليمان، ، وتوفي عمر بدير سمعان يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة(١٠١ هـ/ ٧١٩م)وله تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام .الطبري :تاريخ الطبري ،ط٢،دار التراث – بيروت، ١٣٨٧ هـ، ج٢،ص ٥٦٥ ؛ المسعودي :التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله الصاوي، دار الصاوي – القاهرة(د.ت)،ص ٢٧٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، .

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق،١/٥٠.

(٥) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب،ص١٠٨.

وعين على طنجة عمر المرادي الذي سار بالناس سيرة غير حسنة ، إذ عامل البربر بمنتهى الغلظة مما أدى الى الثورة ضده ، إذ تعسف في فرض الضرائب الجائرة على أهل المغرب مما دفعهم الى النزوع الى الاستقلال[١] ، على أن ثوران البربر لم يكن خروجاً على مبادئ الدين الإسلامي ، ولا على الخلافة ، إنما كان خروجاً على سلطة الولاة الحاكمة في المغرب ، وعلى هذا الاساس اجتمع البربر في الشمال وقاموا بثورة بإقليم طنجة عام (١٢٣ هـ /٧٤٠م)، وانتشرت في قبائل بربرية كثيرة ، وتولى زعامتها رجل بربري يدعى ميسرة المدغري الذي اشتهر بميسرة الفقير ميسرة المدغري الذي قتل عمر المرادي عامل طنجة[٢] ، وعين نفسه خليفة وعين على طنجة من قبله عبد الأعلى بن حديج ، وهو من أصل رومي[٣] .

هذا ولم تدم سياسة المدغري هذا إذ اساءَ معاملة البربر أيضاً مما حملهم على الثورة ضده وقتله، ثم عينوا مكانه خالد بن حميد الزناتي الذي اصطدم في طنجة بقوات ابن الحبحاب التي يقودها خالد بن حبيب الفهري ، وكانت معركة شديدة انتهت باستشهاد خالد الفهري ومعظم جنده في واقعة الأشراف[٤] .

ولم تستقر الأوضاع في عموم المغرب بل كثرة الثورات والانتفاضات ضد السلطة في المغرب لا سيما بعد وصول المد الخارجي الى المغرب ، وأرسل إلى أفريقية جيشاً عدته ٢٧٠٠٠ مقاتل ، بزعامة قائد قيسي هو : كلثوم بن عياض القشيري ومعه ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، وسار معهم عدد من قوات العرب البلديين

وكان النزاع بين الشاميين والبلديين شديداً مما ا سعف القوة العربية لهذا لا غرابة في أن يهزم هذا الجيش الضخم ويقتل كلثوم عياض وحبيب بن أبي عبيدة ويفر بلج بن بشر مع آلاف من

---

[١] المصدر نفسه،ص١٠٩.

[٢] الطبري: محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) ،تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ؟إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م،ج٤/٢٥٤.

[٣] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب،٥٢/١.

[٤] الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب،ص١٠٩.

الشاميين إلى سنة ، حيث يعتصمون بأسوارها بضعة شهور ، حتى يأذن لهم والى الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري ، و العبور إليه لكي يعاونوه في القضاء على ثورة قام بها البربر على العرب وكانت ثورة الأندلس هذه امتداداً لثورة بربر المغرب لأن بريـر الأندلس كذلك كانوا ساخطين على الحكم الأموى وعلى من معهم من العرب في الاندلس .

وبعد ذلك بقليل تمكن الخليفة هشام من أن يرسل جيشاً ضخماً من الفرسان ، يقوده شامى متعصب يسمى حنظلة بن صفوان الكلبي ، فكان أول لقاء له بالخوارج بالقرن ووصل هذا الجيش إلى القيروان ووجدها مهددة باستيلاء الخوارج عليها . كان أولك الخوارج قد اختلف أمرهم وانقسموا قسمين : واحد يقوده عكاشة بن ايوب الفزاري والثاني يقوده عبد الواحد بن يزيد الهواري ، وتجمع عرب القيروان ومن فيها من العلماء والصلح اللقاء الخوارج ، مدافعين عن مذهب السنة وقاعدته أفريقية

، وقد قضت هذه الموقعة على ثورة الخوارج بأفريقية، وكانت بداية المعركة حين زحف إليه عكاشة بن محصن قائد الخوارج بجموع عظيمة من الخوارج من البربر فأمر حنظلة أن يخندق أصحابه على أنفساهم لكثرة الخوارج ثم التقى الفريقين وحمى الوطيس وصمد حنظلة وانتهت المعركة بانتصار سحق على الخوارج وهروب قائد الخوارج عكاشة بن محصن ورجع حنظلة إلى القيروان استعدادا للقاء خوارج المغرب الأوسط والاقصى.وخرجوا معه ، فلقوا قوات الخوارج يقودها عبد الواحد موضع يسمى « الاصنام » على بعد ٤٠ كم ، غربي القيروان وهزم منكرة بعد قتال عنيف ثم ساروا نحو القوة الخارجية الأخرى ، التي يقودها عكاشة بن أيوب الفزاري (من فزارة) وهزموه في أوائل سنة ١٢٤هـ / ٧٤٢م ، وقد انقذت هاتان المعركتان مصير السنة في أفريقية والمغرب ، فثبتت أقدامها في أفريقية بعد ذلك ، وتمكنت فيما بعد من إعادة سلطانها على المغرب كله ، وانسحبت قوات الخوارج إلى المغرب الأوسط وانحازت المبادىء الخارجية من إباضية وصفرية مع أصحابها إلى مناطق صغيرة محدودة في جبال الريف أو في المغرب الأوسط أو في جبال نفوسة في إقليم طرابلس وجزيرة جربة

وهكذا انتهى ذلك الصراع ا بانتصار السنة في ولاية أفريقية ،

.هرثمة بن أعين:

هابه اثناءها رؤساء العرب وركنوا إلى الهدوء وأتيحت له بذلك الفرصة ليعمل على تجديد ما تخرب من المدن والمواني والمنشآت وليعيد ثقة الناس في الدولة

وقد اهتم هرثمة بن اعين بالإنشاءات فجدد إنشاء ميناء تونس وأصلح مسجد القيروان ونظم الأسواق في القيروان واهتم ببناء قصور العباد(الرباطات)

من الرباطات رباط قصر الطوب في ورباط تونس ورباط بونة تسمى اليوم إلى جانب رباط المنستير

إبراهيم بن الأغلب:

اعجب به هرثمة بن اعين فقربه منه ،وعندما أراد هرثمة أن يعود إلى بغداد ، اقترح على الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يقيم إبراهيم بن الأغلب عاملا على أفريقية ، فاشترط إبراهيم على الخليفة العباسي ان يكون على ولاية افريقية وان يرسل الى الخلافة كل عام إلى اربعين ألف دينار ، ويستغنى عن مائة ألف دينار ، كانت ترسل كل عام من مصر معونة لوالي أفريقية ، وتعهد بأن يتصرف كعامل عباسى تابع لدولة الخلافة ، وان يتمتع بحرية التصرف الكاملة داخل ولايته فاستجاب الخليفة العباسي لمطالبه وان تكون الولاية في بني الأغلب .

وتولى إبراهيم بن الأغلب ولاية أفريقية سنة ١٨٤ هـ ٨٠٠ م ليكون اول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ولكنها تابعة لها.

ب عصر الدول المستقلة في المغرب ١٤١-٢٩٦هـ

	الإمارة أو الدولة	الفترة الزمنية	الإقليم (البلد)	العاصمة	العلاقة مع الأندلس
١	الأدارسة	١٧٢-٣٧٥هـ	المغرب الأقصى (المغرب)	فاس	مد وجزر
٢	الأغالبة	١٨٤-٢٩٦هـ	المغرب الأدنى (تونس)	القيروان	مد وجزر
٣	الفاطمية	٢٩٦-٣٦٢هـ	المغرب الأدنى (تونس)	المهدية	عداء مستمر
٤	المرابطية	٤٤٨-٥٤١هـ	المغرب الأقصى (المغرب)	مراكش	ولاية الأندلسة مرابطية
٥	الموحدية	٥٤١-٦٦٨هـ	المغرب الأقصى (المغرب)	مراكش	ولاية الأندلس موحدية
٦	الحفصية	٦٢٥-٩٨٢هـ	المغرب الأدنى (تونس)	المهدية وتونس	علاقات جيدة
٧	بنو عبد الدار	٦٣٣-٩٦٢هـ	المغرب الأوسط (الجزائر)	تلمسان	
٨	الرستمية	١٦٠-٢٩٦هـ	المغرب الأوسط (الجزائر)	تاهرت	
٩	المرينية	٥٩٢-٨٦٩هـ	المغرب الأقصى (المغرب)	فاس	علاقات جيدة
١٠	الصنهاجية	٣٦١-٥٤٧هـ	المغرب الأوسط (الجزائر)	اشير	

دولة بني مدرار (بني واسول)الصفرية ١٤٠-٢٩٧هـ /٧٥٧-٩٠٩م)

استطاع الخوارج الصفرية(*) في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧م أن يستفيدوا من اضطراب الأحوال في إفريقية ويقيموا دولة لهم في سجلماسة على وادي ملوية وهو إقليم نائي من بلاد المغرب ويقع في منطقة شديدة الوعورة .

وقد اعتمد بنو مدرار على قبائل مكناسة كما أسهمت عناصر أخرى غيرها في قيام الدولة مثل قبائل : صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين وتجدر الإشارة إلى أن أول من تولى الإمامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى ابن يزيد الأسود . امرس وقد تمكن زعيم مكناسة : أبو القاسم سمكو بن واسول من ضم قبليته على المذهب الصفري الذي اتصل بعكرمة – ناشر هذا المذهب في إفريقية – ابتداء من عام ١٣٨هـ ،وعندما اجتمع لديه الأنصار بايع أبو القاسم بالإمامة لعيسى بن يزيد الأسود وهو من موالى العرب ، وذلك في عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م . وفي نفس العام ابتدأ في تخطيط مدينة سجلماسة لتكون حاضرة للدولة الجديدة وقد أصبحت سلجماسة مركزا للإمارة ومقرا للمذهب الصفري،وانتقلت الإمامة بعد ذلك إلى أبي القاسم سمكو وكان السبب في هذا أن قبيلة

(٠) ينسب الخوارج الصفرية إلى عبد الله بن الصفار أو زياد بن الأصفر حسبما تختلف كتب الفرق الدينية ، وقد ظهروا حيثما خالف عبد الله بن الصفار ، نافع بن الأزرق حول مسألة القعدة عن القتال في ٦٥ هـ / ٦٨٤م وعقيدتهم تتضمن : عدم إسقاط الرجم وعدم قتل أطفال المشركين وتفكيرهم مثلما كان الأزارقة كما قاموا بتكفير مرتكب الكبيرة وقد دخل هذا المذهب بلاد المغرب

على يد شخص يدعى عكرمة وهو مولى لفقيه شهير : ابن عباس ، وقد انتشر هذا المذهب بين قبائل مكناسة وزناتة وتغلغل في سائر أرجاء المغرب الأقصى وبعض نواحي إفريقية والمغرب الأدنى : مكناسة زادت قوتها بعد أن تجمعت فروعها نحو العاصمة الجديدة فأرادوا أن تكون لهم السلطة والحكم ، وبذلك آلت الإمامة إلى أبي القاسم سعكو وظلت من بعده محصورة

في صفرية مكناسة التي اختصت باختيار الأئمة من آل بيت أبي القاسم وأخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وأعمالها.

وفي فترة إمامة أبي القاسم (١٥٥ – ١٦٨هـ) عكف على إرساء دعائم دولته ولم يشارك في ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب طوال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢هـ) وذلك لاعتقاده بعدم جدوى هذه الثورات غير المنظمة والانشغال ببناء الدولة الجديدة

وعلى المستوى الداخلي تأثرت الأحوال في دولة بني مدرار على العنصر والمذهب بمعنى أن كل ما مرت به الدولة من صراعات داخلية وثورات وامتداد للدولة أو تقليص لها كان سببه إما الصراع القبلي أو الخلاف المذهبي وتجدر الإشارة أن مجتمع سجلماسة قد ضم العديد من العناصر من بربر وسودان وأندلسيين ومعتزلة ويهود وخوارج إباضية،وتعزى بعض الاضطرابات الداخلية في الدولة إلى وجود بعض الخوارج الإباضية الذين قاموا ببعض الفتن ضد الدولة المدرارية. فقد قامت بعض الفتن في عهد إليسع بن أبي القاسم (١٧٤ – ٢٠٨هـ) واستطاع إخمادها بمنتهى القسوة والعنف وذلك نظراً لأن الخوارج الإباضية أرادوا الإستقلال ببعض النواحي المملوكة لبنى مدرار وهو ما جعل بنى مدرار يلقبونه بأبي المنصور.وقد تسببت هذه الفتن في إحداث أضرار جسيمة في مدينة سجلماسة فخربت بعض عمائرها وسورها مما دعى أبي المنصور اليسع بأن يقوم بإخلاء المدينة ويعيد تخطيطها فأمر القبائل بترك سجلماسة وسكنى الصحراء إلى حين بناء مسجدها الجامع وبنا أغلب القصور وتحصينها ببناء سور جديد أنفق عليه أموالا طائلة بنى أثني عشر باباً من الحديد،وعندما انتهى من استكمال تعمير سجلماسة أعاد القبائل مرة أخرى إليها بعد أن قسم خططا بالمدينة لكل قبيلة وبما يضمن السيطرة على جميع أجزائها وكذلك السيطرة على كل سكانها ، لذا كانت فترة حكمه – أبو المنصور اليسع – عصر ازدهار واستقرار في تاريخ دولة بنى مدرار.

وتوثقت الروابط بين خوارج سجلماسة الصفرية وخوارج تاهرت الإباضية بزواج سفر و سياسي يضمن للإباضية الأمان من الصفرية كما يضمن لإخوانهم الموجودين تحت رعاية الدولة

المدرارية الاستقرار والأمان ، فتزوج مدرار بن أبي المنصور اليسع من ابنة عبد الرحمن بن رستم – زعيم بنى رستم – وعليه حمدت ثورات الإباضية في سجلماسة حتى وفاة أبي المنصور في عام ٢٠٨هـ . ولكنها عادت مرة أخرى في عهد ابنه مدرار – المنتصر –

وكان لمدرار بن اليسع ولدين كل منهما يحمل اسم ميمون ، أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجة أخرى تدعى بقية فعرف بميمون بن بقية . وكان المنتصر يفضل ابن الرستمية على أخيه حتى أنه عهد إليه بولاية عهده ولكن ذلك كان يعتبر انتصارا للخوارج الإباضية الموجودين في سجلماسة الصفرية .

لذا قام الصفرية بمؤازرة ميمون بن بقية لأحقيته في الولاية ودخل الجانبان في صراع استمر ثلاثة أعوام (٢٢١ – ٢٢٤هـ) ولم يكتف المنتصر بأن يقف موقفا سلبيا من هذا الصراع ولكنه قام بخلع نفسه وتولية ميمون ابن الرستمية مكانه بعد أن طرد ولده الثاني ميمون بن بقية من سجلماسة ، فما كان من صفرية سجلماسة – الذين غضبوا من المنتصر الذي انتهك تعاليم الصفرية وخشوا من ازدياد نفوذ الإباضية بينهم – إلا أن خلعوا ابن الرستمية وطردوه بتحريض من أخيه ميمون بن بقية وبويع له بعد فترة نزاع في عام ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ولقب بالأمير وقام الأمير برا أبيه مدرار من سجلماسة فظل في إحدى القرى حتى وفاته في عام ٢٥٣هـ / ٨٦٧م .

واستمر ميمون بن بقية في الحكم حتى توفي في عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٧م . وكان في فترة حكمه مناهضاً لبعض فتن الإباضية وهو ما استمر في عهد ابنه محمد بن ميمون الذي استطاع أن يقضى على قوة الإباضية في تلك المناطق طوال فترة حكمة وقد توفى في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٤م

وعلى الرغم من أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور كبير وفعال في أحداث بلاد المغرب وقتها مثل جيرانها من الدول المستقلة ، لكنها لم تكن بعيدة نظرا للعزلة السياسية التي كلانوا يتصفون بها ونظراً لطبيعة دولتهم الجغرافية التي جعلتهم بعيدين مكانا وحضورا بين أحداث المغرب .

وعليه كانت سياسة بنى مدرار الخارجية تسير في إتجاهين بارزين : علاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الأغالبة ودولة الأدارسة وعلاقات ودية مع بني رستم والأمويين بالأندلس

فبالنسبة للعلاقات مع الدولة العباسية ، فقد كان قيام دولة بنى مدرار بسجلماسة على حساب النفوذ العباسي في بلاد المغرب فقد تم اقتطاع هذا الجزء نهائياً سلطان الخلافة واستقل به أمراء بني مدرار عن العاصمة : القيروان وخلعوا طاعة الخلفاء العباسيين كذلك زاد المذهب الصفري الذي اعتنقه أمراء سجلماسة وأهلها من معادة العباسيين الذين اعتبرهم الخوارج بكافة فرقهم مغتصبين للخلافة وليس لهم حق فيها ولهذا يجب الخروج عليهم وقتالهم وعليه كان من مظاهر العداء مع الخلافة العباسية بالمشرق والتي اتسمت بالقسوة والعنف مع الخوارج الصفرية في بلاد المشرق وخاصة في العصر العباسي الأول أن يقوم بنو مدرار بتحسين علاقاتهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس .

والدولة الأخرى التي كانت معادية للدولة المدرارية هي دولة الأغالبة «السنية» التي كانت تمثل نفوذ العباسيين على أرض المغرب والحاجز الذي أقامته الخلافة العباسية لوقف خطر الدول المستقلة الخارجة عن طاعة العباسيين ومنها دولة بني مدرار ولم يتعد العداء بين الأغالبة والمدراريين سوى العداء الشكلي نظراً للبعد الجغرافي بين الدولتين وقيام دولة حاجزة بينهما وهي دولة بني رستم فلم تسجل الأحداث التاريخية استعداد أو تفكير أي من الطرفين في التوجه نحو الآخر ومواجهته عسكريا.وعلى الجانب الآخر نجد أن المدراريين قاموا بتكوين علاقات سلمية بين إخوانهم الرستميين (إباضية تاهرت) حتى يتفرغ هؤلاء للأغالبة – عدوهما المشترك – كذلك تأصلت روابطهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس حتى يستطيعوا وقف أطماع الأغالبة في المغرب الأقصى والحيلولة دون السيطرة عليه والتوغل إلى ما وراء حدود إفريقية أو المغرب الأدنى .أما الأدارسة فقد كانت الدولة الثالثة التي اتسمت علاقاتها مع دولة بنى مدرار العداء الصارخ والصريح ، فقد قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى في عام ١٧٢هـ

على حساب نفوذ الخوارج الصفرية وزاد هذا العداء الاختلاف المذهبي بين الدولتين فالأدارسة من الشيعة الزيدية وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ولا يخفى العداء القديم بين الشيعة والخوارج.

ورغم وجود حاجز يفصل بين الدولتين وهو حاجز طبيعي ممثل في الطبيعة الجبلية،غير أن ذلك لم يمنع من إمكانية أن تعزو دولة منهما الأخرى ولكن الظروف السياسية الداخلية التي مرت بها كل دولة منهما حالت دون ذلك . فقد عزم الأدارسة على إنهاء نفوذ المدراريين الصفرية ولكن الصراع الحاد مع الأغالبة الذين نجحوا في تدبير المؤامرات لقتل إدريس الأول والثاني ، وحالة الضعف التي دبت في جسد الدولة الإدريسية بعد موت إدريس الثاني والصراعات الداخلية في داخل الدولة كانت من الأسباب التي أدت إلى تقاعس الأدارسة عن غزو سجلماسة فاكتفوا بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم . كما اكتفى المدراريون بإثارة القلاقل في دولة الأدارسة عن طريق الخوارج الصفرية الموجودين بها.

وكان من مظاهر العداء الواضح بين الدولتين ما قام به إدريس الأول من حملات ض الصفرية بتلمسان عام ١٧٣ هـ / ٧٩٠م وحمله ابنه إدريس الثاني في عام ١٩٧هـ/ ١٣ على نفس المنطقة .

وتمثل رد فعل المدراريين في تحريض الخوارج الصفرية الموجودين بفاس – الثورة ضد الأمير علي بن عمر بن إدريس واستمرت هذه الثورة حتى عام ٢٩٣/٩٠٧م .

أما فيما يخص العلاقات الودية فقد كانت مع دولة بني رستم في تاهرت والدولة الأموية بالأندلس فبالنسبة لدولة بني رستم فقد اتخذت العلاقات بينها وبين بنى مدرار شكلا وديا فانعدمت الحروب بينهما على الرغم مما كان بين الصفرية والإباضية من تنافر فالعداء المشترك للدولة العباسية وعمالهم الأغالبة بالقيروان وكذلك الأدارسة جعلت الطرفين يدخلان في علاقات سلمية وتحاشي التدخل في خلافات خاصة وأن في كل من الدولتين رعايا أو أنصار تابعين للدولة الأخرى فيوجد في دولة بني رستم خوارج صفرية ويوجد في دولة بنى مدرار خوارج إباضية وقد توجت العلاقات

الودية بين الطرفين بزواج سياسى فتزوج مدرار بن إليسع ابن أبي القاسم من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وذلك تأكيداً على علاقات الود والتضامن بين دولتي الخوارج .

وبالنسبة للدولة الأموية بالأندلس فقد اشتملت العلاقات بينها وبين بنى مدرار على صلات ودية وذلك لعدائهما المشترك ضد العباسيين والأغالبة والأدارسة فقد ارتفعت المصالح السياسية على الاختلاف المذهبي بين الدولتين وعلى الخلاف القديم بين الخوارج والأمويين

ورغم أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية بمعنى أنه ليس لها موانى على البحر المتوسط ولكنهم استطاعوا إيجاد منافذ بحرية على المحيط الأطلسي تجعلهم على صلة بموانئ الأندلسيين ومن ثم تواجدت عناصر صفرية بالأندلس في الوقت الذي توافرت فيه عناصر أندلسية في سجلماسة

ووضحت هذه العلاقات الودية في مساندة المدراريين للأمويين في القحط الذي أصاب بلاد الأندلس عام ٢٣٢هـ ٨٤٧م في عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الثاني فقام ميمون بن مدرار بإرسال بعض المواد الغذائية تغلبا على هذا القحط

ولم تخل العلاقات بينهما من تغير حيث ساعت في أواخر عهد الأمير الأموى الحكم ابن هشام (١٨٠ – ٢٠٦هـ) بعدما أخمد ثورة الربض بقرطبة مما أدى إلى نزوح عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب وخاصة سجلماسة ، ولكنها عادت إلى طبيعتها الودية في عصر عبد الرحمن الثاني الأموى.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام الفاطمي عبيد الله المهدي – أول الخلفاء الفاطميين – كان قد أتى من بلاد المشرق مختفيا بعدما نشر أبو عبد الله الشيعي دعوتهم – دعوة الفاطميين – بالمغرب تمهيدا لإعلان الدعوة الفاطمية وقد دخل هذا الإمام مدينة سجلماسة وعندما تنبه الأمير المدراري : إليسع بن مدرار إلى حقيقة شخصيته قام بسجنه ولكن أنصار المهدى وعلى رأسهم أبو عبد الله الشيعي استطاعوا توجية جيش نحو سجلماسة واستطاعوا تخليص إمامهم من السجن وتقويض

دعائم الدولة المدرارية في عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م وهي أول دولة مستقلة في بلاد المغرب تسقط في أيدي الفاطميين تمهيدا لاكتسحاهم بلاد المغرب وإقامة خلافتهم الشيعية على بلاد المغرب ابتداء من عام ٢٩٧هـ . ويأتى سقوط دولة بنى مدرار الصفرية إثر استدعاء أبو عبد الله الشيعي لمولاه

عبيد الله المهدي في عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م فخرج إليه مختفيا عن أنظار العباسيين وعمالهم حيث مر بمصر والمغرب حيث مر على طرابلس وبلاد الجريد حتى وصل إلى سجلماسة وكان أميرها في ذلك الوقت اليسع بن مدرار وتمتع المهدى بحياة آمنة كما حظى باحترام أهل المدينة .

ولكن عندما تأكدت للأمير المدراري نوايا عبيد الله المهدي قبض عليه وسجنه بسجن سجلماسة ، فما كان من المهدي إلا أن أرسل لداعيته أبي عبد الله الشيعي ليأتي لإنقاذه.

وأرسل أبو عبد الله الشيعي الرسل إلى اليسع يطلب منه إطلاق سراح المهدى غير أن اليسع رفض وقتل الرسل وكرر الشيعي المحاولة فقتل إليسع الرسل في المرة الثانية.

فلم يجد أبو عبد الله الشيعي سوى أن يضرب الحصار على سجلماسة ونجع الشيعي في ذلك وفي قتال جيش بنى مدرار فهرب إليسع بن مدرار وغادر سجلماسة سرا مع أهله وذويه نحو الصحراء وقام الشيعي بتخليص المهدي من سجنه واستطاع الفاطميون أن يقبضوا على إليسع وأهله وجيء به إلى المهدي حيث عذب وأمر المهدى بقتله هو وأهله وصودرت أمواله ثم أمر المهدي بإحراق سجلماسة فاضرمت فيها النيران ، وغادر المهدى سجلماسة في عام ٢٩٧هـ بعد أن بويع بالخلافة فيها وبعد أن عين واليا عليها من قبله .

وهكذا سقطت دولة بنى مدرار على يد الفاطميين بعد انتصار كتامة على مكناسة وتغلب البرانس على البتر وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة .

دولة بني رستم ١٦٠-٢٩٦هـ

تنسب دولة بني رستم إلى عبد الرحمن بن بهرام بن رستم الفارسي مؤسس هذه الدولة وكان أبوه بهرام من موالى الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٥٣هـ) وعندما مات بهرام تزوجت أرملته والدة عبد الرحمن من أحد الحجاج المغاربة الذي اصطحبه إلى بلاد المغرب ،وقد تلقى عبد الرحمن مذهب الخوارج الإباضية وتربى في القيروان ثم ذهب إلى البصرة لتلقى مذهب الخوارج الإباضية هناك .

وعاد الى المغرب ونزل بالقيروان في محاولة لجمع شمل الخوارج الإباضية ولكن أهلها ثاروا على الخوارج أضطر عبد يتوجهوا هاربين نحو المغرب الأوسط حيث بعض القبائل البربرية التي تدين بالمذهب الإباضي واتجه عبد الرحمن الى تاهرت القديمة وفيها قبائل هوارة ولواتة ومكناسة واغلبهم اباضية ،وقد اختار عبد الرحمن منطقة تاهرت لإقامة دولتهم وذلك لأنها منطقة داخلية .

وبويع لعبد الرحمن بن رستم بالإمامة في عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، ووقع الاختيار على منطقة تاهرت لموقعها الجبلي وتوفر العصبة البربرية البترية التي تدين بالمذهب الإباضي وغنى الموقع بالماء والمراعي . وكما هي العادة في بناء المدن الإسلامية ، فقد بدى» بتخطيط المسجد الجامع وتلى ذلك بناء القصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق . وقد أجمع مشايخ الإباضية على اختيار عبد الرحمن لتدينه وصفاته الحميدة ، وشرع بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وإرساء أركان دولته وأولى النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماماً كبيراً بعد أن هادن الخلافة العباسية وبنى مدرار ، فتذكر المصادر جهوده الزراعية في مجال زراعة البساتين وشق القنوات وإقامة المطاحن، كما زاد في تعمير تاهرت وأقام الفنادق والمباني التجارية والأسواق فكانت مركزاً تجاريا لتجار فارس والعراق والمغرب وبلاد السودان وقد اشتهر عبد الرحمن بإقرار العدالة في توزيع الأموال والأرزاق بين أبناء دولته وكان يعاونه في الحكم : القضاة ويمثلون الطبقة ويتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون نواب القاضي من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والقبائل وبعدهم تأتى طبقة العمال من جباة الأموال المعروفين

بالطوافين وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن يوزعوا الأموال على الفقراء والمساكين كما كان عبد الرحمن يقوم بكسوة أبناء دولته بالأكسية الصوفية وملابس الفرو وتوزع على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأحوال .

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقتطع من مال الجزية وخراج الأرض حيث كان من رعاية دولة بني ستم يهود ونصارى وباقى المال يصرف في مصالح المسلمين فيما يخص المرافق العامة كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والحمامات أو شراء السلاح والخيل أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها .

وعندما إطمأن عبد الرحمن إلى سلامة دولته من الأخطار الخارجية ولكي يضمن إستمرار هذا الاستقرار أوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يختار إمام الدولة من بين أعضائه وقد اضطربت أحوال الدولة الرستمية بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم في عام ١٦٨هـ . فامتلأت بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصرى وعلى ذلك مرت الدولة بثلاثة مراحل :

-المرحلة الأولى وتشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح وتمثل هذه المرحلة قوة الدولة وقدرتها على إحباط الحركات المناهضة ضد الإماميةالإباضية.

-والمرحلة الثانية فتشمل عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان محمد وتتميز بالصراع العنصرى والقبلي وفيها ضعفت الإمامة ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت

-وتقسم المرحلة الثالثة والأخيرة والتي تشتمل عهدي أبي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبي اليقظان بتداعى الدولة وتحكم عامة تاهرت في تعيين الأئمة وعزلهم وطمع الطوائف والفرق غير الإباضية في إنهاء الحكم الرستمي الإباضي وخروج الأقاليم الشرقية عن العاصمة كما تفاقمت الخلافات داخل البيت الرستمى وتدبيرهم المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض للاستيلاء على الحكم وقد تضافرت هذه العوامل جميعها على سقوط دولة بني رستم في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م .

وتناولاً لبعض هذه العوامل فنجد أن الصراع القبلي والعنصري والذي ميز المرحلة الثانية (٢٥٨ – ٢٨١ هـ / ٧٨٨ – ٨٩٥م) قد بدت بوادره على عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حيث تمردت بعض القبائل البربرية ، فقد ضمت الدولة الرستمية بائل متعددة من البربر مثل قبائل : هوارة ونفوسة ولواته وسدراتة وغيرها ، فضلاً عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الإفريقي .

وقد ساعدت فترة الهدوء الطويلة التي عاشت بها الدولة في فترة حكم أفلح بن عبد الوهاب (١٩٨ – ٢٤٧هـ) على أحداث تحول خطير في أحوال هذه العناصر والقوى المختلفة . فالقبائل البدوية البربرية كانت تعيش حول تاهرت وفضلت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة وجئت من وراء ثروة طائلة . وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأنا كبيراً لأن الأئمة الرستعيين كانوا من أصل فارسي لذا وكل إليهم قيادة الجيوش والمناصب العليا فضلاً عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية

كما وفدت على تاهرت جموع من العرب والجند الأفريقي بعد فشل ثوراتهم على الأمراء الأغالبة فأقيلوا على سكنى تاهرت هرباً من بطش هؤلاء الأمراء من ناحية وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية أخرى

لذا نجد أن القتال ينشب بين العرب والبربر وبين البربر وبعضهم البعض مما يؤدى إلى تناحر قبلي وصراع عنصري ، يؤدي إلى إنهيار هيبة الأئمة وإضعاف مكانة الإمامة حيث أصبح تنصيب الأئمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة وهو ما يميز المرحلة الثالثة من تاريخ دولة بني رستم (٢٨١ – ٢٩٧هـ / ٨٩٥ – ٩٠٩م) ، فقد استغلت الطوائف الدينية والمذهبية تلك الظروف لاغتصاب الحكم في تاهرت فعمدت إلى التدخل في النزاع بين أفراد البيت الرستمي وإذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الإمامة ومن المرجح أن هذه الطوائف قد تحالفت مع قوى خارجية كالعباسيين والأغالبة والأدارسة والشيعة الفاطميين لإسقاط دولة بني رستم ، ومن هذه الطوائف فرق الخوارج الصفرية التي كانت تعيش في كنف الدولة الرستمية ،

كما كانت تعيش فرق المعتزلة وتواجد كثير من معتنقى مذهب المالكية السني في تاهرت نفسها كما كان للمذهب الشيعي أنصاره في العاصمة .

وقد علا شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت أواخر العصر الرستمي بسبب ضعف العصبيات القبلية والعنصرية نتيجة للصراع بينهما وبسبب سياسة التسامح التي اتبعها أبو اليقظان محمد في أواخر سنوات حكمه مع أتباع هذه المذاهب والفرق .

وكانت علاقات دولة بني رستتم الخارجية تتأرجح بين العداء والصداقة ففيما يخص العداء فقد ناصبت الدولة الرستمية العداء مع الخلافة العباسية نظراً للخلاف المذهبي والسياسي ، وقد وجد إباضية المغرب في دولة بني رستم ملاذاً حصيناً من خطر ولاة العباسيين في القيروان ، وتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن رستم قد أرسل إلى روح بن حاتم – والى افريقية – يطلب الهدنة منه للتفرغ لبناء دولته واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين أئمة تاهرت وأمراء القيروان قائمة حتى عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م حيث قامت دولة الأغالبة في إفريقية والتي تعتبر وريثة العباء مبين في عدائها للدول المستقلة ببلاد المغرب ومن بينها دولة بني رستم .

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم وتعاون العباسيون معهم على إسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، وقد اتضح تأمر العباسيين على إسقاط إمامة تاهرت في المرحلة الثالثة والأخيرة من العصر الرستمي ، حيث لعبت طائفة الكوفيين دورا بارزا في مناهضة الإمامة الرستمية في ذلك الحين وتواطات مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية تاهرت لإقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة

وبالتبعية كانت العلاقة بين بني رستم والأغالبة – السنة – علاقة عدائية ، فقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا فكان لابد من الصدام والاشتباك المسلح بين الطرفين وخصوصاً في المنطقة الحدودية بين البلدين ، حيث أحاطت الدولة الرستمية بإفريقية الأغلبية من الشرق والغرب والجنوب ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من

القبائل البربرية غير المستقرة من الحركة والانتقال في مناطق الحدود ومثال على ذلك إقليم الزاب الذي شهد صراعاً دامياً بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الإباضي

كما كانت حدود دولة الأغالبة الشرقية غير واضحة المعالم، فقبائل نفوسة الإباضية كانت مواقعها قرب طرابلس التابعة لبنى الأغلب وامتدت مواقعها حتى قريبا من القيروان ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا بالصراع بين الدولتين ، وقد دأب الطرفان الأغلبي والرستمي على بث الفتن وضع العراقيل وإذا كان الرستميون الأوائل قد أحرنوا النصر في المرحلة الأولى فإن الأغالبة ظفروا به بعد ذلك في أواخر العصر الرستمي ، لذا نجد أن النزاع بين الطرفين كان على مدينة طرابلس الأغلبية ولكن الخوارج الإباضية امتد نفوذهم عليها وحاول أمراء البيت الرستمي تحريض القبائل على زعزعة الحكم الأغلبي في تلك المناطق – خاصة – المغرب الأدنى ولكن الرستميون نظراً لصراعاتهم الداخلية على الحكم تركوا أباضية المغرب الأدنى وحدهم في صراعهم مع الأغالبة حتى ضعفت قوتهم وكان إضعاف قوتهم إضعاف لقوة الرستميين أنفسهم ، ولولا ما حل بدولة الأغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الأخير وانصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي لأمكنهم أيدي الفاطميين في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م

وبالنسبة لعلاقات بنى رستم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس ، فقد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن ابن رستم إلى المغرب الأوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فقد استعان ابن رستم بخبره الأندلسيين في إنشاء المدينة وتعميرها ، واستمرت صلات المودة في عصر عبد الوهاب بين رستم حيث قرب الأمير الأندلسي عبد الرحمن بن الحكم كثير من آل البيت الرستمي واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقواد

وتوطدت العلاقات الودية بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة وقبلها أرسل الأمير الرستمي أفلح ابن عبد الرحمن بخبر إحراقه لمدينة العباسية التي بناها الأغالبة عام ٢٣٩ هـ /

٨٥٤م إلى الأمير الأندلسي تقرباً إليه فأرسل إليه الأمير الأندلسي مائة ألف درهم تأكيدا على تضامنه معه ضد عدوهما المشترك .

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت أفلح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي حتى سقوط دولة بني رستم في يد الفاطميين الشيعة في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م . سقطت تاهرت في يد الفاطميين ولم يقدم أبو عبد الشيعي علي فتح المغرب الأوسط والأقصى إلا بعد سقوط رقادة عاصمةالأغالبة في عام ٢٩٦ هـ / ١٠٨م، وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ثم إلى تاهرت فخضعت له مقاومة دخل المدينة وأعطى أهلها الأمان وقتل من بها الرستمية وبعث برؤوسهم أخيه حيث طيف بها القيروان وعلقت على باب رقادة ، لذا تم التخلص من أبي اليقظان ابن اليقظان وبنيه ، وأمر أبو عبد الله بإحراق المكتبة الرستمية المعروفة بالمعصومة بعد انتقى منها الكتب الخاصة بالحكم والفنون والرياضيات كما أحرق مدينة تاهرت وغادرها متوجها إلى سجلماسة ووجه من فرسانه إلى وارجلان متعقبا يعقوب بن أفلح الذي هرب إليها مع بعض أصحابه ولكن نجا من مذابح أبي عبد الله الشيعي. وبسقوط تاهرت وانقراض الرستميين انتهى حكم بني رستم الذي استمر يزيد على مائة وثلاثين عاماً .

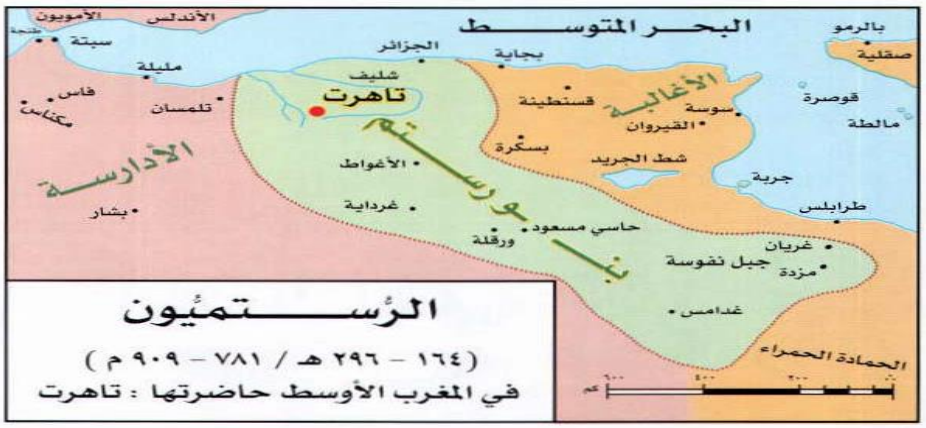

خريطة توضح دولة بنى رستم [١]

(١) شوقى ضيف : أطلس التاريخ العربى الإسلامى، ص ٥١.

مظاهر الحضارة في دولة بني رستم

استفاد عبد الرحمن بن رستم من خبرة الفرس في وضع نظم الدولة الرستمية نفكان يختار عماله وقضاته وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق في علمهم وقدراتهم وكان نظام الجباية والصدقات ونواحي أنفاقها تجرى حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليم الاباضيه .

على ان خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسي عند الخوارج ولم يراعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد انتهاء حكم مؤسيي دولتيهما في سجلماسة وتاهرت حيث برزت النعرات العصبية وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الإدارة فقد تحولت الإمامة إلى ملك وراثي واتخذ الوزراء والحجاب وأصحاب وظائف الدولة حكراً على عصبيات بعينها أستأثرت بها دون العناصر الأخرى.

وعلى المستوى الاقتصادي استنزفت ثورات الخوارج –صفرية واباضية –جهود الولاة ومواردهم المالية ،فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذة الثورات كما أسفرت عن هدم العمائر وأزهقت أرواح أعداد كبيرة من الناس وأدى كله إلى حدوث الأزمات الاقتصادية والمجاعات المتكررة .

ولكننا نجد باستقرار احوال بلاد المغرب السياسية بقيام الدول المستقلة شهدت البلاد نهضة وازدهارا اقتصاديا ملموساً في النواحي الاقتصادية.

لقد قامت دولتي الخوارج مناطق صحراوية ومع وإكب الزراعة والصناعة ورواجا التجارة اهتم أئمة بني رستم بالزراعة فاختاروا موقع عاصمتهم تاهرت مكان جيد الهواء كثير المياة خصب الأرض توافرت المياه لأقليم تاهرت وقد عنى الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات وأقاموا الطواحين على الأنهار فزرعوا والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها جانب غرس الأشجار وإقامة البساتين على مساحات رحبة كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة وارجلان

اعتمادا على الآبار فاشتهرت بأشجار النخيل والزينون والحبوب كما اشتهر الرستمية بمراعيها الواسعة تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء.

واستفاد بنو رستم خبرة والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف والتحف المعدنية وقامت الدولة الرستمية الوسيط التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

ولذا كانت دولة بني رستم إحدى الدول التي دول المشرق والمغرب والأندلس إفريقية جنوبي الصحراء وكذلك أقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين كانت مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة اهتم أئمة بني رستم بتجارة الشرق فشاركوا فيها وأشرفوا بأنفسهم وأولوا التجار رعايتهم وكفلوا لهم الحماية والأمان

وكان لقيام الدولة الرستمية عام ١٦١ هـ / ٧٧٩م آثاره الاجتماعية في حياه سكان بلاد المغرب الأوسط فقد تحول إقليم تاهرت من غابات إلى مدينة عامرة بالسكان والعمائر كذلك تحولت المناطق الإباضية الأخرى مثل غدامس ووارجلان وترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة إلى حياة الحضارة والاستقرار ، ولما كان أئمة بني رستم من الفرس ، فقد جنيت تاهرت كثيراً من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها ، كما احتوت دولة بني رستم جماعات كبيرة من العرب ، نزحوا إلى تاهرت لشهرتها التجارية أو فرارا من الاضطهاد السياسي أو المذهبي أو هرباً من إفريقية بعد فشل ثوراتهم على الإمارة الأغلبية

كما تشبه بنو رستم بأهل المشرق في إقامة المآدب لأطعام الفقراء أيام الأعياد والمناسبات الهامة فكانت تقام الاحتفالات التي يحضرها وفود من كافة أنحاء العالم وكان عمال الإمام ورؤساء القبائل ينزلون في قصر الأمير ويعودون إلى عمالاتهم بعد أن تجرى عليهم الأرزاق وتوزع عليهم الهدايا

وفضلاً عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساونه أيضاً فقد أقام البربر في ظل الحكم الرستمي قصوراً منظمة وأبنية فخمة وأسواقاً مزدحمة ومساجد متعددة

وتنوعت الملابس والفرش وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى ، وفي مقابل ذلك أدت مظاهر الترف إلى وجود نوع من الانحلال والفساد الأخلاقي في أواخر عصر الدولة

دولة الادارسة في المغرب الاقصى

بتولى الخليفة العباسيموسى الهادي ١٦٩هـ-١٧٠ هـ) حول العلاقة بين العباسيين والعلويين من حالة الهدوء والسلم إلى حال الحرب والثورة فقد قام الخليفة العباسي بتشديد المراقبة عليهم في المدينة المنورة التي تعتبر حركة نفوذهم ومنها انطلقت أكثر ثوراتهم وعين واليا جديدا العزيز وعهد إليه بمراقبة العلويين والتضيق عليهم وقام الوالي الجديد بالإساءة إلى العلويين بايعاز الخليفة العباسي حيث فرض عليهم يشبه الإقامة الجبرية وطلب منهم يعرضوا عليه بالمقصورة يوميا وأخذ ينسب إليهم التهم الباطلة للتشهير بقصد صرف المسلمين عنهم اعتقل الحسن محمد النفس الزكية مع مجموعة من العلويين بتهمة شرب الخمر وأقام عليهم الحد (ثمانون جلدة) ثم جعل الحبال في أعناقهم بأن يطاف بهم المدينة مكشفى الظهور لإذلالهم.

وقد أثار هذا العمل غضب العلويين فجاء الحسين بن على بن يحيى عبد الله الحسن (شقيق محمد النفس الزكية) واحتجوا على معاملة العلويين تلك المعاملة المشينة وقامت ثورة المدينة المنورة ضد الدولة العباسية وبدأت هذه المعركة في الحجة ١٦٩هـ /٧٨٦م في مكان يدعى فخ بين والمدينة وقتل الحسين مع أكثر أنصاره وبقيت جثث القتلى ثلاثة أيام لم يأذن العباسيون بدفنها حتى أكلتها الوحوش والطيور

وقد كان لفشل ثورة الحسين بن على سنة ١٦٩هـ / ٧٨٦م نتائج سلبية على العلويين المشتركين فيها . فقد حاول العباسيون استئصالهم ولكن يشاء القدر أن ينجو من هذه المذبحة إدريس وأخوه يحيى واختار إدريس طريق المغرب في حين اختار يحيى المشرق وتحديدا بلاد الديلم واختيار ادريس الطريق المغرب ليس عبثا بل عن تخطيط ودراسته فالمشرق كان مركز الدعوة العباسية وأكثر المشرق موال لهم ولكن المغرب بعيد عن الحكومة المركزية وكان شبه ضائع بعد سقوط الأمويين ١٣٢هـ / ٧٤٩م أي كان شبه مستقل عن أية سلطة مركزية .

والعامل المهم الذي دفع بإدريس إلى التوجه نحو المغرب ورغبة فيه هو مولاه راشد الأوربي وأصله من قبيلة أورية المغربية وكان مولى لإدريس ، وقد أشار عليه بإرتداء ثياب قديمة ممرقة حتى لا يفطن إليه أحد من العباسيين الذين أخذوا يبحثون عن فلول العلويين الفارين من موقعة فخ وقد زاد راشد بأن جعل سيده هو الخادم وجعل نفسه سيداً على إدريس زيادة في تمويه الأعداء . وبتلك الطريقة غادر إدريس الحجاز مع حجاج مصر وإفريقية وركبا الاثنان البحر من ميناء ينبع إلى بلاد النوبة ومنها تابعا السير حتى دخلا مصر .

وفي مصر كان للعلويين انصار وعلى رأسهم صاحب البريد واضح – مولى صالح ابن أبي جعفر المنصور – وكان شيعياً وقد بادر إدريس بالاتصال به وعمل واضح على إخراجه من مصر بسرعة فقرر أن ينقله مع قافلة البريد إلى خارج حدود مصر لأن القافلة وصلا القيروان ولقد دفع واضح حياته ثمن هذا العمل حيث صلبه الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ)

واستمر إدريس في المسير في بلاد المغرب من القيروان إلى تلمسان إلى طنجة واجتازوا وادي ملوية ودخل السوس الأدنى حتى وصلا مدينة وليلى وهي مدينة متوسطة كثيرة المياه والزيتون محاطة بسور عظيم وذلك عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م ونزلا ضيفين على أميرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي

وأخذ إدريس يعلم البربر أصول الدين وأحكامه فما كان من أمير وليلى إلا أن خلع طاعة العباسيين وبايعه بالإمامة وبايعه البربر بمدينة وليلى يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢ هـ على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم .

ولما انتشر نبأ مبايعة الإمام إدريس في وليلي وفدت عليه مبايعة قبائل زناتة وزواغة وسدراته ومكناسة وغمارة وكافة البربر في المغرب الأقصى وبعد أن بايعته هذه الجموع الغفيرة انطلق يجاهد لنشر الإسلام ومحاربة البدع الخارجية فجند جيشاً من البربر وخرج غازيا بلاد تامسنا ففتح مدينة شالة وبلاد تادلا وكافة بلاد المغرب الأقصى وذلك طيلة عام ١٧٣ هـ / ٧٨٩م .

ثم توجه نحو المغرب الأوسط وبذا متوجها نحو تلمسان التي سلمت إليه صلحاً وبايعته وأمر بتعليم السكان القرآن وبدأ بتشييد مسجد للمدينة جاء أية في الإتقان والبناء .

وبعد أن أطمأن إلى أوضاع مدينة تلمسان واستقرار الأمور فيها عاد إلى عاصمته

وليلي واستقر فيها وبذلك استطاع الإمام إدريس خلال سنتين من نزولة بلاد المغرب ١٧٢ هـ أن يبسط سيطرته عليه من مدينة تلمسان حتى المحيط الأطلسي واستقل به في وقت كانت فيه

الدولة العباسية في أوج مجدها وعزها . .

وقد وصلت إلى مسامع الخليفة العباسي هارون الرشيد ما وصل إليه إدريس من سيطرة على بلاد المغرب الأقصى والأوسط ، فبدأ يخطط للقضاء على الدولة العلوية الناشئة التي شكلت تهديدا للخلافة العباسية ، لذا استدعى وزيره يحيى بن خالد البرمكي يستشيره في أمر إدريس وقد أشار عليه الوزير يحيى بأن يرسل إليه برجل يحتال عليه ويغتاله وقد أختار يحيى البرمكي رجلا من حاشيته يدعى سليمان بن جرير الملقب بالشماخ وكان يتمتع بصفات كثيرة منها : المكر والدهاء والعلم والجدل والشجاعة والحزم

فانطلق من بغداد حتى وصل إلى القيروان ومنها إلى مكان إقامة إدريس وقد انتحل صفة طبيب وقد رحب به الإمام إدريس وسأله عن اسمه ونسبه وموطنه وسبب قدومه إلى عبد الله بن الحسن . المغرب وهنا أظهر الشماخ مكره ودهاءه فأجابه أنه من أتباعهم ومن موالي أبيه

وقد استغل الشماخ فرصة غياب المولى راشد عن سيده إدريس ، فدخل على الإمام حيث وجده وحيدا فجلس بين يديه وأخرج من جيبه قارورة طيب مسمومة وقد تناول إدريس القارورة ففتحها وشمها فسقط مغشيا عليه وقد هرب الشماخ نحو المشرق وعرف راشد بالمؤامرة بعد وفاة إدريس ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م وذهب يريد اللحاق بالشماخ حتى لحق به وهو يعبر وادي ملوية في صباح اليوم التالي وقد قطع يديه اليمني وشجه في رأسه ثلاث شجات ولكن الشماخ أفلت رغم ذلك وتابع سيره حتى وصل العراق وقد كافأه الرشيد على عمله فولاه بريد مصر وعاد راشد إلى وليلى

وأخذ في تجهيز الإمام إدريس فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطته أمام مدينة وليلى وقد دام حكم الإمام إدريس خمس سنوات ١٧٢ – ١٧٧هـ

توفى الإمام إدريس الأول دون وريث ولكن جاريته كنزة كانت حاملاً في شهرها السابع وقد أتفق الناس على أنها إن أنجبت ذكراً كان وليا للعهد وبالفعل قام بأمر البربر بعد وفاة إدريس الأول وإلى حين انجاب كنزه لطفلها المولى راشد وعندما وضعت كنزة مولودها أسموه إدريس الثاني وقد ولد في رجب ١٧٧ هـ وقام بأمره إلى جانب والدته مولى أبيه راشد واهتم راشد بتربية إدريس حيث أدبه وعلمه القرآن والفقه والسنة والنحو بالإضافة إلى سير الملوك وسياساتهم وحكم العرب وأمثالهم وأيام الناس ثم دربه على فنون الحرب من ركوب الخيل والرماية والمبارزة وعندما بلغ الحادية عشر شرع راشد في الاستعداد والأخذ البيعة له وقد تم اغتيال المولى راشد من قبل العباسيين في عام ١٨٨ هـ بالسم وتمت مبايعة إدريس الثاني في ربيع أول ١٨٨ هـ / ٨٠٤م وبعد مقتل راشد بعشرين يوماً وله من العمر إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر .

وقد بايعته قبائل المغرب وعلى الخصوص أوربة وصنهاجة وغمارة وزناتة وتتابع الناس من الأندلس وافريقية بالوفود عليه ومبايعته في عام ١٨٩هـ واستمر إدريس الثاني في سياسة أبيه من نشر الإسلام في ربوع المغربين الأقصى والأوسط وقر توفي في ٢١٣ هـ / ٨٢٨م وله من العمر ست وثلاثون عاما وسبب وفاته أنه تناول طعاماً مسموما

وقد بلغت الدولة الإدريسية على يد الإمام إدريس الثاني أقصى اتساع لها إذا امتدت من وادي شلف بالمغرب الأوسط شرقا إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوباً .

وقد كانت وفاته بمدينة فاس ودفن بمسجده مسجد الشرقا بإزاء الحائط الشرقي . وقد ترك الإمام إدريس الثاني اثني عشر ولدا ذكراً هم : محمد وعبد الله وعيسى وإدريس وأحمد محمد وجعفر ويحيى والقاسم وعمر وعلى وداود وحمزة وابنة وحيدة هي :عاتكة فقام بالأمر بعده محمد بعهد منه وتلقب بالمنتصر . وقد تسلم الإمام محمد دولة ذات إدارة مركزية موحدة فبدأ عهده بتجزئتها

إدارياً بناء على اقتراح جدته كنزة ، واستقر الإمام محمد في العاصمة فاس يراقب أعمال إخوته وتصرفاتهم فقاموا بالمهمات على أحسن وجه

ولكن سرعان مادب النزاع بين الأخوة ونشبت الحروب بينهم ، ولم يعش الإمام محمد طويلاً فقد توفى بمدينة فاس بعد سبعة أشهر من وفاة أخيه عمر عام ٢٢١ هـ ودفن بجامعها بجوار أبيه وأخيه وكانت مده حكمه ثمانية أعوام وشهرا واحداً وخلفه في الحكم ابنه على

وبوفاة الإمام محمد يكون قد انقضى على قيام دولة الإدارسة بالمغرب نصف قرن تقريباً ١٧٢ – ٢٢١ هـ / ٧٨٧ – ١ ٨٣٥م

بناء مدينة فاس :

بعد أن استقام الأمر للإمام إدريس الثاني وبيعته في عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣م ، رأى أن يبحث عن عاصمة جديدة ذات طابع عربي يسكنها مع حاشيته وجنوده وتستوعب الوافدين وتتناسب مع مكانة الدولة الجديدة .

وقد خرج الإمام في محاولة أولى لاختيار المكان المناسب في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥هـ ولكن المنطقة التي اختارها كانت ذات مناخ سبيء ولا تصلح لأن تكون عاصمة دولة .

وفي شهر محرم ١٩١هـ خرج في محاولة ثانية فانتهى إلى حمة خولان في وادي نهر سبو – ١٥ كم من فاس ج س – ولكن بعد أن تفحص المكان جيداً عدل عن البناء بعد أن تبين له أن المياه تصل إلى المكان شتاء فخاف على الناس من الهلاك وعاد إلى وليلي ثم في محاولة ثالثة سار أصحاب إدريس الثاني إلى مكان يدعى فحص سايس وهو بين فاس ومكناس وأعجبوا بالمكان لكثرة مياهه واعتدال هوائه ومروجه الخضراء وأخبروا الإمام إدريس بصلاحية المكان فخرج بنفسه وأعجب بالمكان واشترى الأرض من أصحابها ثم شرع في البناء نهار الخميس غرة ربيع أول ١٩٢ هـ فأخذ المعول وبدأ بحفر أساس السور ثم تبعته العمال بعد ذلك بدأ ببناء السور من جهة القبلة ففتح باباً أسماه باب القبلة وتلاه باب آخر بين الفوارة وزيتون ابن عطية سماه باب الفوارة

ويؤدى إلى سجلماسة ثم مر بالسور على المخفية فإلى الوادي الكبير ثم إلى برزخ وفتح هناك بابا سماه باب المخفية ثم سار بالسور إلى الشيبوبة نفتح باب الشيبوبة وتابع بناء السور فترك في منطقة رأس حجر الفرج باب أبي سفيان ومنه كان طريق الريف وفي جرواوة فتح باب الكنيسة إلى جهة الشرق وعرف فيما بعد بباب الخوخة

وخصص الإمام المكان الواقع خارج باب الكنيسة لإقامة المرضى حيث الهواء الذي يهب كثيراً على المنطقة ، وقد استمر الإمام ببناء السور حتى وصل إلى باب القبلة

وبعد أن بناء السور الصرف لبناء الجامع فأقامه قرب رحبة البير أسماء جامع الأشياخ وأقام الخطبة استمر الإمام إدريس مقيماً بجرواوة وقد سميت هذه العدوة باسم عدوة الأندلسيين وذلك لنزول العرب الوافدين إلى المغرب فيها وكانوا يقدرون بثمانية آلاف أسرة في عام ١٩٢هـ / ٨٠٨م فلما استقروا فيها شرعوا بالبناء في مختلف الإتجاهات .

أما العدوة الثانية فقد أسسها الإمام إدريس الثاني بعد مرور عام على تأسيس العدوة الأولى وذلك يوم الجمعة أول ربيع الثاني ١٩٣هـ / ٨٠٩م وكان مكانها موضع كثيف للأشجار تخرج منه ينابيع كثيرة فأعجبه المكان حيث تخلى عن الإقامة بعدوة الأندلسين وانتقل إليها ويدأ ببناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفا وأقام فيه الخطبة شرع بناء داره المعروفة بدار القيطون بجانب المسجد وتبع ذلك بناء القيسارية على محاذاة المسجد كذلك وأدار الأسواق حوله من كل جانب وأمر الناس بالبناء والغرس

وفي هذه الأثناء قدم على الإمام إدريس جماعة من الفرس من العراق فأنزلهم بناحية عين علون شرع ببناء سور المدينة الجديدة ، بدأ به من رأس عقبة عين علون حيث ترك هناك باباً سماه باب إفريقية فكان أول باب بالمدينة ثم فتح باباً آخر في عقبة سعدون باب الفرس ، وفي منطقة الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين باب الفصيل الباب إلى العدوة الأولى وبعد خمس مسافات فتح باب الفرج ثم جاز النهر عائداً إلى العدوة وعلى مقربة من عيون ابن اللصاد فجاءت العدوة متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين لها ستة أبواب وقد أطلق على هذه

المدينة اسم عدوة القرويين أول من نزلها مع الإمام إدريس الثاني ثلاثمائة عائلة قادمة من القيروان فنسبت إليهم .

وهكذا جاءت المدينة مؤلفة من الكبير يدخل عدوة القرويين من ناحية الحديد بواسطة شباك مزرد ويخرج منها من موضع الرميلة بواسطة بابين كبيرين على شكل شبابيك من خشب الأرز مزورة بسلاسل حديدية ويجري بين العدوتين ، وبقيت مدينة فاس منفصلة حتى دخلها يوسف بين تاشفين أمير المرابطين عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠ م فهدم الأسوار الفاصلة وجعلها مدينة واحدة .

وسمى الإمام مدينته الجديدة باسم «فاس» وقد تعدد الروايات بالنسبة للتسمية منها أن الإمام عندما شرع في حفر أساس السور كان يحفر بواسطة فأس ولكثرة ترديد كلمة فأس أطلق على المدينة اسم فاس بدون همزة . ورواية ثانية تقول أنه لما شرع في حفر الأساس من جهة القبلة : على فأس كبير طوله أربعة أشبار وسعته شبر واحد ووزنه ستون رطلا فسميت به .

ورواية ثالثة تذكر أنه لما أتم البناء قيل له : بم تسميها ؟ قال باسم المدينة التي كانت مكانها والتي أخبرني عنها الراهب بأنها كانت تسمى «ساف» ولكني أقلب أسمها فسميت فاس

ولما انتهى من بناء المدينة أنزل بها القبائل كل قبيلة بناحية فنزل العرب القيسية في عدوة القرويين من باب إفريقية إلى باب الحديد ونزل الأزد بجوارهم إلى ناحية باب الحديد واليحصبيون والفرس إلى جوارهم إلى ناحية باب إفريقية .

ونزل العرب القادمون من القيروان في الناحية المخصصة لهم ، ووفدت على ناس جماعة من اليهود رغبت في الإقامة في المدينة الجديدة فأنزلهم الإمام ناحية أغلان إلى باب حصن سعدون

وفي عدوة الأندلسيين ، فبالاضافة إلى الأندلسيين الذين أنزلهم الإمام في الأماكن التي أعدها لهم ، فقد نزل بها قبائل البربر ، صنهاجة ولواثة ومصمودة كل قبيلة في المكان المخصص لها .

أما الإمام إدريس الثاني فقد نزل بعدوة القرويين مع حاشيته ومواليه وكذلك أصحاب الحرف من صناع وتجار وأنزل جيشه بعدوة الأندلسيين وجعل بها مواشيه من الخيل والبقر والإبل والغنم

وكلف ثقاته بالإشراف عليها . وقد تمتعت مدينة فاس بمميزات منها : غزارة المياه فلها نهر معروف باسم نهر الجوهر بالإضافة إلى العديد من الينابيع والعيون الجارية .

وقد اشتهرت المدينة بطيب الثمار مثل الرمان والتين والعنب والخوخ والجوز والسفرجل والكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت علاوة على الورود والرياحين وسائر الأعشاب الدوائية وتزودها الجبال المحيطة بها بالخشب وخاصة خشب الأرز وكان يصل إليها يوميا أحمال كثيرة تستخدم لسقف البيوت وتمتاز المدينة بوجود معدن الملح قريبا وتنتشر الملاحات على أطرافها وكذلك الجير والصلصال والرمال وأنواع الحجارة وكلها مواد للبناء.

دولة الأغالبة

- استقلت دوله الأدارسة بالمغرب الاقصى كما استقل بنو رستم بالمغرب الاوسط فخاف العباسيون على سلطانهم بالمغرب الادنى خاصه وان حكمهم بأفريقيا بدأ يدب اليه الضعف في عهد الوالي العباسي القدير بن يزيد بن حاتم المهلبي سنه ١٧٠ هجريه ،وفي خضم هذه القلاقل ظهر إبراهيم بن الأغلب الذي استطاع بشخصيته أن يعيد للعباسيين سلطانهم على هذه البلاد بعد أن كتب اليه إلى الخليفة الرشيد برغبه السكان في أن يتولى حكم المنطقة من قبله، فأجابه الى ذلك فقام ابراهيم بالأمر خير قيام وانشأ مدينه العباسية قرب القيروان و انتقل اليها فازدهرت المدينة وعمرت بسكانها وسادها جو علمي واقتصادي زاهر .

- هذا وقد اتفق ابراهيم مع الرشيد على أن تكون له الولاية على أفريقية طيلت حياته ثم لابنيه من بعده بالوراثة على ان يتولى الخليفة في بغداد اعتماد الولاة واحدا بعد الاخر وبهذا بدأت أسره الأغالبة تلك التي يرجع إليها الفضل في استقرار الأمن في أفريقية لأول مره في التاريخ.

١- ابراهيم بن الاغلب:

- اقنعت احداث أفريقية المتوالية من المعارك الكثيرة التي خاضها العرب ضد البرابرة وحركات التمرد التي قامت بها الدويلات في الشمال الافريقية ...بأن الانفصال عن الإمبراطورية العباسية اصبح حقيقه لا مناص منها وقد دفع هذا الخليفة العباسي الرشيد الى قبول ما عرضه عليه ابراهيم ابن الاغلب بالتسليم باستقلال أفريقية استقلاً جزئيا عن الخلافة العباسية والاكتفاء بالتبعية الاسمية للخلافة وذلك نظير مبلغ من المال يدفعه الى الخليفة وكان الرشيد بفعله هذا يقر استقلال ابراهيم بن الاغلب الفعلي مع التبعية الاسمية فقط للخلافة العباسية.

- وقد كان ابراهيم هذا من افضل ولات المغرب، فقد جمع بين العلم والتفقه في الدين، واتخذ من مدينه القيروان عاصمه له، وكان يسعى دائما الى محاوله الاستقلال عن الخلافة العباسية، وذلك بتكوين قوه بحريه هائلة لكن ابن الاغلب مواجهه مشكلات كثيره وثورات عديده كان من اهمها ثوره حمديس، وهو من طائفه العرب ،حيث اخذ في نزع شعار السواد المعروف ،وهو شعار بن العباس، فبعث اليه ابراهيم قائده عمران بن مجالد في جيش كثيف لقمع هذه الثورة، حيث تمكن من التغلب على حمديس ،ومع ان ابراهيم كان يحاول استقلاله نهائيا الا أنه كان مخلصا للخلافة العباسية حيث كان يترصد اعدائها بالمغرب.

- كذلك نجد في عهد ثوره أهل طرابلس على ولاتهم من قبل ابن الاغلب في سنه ١٨٩ هجرية وقد قاتلهم عامله سفيان بن المضاء ،حيث كانوا يكون منه فبعث ابن الاغلب جيشا هزمهم ، ودخل طرابلس وقضى على هذه الثورة تماماً.

- ولم تقتصر ولاية ابن الأغلب على هذا، بل نجد أن قائده عمران بن المجالد قد تمرد علية سنه ١٩٥هـ ، وافترق عنه ، وكان معه ايضاً خريش بن التونسي ، حيث اتخذ لهما انصاراً في القيروان ، مما اضطر ابن الاغلب إلي النزول بين القيروان والعباسية ، وتمكن من التغلب على هذه الثورة التي قام بها كل من ابن مجالد وابن التونسي .

- كذلك عندما ولي ابراهيم ابنه على طرابلس سنة ١٩٦هـ ثار علية الجند وحاصروه في دارة، وصالحوه على أن يخرج من بلادهم ،وبالفعل فقد خرج منها ليجمع حولة انصاراً بالأموال والعطايا وزحف بهم على طرابلس وتغلب على جندها هذا ، ويعتبر ابراهيم بن الأغلب أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه، واستغنى عن إستخدام الرعية في شأن له.

٢- ابو العباس عبد الله بن ابراهيم

- وقد كان مشغولا وقت وفاه والده سنه ١٩٦ هجريه بإخماد الثورة في طرابلس فقام اخوه زياده الله ،وتلقى له البيعة ،وعاد عبد الله الى القيروان سنه ١٩٧ هجريه واستقبله واخوه استقبال يليق به ،وسلم له الإمارة ولكن بدلا من ان يعترف عبد الله لأخيه زياده الله الفضل فقد اخذ يتحامل عليه ويأمر بسبه، الا ان زياده الله ظل يدي له التبجيل والتعظيم وكان أبو العباس جائرا متعسفا ظلوما مع رعيته حيث ضاق به الناس مما دفع جماعه من الصالحين على راسهم حفص بن حميد إلى نصحه بالعدل والانصاف مقدمه اليه المواعظه،ولكنه استخف بهم واعرض عن نصائحهم فخرجوا من قصره وقد ساهم ذلك الاستخفاف به وعندما وصلوا الى وادي القصارين نازله هناك وصلوا في" كُدية" ركعتين،ودعوا الله ان يكف عن المسلمين جور أبي العباس ولم يمض على دعائهم خمسه ايام حتى توفى بسبب قرحه أصابته تحت اذنه سنه ٢١١ هـ وبذلك تنفست الرعية الصعداء.

٣- زيادة الله

- و يأتي بعده زياده الله بن إبراهيم وقد كان من أعظم أمراء بني الأغلب على الإطلاق لذلك نجد البلاد التونسية تنعم في عهده بمثل ما نعمت به في عهد سلفه من رخاء المعيشة وقد ترك زياده الله اثارا كبيره بالقيروان والعباسية وتونس وسوسه وقد جمع عهده بين الفنون والعمارة والأدب واشتهر هو بذلك الي جانب الكفاية الحربية كما تمكن من قمع جميع الثورات بمجرد اعتلائه الأمارة بعد اخيه ووصلة التقليد من قبل الخليفة المأمون وظل مخلصا للمأمون حينما اعتلي عرش الخلافة ببغداد. أما اهم الأحداث الداخلية في عهده فهي ثوره زياد بن سهل وثوره عمر بن معاوية وثوره منصور الطنبدي بتونس وهي أخطر الثورات التي اشتعلت نيرانها في عصره، وقد تمكن من اخماد كل هذه الثورات مع أنها كادت تطيح بملك الأغالبة لخطورتها واشتدادها.

- كذلك عني زياده الله بالأسطول الإسلامي ،وقام بغزو عدد من الجزر القريبة، بيد أن أهم الغزوات البحرية كان غزو جزيره صقليه، حيث كان المسلمون دائما يحاولون الاستلاء عليها ،كما كان الروم يواصلون زحفهم على تلك الجزر لمحاوله السيطرة عليها.

- لهذا يمكن ان نرجع رغبه فتح المسلمين لصقليه للأسباب الأتية:

- **١-** غزو صقليه عين ٢١٢ هجريه ينزله القضاء على غارات الروم المتكررة.

- ٢- كانت صقليه بالنسبة للمسلمين بلادا مغنيه حيث انها تشتمل على اراد جديده يمكن استغلالها اذا تم للمسلمين فتحها.

- ٣- كذلك نجد ان العامل الديني – وهو الجهاد في سبيل الله- كان له اثرا في اتمام هذا النصر فقد كان اهل إفريقية قد تفقهوا في الدين الاسلامي وكان الخروج لمدافعة الروم عن صقليه امر يتمناه العابدون والصالحون وقد وافق زياده الله على ان يكون القاضي اسد بن الفرات قائدا للحمل و حيث خرج معه اشراف العرب والجند والبربر والاندلسيون

- ٤- اراد زياده الله ان يبدو امام الناس بمظهر المجاهدين فيكسب قلوب رايته ويوطد مكانته في نفوسهم.

- ٥- اراد ان يتخلص من بعض جنوده عن طريق اشراكهم في هذه الغزوة فقد كانوا يقومون احيانا بالثورات ضده.

❑ ***<u>اخيرا يعتبر زيادة الله من احسن خلفاء دولة الاغالبة على الاطلاق ،وذلك لما قام به من أعمال عمرانية وحربية،مما اكسبه مكانة تاريخية ممتازة فى إفريقية.</u>***

٤ أبو عقال الأغلب:

- فقد خلف أخاه عندما توفي وكان يلقب بخزر، وقد ساد الهدوء أيامه ولم يعكر صفو هذا الهدوء إلا انتفاض خوارج زواغة ولواتة ومكانسة سنة ٢٣٤هـ في إقليم قسطنطينية، وحيث قتل عامله هناك، فسير لهم جيشا بقياده" عيسى بن ربعان" ،كذلك نجد ابا عقال قد أهتم بأمر صقليه ونجح المسلمون في افتتاح عدد من حصونها كما اشتبك مع البيزنطيين في موقعه بحريه انتهت بانتصار المسلمين.

٥ ابو العباس محمد بن الاغلب ابراهيم (٢٢٦ -٢٤٢) هـ

- وقد ساده الامن وعم السلام بلاد إفريقية في اول ولايته ،وظل الهدوء سائدا واستطاع خلال تلك الفترة بسط نفوذه في المغرب الادنى ،فأسس مدينه بالقرب من تاهرت سماها"العباسية"،وقد قامت في عهده عده ثورات كان من بينها ثوره اخيه أحمد، ولكنه تمكن من التغلب عليه ونفاه إلى مصر.

- كذلك قام سالم بن غلبون عامله على الزاب بالثوره عليه ،حيث ان الأمير كان قد عزله، فاقبل سالم بن غلبون بجيش من أنصاره حتى وصل قلعه يلبسير، فأخرج اليه ابن الاغلب قائده خفاجه بن سفيان فتمكن هذا من التغلب عليه كذلك ثار عليه عمرو بن سليم التيجي المعروف بالقوبع في تونس، واستمرت ثورته فتره من الزمن وفشل قائده خفاجه في القضاء علية فبعث إليه بجيشاً آخر بقياده محمد بن موسى المعروف ب عريان فانهزم محمد بن موسى لأن عددا كبيرا من عساكر ابن الاغلب انضم إلى جيش القوبع ،فسير اليه ابو العباس جيشا للمرة الثالثة بقياده خفاجه الذي تمكن في هذه المرة من هزيمته.

٦ ابو ابراهيم احمد بن محمد(٢٤٢-٢٤٩)هـ

- وكان صغير السن حسن سيره كريم الفعال رفيقا برعيته متجنبا الظلم ،مولعاً بالبناء،فقد أنفق الأموال الكثيرة في بنيان المساجد والجسور والقناطر وزاد في بناء الجامع الكبير.

- وفي عهده ثار خوارج البربر من الإباضية في طرابلس سنه ٢٤٥هـ وهزموا عاملها أخاه عبد الله بن محمد ،فسير له أخاه زياده الله ،فانهزم الإباضية وقتل عددا كبيرا منهم، وتوفي أبو ابراهيم سنه ٢٤٩هـ .

٧ . محمد زياده الله بن محمد (٢٤٩-٢٥٠)هـ

- خلف اخاه ولم يطل عهده اذ توفي بعد اخية بعام واحد وهو الذي أتم عمل اخية في استكمال جامع الزيتونه بتونس .

٨ . ابوالغرانيق محمد بن أحمد (٢٥٠-٢٦١)هـ

- وقد لقب بهذا اللقب لحبة الشديد لصيد الغرانيق ، حتى إنه بنى قصرا يخرج إليه لصيدها ،وانفق علية حوالي ٣٠ ألف مثقال من الذهب ،وفي عهدة أقام محمد بن حمدون المسجد الشريف المنسوب اليه بالقيروان ،ويعرف بمسجد الابواب الثلاثة .

٩ابراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩)هـ

- ويعتبر من أعظم أمراء بني الأغلب فهو الذي قام بتأسيس مدينه" رقاده "وبنى بها جامعاً ،و انشا قصر من اسماه الفتح كما أقام الحصون والمحارس بالسواحل حتى ان النار كانت توقد في ساحل سبتة نذيراً للعدو.

- كذلك قام ببناء سور سوسه،وظهرت في عهدة فتنه العباس بن طولون،الذي انتهز فرصه غياب والده بالشام،ولكنه اصبح سيء الطبع بمرور الايام ، جائرا ظالماً سافكاً للدماء ثم اصيب في اخر عهدة بجنون القتل حتى أنه قتل ابناءه وبناته وقتل ثمانية

اخوه له واتى بأمور لا تصدر الا من متوحش ويقال انه فقد منديلا صغيرا فقتل بسببه ثلاثمائة خادم وكان اثيماً جائراً لما صدر عنه من شرور.

١٠-زياده الله بن عبد الله (٢٩٠-٢٩٦)هـ

- هو اخر ملوك بني الأغلب لما تولى قبض على أعمامه وارسلهم الى إحدى الجزر وأمر بقتلهم وعكف على اللهو والملذات وظهر التقدم الشيعي في عهده، وكانت نهايته عندما طارده الشيعة في طرابلس فقام بها ١٧يوما ثم سار بعد ذلك الى مصر،وبذلك انقرضت دوله بني الاغلب.

سكان إفريقية في عصر الأغالبة:

- كان يسكن أفريقية ايام الأغالبة اخلاط بشريه مختلفة في الجنس واللغة ومن هذه الاجناس يمكن ان نميز خمسه منها وهي:

١. العرب

- وكان بعضهم من اعقاب الفتح الاسلامي،الذين استوطنوا اراضي إفريقية واصبحوا من اهل البلاد.

٢-العجم الفرس

- وهم الذين قدموا من خرسان وفارس مع اولاد بني العباس وكانوا يؤلفون قسما مهما الجند حيث يعيشون في القلاع البيزنطية او القلاع القديمة وقد ساهموا بنصيب وافر في الجهاد بصقليه حيث كانوا تحت قياده اسد بن الفرات

٣-البربر

- وقد حاولوا اقامة الجمهورية لهم حيث قاموا بعده ثورات وذلك بهدف الحصول على دوله مستقله ولكنهم لم يوفقوا في مطلبهم هذا ،وقضي على حركتهم.

٤،٥-الروم والأفارقه

- وهم بقيه الروم حيث كانوا يخدمون بيزنطة قبل الفتح العربي ولم يجلوا عن قرطاجة بعد سقوطها في ايدي المسلمين وقد تمكنوا من الاحتفاظ بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكان هؤلاء الروم والافارقة يشتغلون بزراعه الزيتون وقد ولا هم بعض امراء الاغالبة مناصب مهمه في الدولة بشرط دخولهم في الاسلام.

الفنون والعمارة في عهد الاغالبة

- اهتم الاغالبة بالعماره في تونس اهتماما كبيرا وأهم آثارهم مسجد القيروان الذي اختطه القائد عقبه بن نافع عام ٥٠ هـ وقد زاد فيه الاغالبه زياده عظيمه، وكذلك جامع الزيتونة، وهو الذي نهض بنفس المهمة العلمية التي بدا بها الازهر في مصر فهو بهذا يعتبر جامعه علميه قديمة حفظت التراث الاسلامي ومازال حتى الآن يؤدي رسالته السامية وقد أسسه ابن الحبحاب عام ١١٤ هـ ولكن عظمته ترجع إلى عصر الأغالبية.

- كذلك يعزي للأغالبة انشاء مسجد سوسه، ورباطها، وسورها العظيم، كما تمكن الأغالبة من تأسيس العباسية.

- اما عن الثقافة في عهد الأغالبة فقد ظهرت بشكل بارز ؛حيث الجامعة العلمية بالقيروان وغيرها من المدارس الإقليمية وفي عهدهم بدأ المغرب يأخذ طابعًا دينيًا واضحًا ،وهو مذهب الامام مالك ،حيث اصبح هذا المذهب للمغاربة كعقيده وطنيه ، فقد ظل يدافع عن الحياه في المغرب، ويطبعها بطابع خاص وما زال موجودا في البلاد حتى اليوم.

الازدهار الاقتصادي في عصر الاغالبة

- لم تعرف بلاد أفريقية من العصر الروماني ازدهارا كما عرفته أيام الاغالبة وقد اصيب اقتصادها في النصف الثاني في عهدهم باضطراب شديد بسبب تعاقب الغزاة عليها وقيام البربر بالثورات والفتن.
- أما من ناحية الثروة فقد اشتهرت "مجانة" بمعادنها الكثيرة، وعلى الاخص الكحول والفضة والحديد والزنك الرصاص وكان من اهم الصناعات في عهد الأغالبة صناعه الآلات الحديدية اللازمة لصناعه السيوف السروج ولجم الخيل و صناعه التحف من الذهب والفضة كذلك تشتهر الأغالبة بصناعه السجاد
- وكذلك ازدهرت الحياه التجارية ايام الأغالبة في القيروان ازدهارا عظيما و كثره الاموال بسبب التجارة و رواجها
- اما عن سك العملة فيعزى ضربها الى الفتيان والعبيد وكان ابراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة أول من اتخذ من العبيد حراساً له واستكثر منهم وجعلهم تحت خدمته في مدينه القصر القديم وقد لعب الفتيان والعبيد دورا مهماً في دولة الاغالبة وسجلت بعض اسماءهم على العملات حيث كانوا يقومون بالأشراف على دار السكة فقد كانوا موضع ثقة الامراء في هذه الوظائف الخطيرة كذلك سجلت اسمائهم في النقوش التاريخية التي تمت على ايديهم مثل اسم" سرور " خادم الامير زياده الله بن ابراهيم.

جهود الأغالبة في الداخل والخارج:

- لقد شمل الاسلام في عهدهم كافه مناطق إفريقية ، وانتهى أمر الوثنية والنصرانية إلى الأبد كما عم إنتشار اللغة العربية في البلاد مكان اللاتينية التي كانت سائدة قبل عهد الأغالبة.

- كذلك استطاع هؤلاء الحكام ان ينشروا السكينة والأمن في ربوع البلاد بالإضافة إلى أنه تم في عهدهم امتزاج واسع بين العرب الفاتحين والسكان الأصليين بانتشار الثقافة العربية ومصاهره السكان بعضهم لبعض،كما ان الاغالبة اجتهدوا في نشر فنون العمارة العربية التي كانت سائدة في كل مكان من دمشق وبغداد آنئذ ولا تزال آثار تلك العمارة ماثله حتى الآن في بعض المدن كتونس والقيروان وطرابلس كما اولى الأغالبة اهتمام بالمرافق العامة كالطرق والمواصلات والبريد وظهرت على عهدهم الحركة العلمية والفنية والأدبية.

- ولقد انتشر صيت الأغالبة بعد أن اصبح يسيطرون على تلك المناطق الإفريقية والبحر المتوسط لتلك الشواطئ وذلك من واقع شهاده المؤرخ الاوروبي "ستانلي لين بول "حيث يقول:" إن الأغالبة لم ينالوا فقط سلطانا وطيدا في البر، بل شمل سلطانهم البحر الابيض المتوسط ايضا ،فكانوا سادته والمسيطرين على الملاحة فيه، وكان لهم بحريه قويه ألقت الرعب في سواحل فرنسا وايطاليا وكورسيكا واحتلت صقليه ومالطا وسردينيا، وبعض المدن الساحلية بفرنسا وايطاليا وهددت ضواحي روما".

فتح صقليه

- كانت صقليه في مطلع القرن التاسع الميلادي خاضعه للبيزنطيين ولكن كانت حينئذ يسودها جو من الفوضى حيث غادرها أحد القادة البيزنطيين الذي قصد حاكم إفريقية يومئذ (زياده الله بن ابراهيم)،وزين له أن يقوم يفتح هذه الجزيرة، وكانت اساطيل الرومان أغارت من صقليه على الساحل الافريقي الشمالي ،وخربت بيوت المسلمين، وألقت الرعب في قلوب الناس، فانتهز زياده الله فرصه قدوم هذا القائد ليثأر للمسلمين ، وفعلاً أعد حمله ضخمه بقياده قاضي القضاة "الامام اسد بن الفرات" ابحرت في ربيع الاول سنه ٢١٢هـ٨٢٧م حتى بلغت الجزيرة فاستولت على مدينه مازورة ثم حاصرت مدينه سرقوسة ،وحينئذ توفي القائد ابن الفرات حول اسوارها مع مجموعه من رجالة، فتولى

القيادة محمد بن الجواري الذي استطاع ان يفك الحصار ويدخل سرقوسة، وبعد موت ابن الجواري تولى القيادة زهير بن خوث واحتل العاصمة باليرمو، وبذلك سقطت الجزيرة في ايدي المسلمين واسندت ولايتها الى احد الأغالبة وهو " ابو الاغلب ابراهيم ابن عبد الله".

- ولما كان المسلمون يومئذ قد بلغوا في الحضارة شاناً عظيما فقد تسربت الى ثقليه بعد فتحها معالم الثقافة والفن الاسلامي فاضحت بذلك معبراً مهما لنقل الفكر الاسلامي والعربي الى اوروبا عن طريقها، وذلك على حد تعبير الموسوعة لاروس المجلد(١٤/ ٦٧٩) فقد جاء بها أن صقليه مدينه للعرب باسمي ما عرفته من تقدم زراعي ،فالقطن وقصب السكر والفستق و غيرها لم تعرفه الجزيرة الا باحتلال العرب كما تحدث ابن حوقل عن الجزيرة ابان حكم المسلمين لها،وأشاد بمساجدها الكثيرة، وتحدث عن معلمي الصبيان ومؤدبيهم.

- هكذا بقيت صقليه في حوزة المسلمين حتى اغتصبها النورمانديون عام ١٠٩٠ م بيد أن الحضارة الإسلامية ظلت ماثله بها بعد اجلاء المسلمين عنها ردحاً من الزمن، فيذكر التاريخ ان حاكمها" روجر الاول" المتوفى عام ١١٠١ م كانت مظاهره عربيه، فقلد المسلمين المناصب القيادية وشمل العلوم العربية برعايته كما قرب الى بلاطه فلاسفه الشرق واعتمد على المسلمين في جيشه كما كان متسامحا تجاه الاديان بالجزيرة واحتفظ بنظام الإدارة الاسلامي حتى لقد بقيت صقليه هكذا عربيه المظاهر شرقيه السِمات نحو من قرن من الزمان بعد انتهاء الحكم الاسلامي منها، ولم يقتصر الامر في هذا على الإدارة ونظام الحكم بل يمتد ليشمل الحياه للشعب في اغلب احواله ،فقد زار ابن جبير المؤرخ صقليه في القرن الثاني عشر الميلادي فرأى الازياء الإسلامية شائعه بين السكان الجزيرة، وقد كان روجر الثاني نفسه يلبس الجبة المطرزة بالحروف العربية كما راي ابن جبير النساء النصرانيات يرتدين ازياء المسلمات (رحله ابن جبير ٣٣٣).

- وعلى هذا فتعتبر صقليه من المعابر والمنافذ المهمة لوصول الحضارة العربية الإسلامية الى اوروبا.

فتح مالطة

- لم يقف الأغالبة عند الاستلاء على صقليه وانما توالت هجماتهم على بعض الجزر الاخرى في البحر المتوسط فقد اتجهوا نحو جزيره مالطة ابتداء من سنه ٨٢٤ م وظلوا يناوشونها حتى تم الاستيلاء عليها سنه ٨٦٩ م وقد ظل حكمهم لها حتى انتزعها منهم الفاطميون عام ٩٠٩ م وبقى هؤلاء بها حتى اغتصبها منهم النورمانديون عام١٠٩٠م.
- كذلك كان للاغالبة الفضل في ان يكون الجالية الإسلامية نفوذ في كل من كل من جزيره كورسيكا وسردينيا وكريت منذ مطلع دولتهم.

الدولة الفاطمية بالمغرب٢٩٧-٣٦١هـ

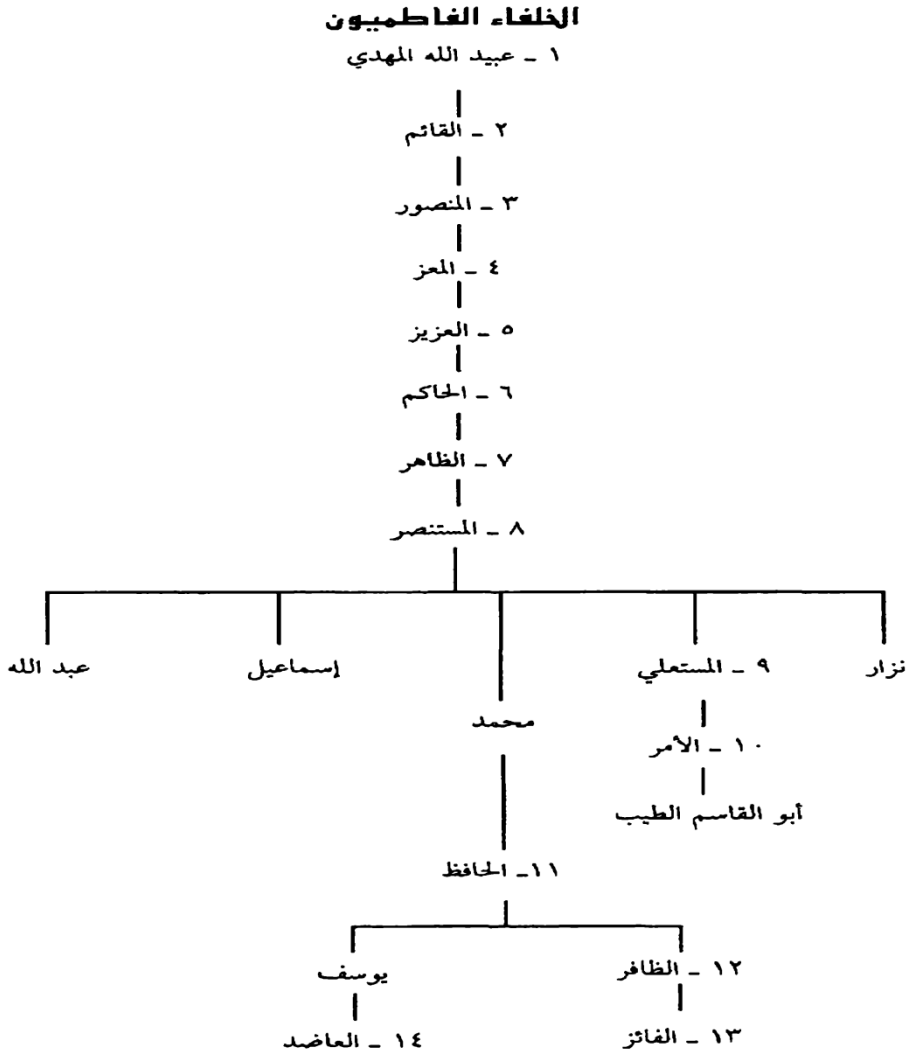

المصدر :جمال الدين الشيال :تاريخ الدولة الفاطمية ،ص ١٦٢.

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ وزوج على بن أبي طالب ومن اسمها اتخذوا لقبهم ، وبناء على ذلك فهم شيعة علويون وقد أرادوا بانتسابهم للسيدة فاطمة أن يؤكدوا شرعية وراثتهم لخلافة النبي عكس إخوانهم من أبيهم «على رضي الله عنه » من زوجة أخرى مثل محمد بن الحنفية صاحب الشيعة الكيسانية والذي تنازل عن الخلافة لأبناء عمومته من العباسيين وهم في ذلك يشبهون العباسيين الذين بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد أو الرضا من آل البيت ثم استخلصوا الخلافة لأنفسهم باعتبارهم حفدة العباس عم النبى ﷺ وأحق الناس بوراثة تركته لا ينافسهم في ذلك العلويون حفدة ابن العم .

وأصل المذهب الشيعي يقوم على مبدأ سياسي مهم هو أن الأيوبيين والعباسيين مغتصبون مبدأ شرعية الحكم ، فعلي بن أبي طالب وبنوه هم الخلفاء أو الأئمة الشرعيين أما غيرهم فيعتبرون مغتصبون له وذلك أن الإمام – في مذهبهم – هو وريث علم النبي ويتم تعيينه بتوجيه إلهى عن طريق وصية سرية تنتقل من إمام إلى إمام وهؤلاء الأئمة معصومون من الخطأ وبناء على ذلك جمعت الشيعية مبدأ الوراثة الملكي .

وقد لقى المذهب الشيعي اضطهادا وتعنتا من قبل الخلافة الحاكمة ابتداء بالخلافة الأموية (٤١ – ١٣٢هـ) ثم الخلافة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ) مما دعا الشيعة بأن يكون،لهم حياة مستقرة وهو ما عرف بمبدأ «التقية، ومع مرور الوقت أصبحت التقية من أهم سمات فرق الشيعة الغلاة ، وعلى اعتبار أن الإمام وجوده ضروريا في كل زمان فإن في عقيدتهم أن آخر الأئمة لم يمت ، بل هو مائب وأنه سوف يعود في يوم ما لذا أصبح موضوع «المهدي المنتظر، الذي سوف يأتي ليملأ الدنيا عدلاً ويخلصها من الظلم هو ما أشاعه الفاطميون وأقاموا عليه دولتهم .

وتعود نشأة الحزب الشيعي إلى وقت مبكر في تاريخ الإسلام ، فقد بدأ منذ أن توفي الرسول ﷺ وكان من رأى بعض الصحابة أن أولى الناس بالخلافة هم أهل بيت النبي أي بنو

هاشم ، وأولى هؤلاء ابن عمه على بن أبي طالب وعليه نشبت الخلافات طوال العصر الأموى بينهم وبين الشيعة الذين كانت من أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية وانتهت ثورته بمقتله وقتل من معه في مذبحة كربلاء في العاشر من محرم ٦١هـ / ٦٨٠م .

وتمسك العلويون بحقهم في الخلافة طوال العصر العباسي وقاموا بثورات عنيفة هددت سلامة الدولة العباسية غير أن الخلفاء العباسيين قضوا على تلك الثورات بكل شدة وعنف مما دعا العلويون أن يتمسكوا أو يتخذوا مبدأ التقية حماية لهم من بطش العباسيين .

ولقد تعددت فرق الشيعة التي تطالب بالخلافة وأهم هذه الفرق هي فرق الشيعة الإمامية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ – الإمامية الاثني عشرية :

وهي تعطى حق الخلافة بعد الحسين إلى ابنه على زين العابدين ثم إلى أبنائه وأحفاده من بعده : محمد الباقر ، وجعفر الصادق ، وموسى الكاظم ثم إلى الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب عندهم بالمهدي وهو الذي اختفى عام،اختفى فيه٢٦٥ هـ في مدينة سامرا وظل أتباعه ينتظرون عودته بالوقوف أمام السرداب الذي اختفى فيه .

٢ – الإمامية الإسماعيلية

وتتفق مع الفرقة السابقة في يعطون حق الخلافة إلى ابنه إسماعيل وليس موسى الكاظم وقد مات إسماعيل في عهد أبيه (ت ١٣٨ هـ) ومن ثم تساق الخلافة إلى أبنائه حتى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة التسلسل حتى جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) ولكنهم الفاطمية بالمغرب ، وهم يسمون بالإسماعيلية أو بالسبعية لأن إسماعيل هو الإمام السابع،وإليهم ينتسب الفاطميون .

٣ – الإمامية الزيدية :

ويعطون الخلافة إلى زيد بن على زيد العابدين بن الحسين ثم إلى ابنه يحيى بن زيد وهؤلاء لم يتبرأوا من أبي بكر وعمر ولكنهم يقولون أن عليا أفضل أي أنهم أجازوا إمامة المفضول (أبو بكر – عمر) مع وجود الأفضل (على) وذلك على عكس الإسماعيلية والاثنا عشرية الذين يرفضون إمامة الشيخين أبو بكر وعمر وأطلق عليهم اسم: الرافضة،

ولهذا تعتبر الزيدية أقرب الفرق الشيعية إلى السنة وقد دخل الفاطميون بعد وفاة جعفر الصادق حتى قيام دولتهم ببلاد المغرب في دور أطلق عليه دور الستر وهو مبدأ اتخذوه خوفا من بطش العباسيين وهذه الفترة ممتدة من محمد المكتوم بن إسماعيل حتى ظهور عبيد الله المهدى .

ودور الستر هذا قد شكك الناس في صحة نسب الفاطميين مما اتخذه العباسيون في بغداد والأمويون في الأندلس سلاحا ضدهم فأشاعوا أن الفاطميين أصلهم مجوس أو يهود ، لذا نجد أن الشيعة أنفسهم الذين اعترفوا بصحة نسب الفاطميين قد اختلفوا في تسلسل هذا النسب ، ولكن الفاطميين أصبحوا بعد ذلك لا يهتمون بأصل نسبهم وهو ما كان واضحا بالنسبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد أن دخل القاهرة (٣٦١ هـ) حيث استقبل وفود المهنئين له بالقدوم وقال لهم وهو ممسك بالدنانير ومعسك بسيفه في ذات الوقت «هذا حسبي وهذا نسبي» وقد تواجد في فترة الست هذه نوعين من الأئمة :

- ١ – الأئمة المستورون أو المستقرون وهؤلاء هم أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق
- ٢ – الأئمة المستودعون وهم الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المستورين وهؤلاء هم
- ميمون القداح وأولاده من بعده . وميمون القداح كان طبيبا فارسيا كما كان راوية للإمام جعفر الصادق وكان أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة ونائبا لهم.

وقد قام ابنه عبد الله بن ميمون بن ديصان – بعد أن أخذ عن أبيه أسرار الدعوة بزرع بذورالدعوة الفاطمية بنواحي كرخ وأصبهان – من أعمال بلاد فارس – بمساعدة محمد بن الحسين الملقب بدندان – الوالي على تلك النواحي – وتم ذلك بتوجيه الدعاة إلى الأهواز والبصرة والكوفة وخراسان وسلمية – قرب حمص – وأشار عبد الله على الدعاة أن لا يظهروا ما في أنفسهم إنما يكتموه ويظهروا الزهد والتشيع والطعن على الصحابة ليكون ذلك مدخلاً فيما بعد إلى الدعوة الفاطمية .

وتسلم الدعوة بعد وفاة عبد الله القداح ابنه أحمد الذي كان يساعده رجل يدعى «رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار» من أهل الكوفة واستطاع ابن حوشب الذهاب إلى اليمن وجمع أعداد غفيرة في الدعوة وجمع كثير من الغنائم والأموال مما مكنه من إرسال الهدايا إلى أولاد عبد الله القداح الذين بالكوفة وفي الوقت نفسه كان أحمد قد أرسل برسولين هما : الحلواني وأبا سفيان إلى بلاد المغرب حيث قال لهما :"ان المغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيئ صاحب البذر» فسارا إلى المغرب ونزل احدهما بأرض كتامة واخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب الكثيرين من قبيلة كتامة وغيرها وظلا هناك إلى أن ماتا المغرب ونزل أحدهما بأرض كتامة وأخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا وفى الوقت نفسه كان هناك داعيان آخران في بلاد اليمن هما : ابن حوشب،وأبو عبد الله الشيعي.

ويعتبر أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية الإسماعيلية في المغرب كما كان أبو مسلم الخراساني المؤسس الحقيقي للدولة العباسية في المشرق ، ومن العجيب أن خاتمة الرجلين كانت واحدة ، فقد قتل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ) أبا مسلم في عام ١٣٧ هـ كما قتل عبيد الله المهدى (٢٩٧ – ٣٢٢ هـ) أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس في عام ٢٩٨هـ .

كان أبو عبد الله الشيعى يمنى الأصل من مدينة صنعاء ، ترك ولاية الحسبة في بغداد وسار إلى اليمن وقد أخذ العلم في بلاده التي كانت من معاقل الشيعة على أئمة المذهب وقد مهدت الظروف في معرفة أبو عبد الله بعبيد الله المهدى – في العراق – ومعه أحد عشر رجلاً من الدعاه فانضم أبو عبد الله إليهم وبذلك أصبحوا اثني عشر نقيبا .

وفي هذا شبه كبير بينهم وبين النقباء الاثني عشر الذين قامت على أكتافهم الدعوة العباسية ، فكأن ذلك التنظيم الاثني عشري كان أساس الدعوات السرية التي عرفتها الخلافة الإسلامية ابتداء بالعباسيين ثم من أتي من بعدهم الإسماعيلية مثل القرامطة والفاطميين ثم الحشاشين .

وقد تم انعقاد مجلس هؤلاء الدعاة الفاطميين في العراق قبل عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ولم يتوجه أبو عبد الله الشيعي مباشرة إلى المغرب لنشر الدعوة بل سار إلى اليمن التي صارت معقل الدعوة العلوية منذ أيام الإمام جعفر الصادق وكان كبير الدعاة في اليمن وقتها هو ابن حوشب – الكوفي الأصل . ويروى ابن الأثير أن ابن حوشب عندما علم بموت الحلواني وأبي سفيان الداعيتين بالمغرب أوفد أبا عبد الله إليها وقال له : «إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لك غيرها قبادر فإنها موطأة ممهدة لك،".

وقد اقتضت خطة أبو عبد الله الشيعي بأن يسير إلى مكة في موسم الحج ليتصل بحجاج كتامة هناك وبالفعل وصل في عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٤م وبدأ البحث عن حاج المغرب إلى أن اهتدى إلى عدد من أعيان قبيلة كتامة وعددهم عشرة رجال ، فتقرب إليهم وتظاهر بالزهد والتقشف وأعجبوا به ووثقوا فيه فقد سألهم عن بلادهم ومذهبهم ، وتوثقت الصلة بين أبي عبد الله الشيعي وحجاج كتامة حتى حان وقت عودتهم إلى بلادهم فسألوه عن وجهته بعد انقضاء موسم الحج فتظاهر بأنه يريد أن يتكسب رزقه من تعليم القرآن الكريم للصبيان وأن سوف يقصد مصر ليمتهن ذلك العمل.

لذا استطاع أبو عبد الله بمكر ودهاء وذكاء أن يصحب ركب الحاج الكتامي دون أن يعرفوا مقصده الحقيقي وراء رحلته من الأراضي المقدسة إلى مصر وفي أثناء سيره معهم ظل يحدثهم فى الدين حتى عرضوا عليه أن يواصل رحلته معهم إلى بلادهم ليعلم صبيانهم بعد أن قام بحيلة عند وصولهالفسطاط وادعى أنه لا يجد عملاً في المسجدوقد عرف أبو عبد الله الشيعي أثناء تلك الرحلة الكثير عنهم وعدم رضاهم عن حكام القيروان الأغالبة .

ومكث أبو عبد الله الشيعي في القيروان مدة بسيطة تاركا هذا الركب ليعرف مجريات الأمور في عاصمة الأغالبة – ولاة العباسيين الشرعين في بلاد المغرب – ولكنه لحق بأهل كتامة في عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣م.

ونزل أبو عبد الله بمنازل كتامة الممتدة من حدود جبال الأوراس جنوبا حتى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً كما تمتد شرقا حتى القيروان وغربا حتى المسيلة . واتخذ أبو عبد الله مجلسه في مسجد إحدى القرى – إيكجان – يلقنهم تعاليمه حتى كشف عن حقيقته في أنه ليس بمعلم الصبيان ولكن داعي لآل البيت وقد نجحت دعوة أبي عبد الله الشيعي فقد أخذ تابعيه يقبلون على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي فأقبلوا عليه من كل جهة وقد سمى أبو عبد الله الشيعي (أو الداعي) أتباعه بالإخوان

وبعد ذلك بدأت مرحلة تنظيم الدعوة فقسم أبو عبد الله أتباعه إلى عسكر كما وزع الدعاة على مختلف الأقاليم فجعل لكل مكان داعيا كما استطاع أن يكون جيشا نظاميا ويفضل ذلك استطاع أبو عبد الله أن يخضع كل قبائل كتامة – خاصة الرافضة لمذهبه – في فترة استغرقت عامين – حتى عام ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م.

واستطاع أبو عبد الله في الفترة التالية أن يتصدى لدولة الأغالبة ويستولى على مدنها الواحدة تلو الأخرى .

ففي عام ٢٩٥هـ / ٩٠٨م خرج أبو عبد الله الشيعي من إيكجان في جيش نظامى كبير واتجه إلى باغاية ثم إلى رقادة في عام ٢٩٦هـ وخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به وأعلنوا طاعتهم له وسألوه الأمان فأمنهم وذلك بعد خرج الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث من رقادة هاربا إلى مصر.

وفي رقادة نزل أبو عبد الله في أحد قصورها المعروف بقصر البحر وفرق دور المدينة على زعماء كتامة وأنزل حشود عساكره حولها . وبذلك قامت دولة الشيعة الفاطميين بعد حوالي خمسة عشر عاما من ذلك اللقاء الذي تم بمكة وبدأ أبو عبد الله يقر الأمور في إفريقية ويثبت دعائم الدولة الفاطمية استعدادا لإحضار الإمام الذي يدعو له وهو عبيد الله المهدي الذي كان موجودا وقتها في مدينة سجلماسة .

وانتظارا لقدوم المهدى قام أبو عبد الله الشيعي ببعض الإصلاحات الإدارية والدينية وفيما يخص الأخيرة أمر أبو عبد الله بأن يزاد في الآذان بعد «حى على الصلاة» «حى على خير العمل، وأسقط من أذان الفجر «الصلاة خير من النوم» وإلى جانب ذلك أمر بالصلاة على علي بن أبي طالب بإثر الصلاة على النبي وكذلك على فاطمة والحسن والحسين وأسقط صلاة التراويح في رمضان.

- الإمام عبيد الله المهدي خرج في النصف الثاني من سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م من بلاد الشام وتحديدا من مدينة سلمية وصولاً إلى مصر ثم برقة ثم طرابلس حتى استقر في مدينة سجلماسة مرتديا زي تجار ولكن أمير بنى مدرار وقتها تشكك فيه وقبض عليه وحبسه في السجن .

وعندما تأكدت السلطة لأبي عبد الله الشيعي في أفريقية حيث وزع العمال والولاة والقضاة على مختلف المدن أخذ يعد العدة لغزو سجلماسة واستنقاذ الإمام وفي منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م أي بعد شهرين ونصف شهر من دخوله القيروان ورقادة سار على رأس قوة كبيرة من قبائل كتامة بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية .

وفي أثناء طريقه من إفريقية في المغرب الأقصى – حيث يسجن الإمام – استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقضى على دولة تاهرت الرستمية (١٦١ – ٢٩٦ هـ) التي أقامت دولة خارجية على مذهب الإباضية بالمغرب الأوسط وقبض الشيعي على أمرائها وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى القيروان حيث طيف بها في شوارعها ونصبت على أبواب مدينة رقادة.

وواصل أبو عبد الله مسيرته نحو الغرب دون أن يلقى أي مقاومة حتى وصل سجلماسة في ٦ ذي الحجة ٢٩٦ هـ ولم يستطع أميرها إليسع بن مدرار التصدي للقوة الشيعية حيث هرب بعد مقاومة ضعيفة مع بعض أهل بيته وبذلك دخل أبو عبد الله الشيعي مدينة سجلماسة وأخرج عبيد الله المهدي من السجن وانتقم من أهل سجلماسة فنهب دورهم وأحرقها وفرض عليهم مغارم كبيرة كما أمر بإجلاء الكثير منهم عنها(١) . وظل أبو عبيد الله مع المهدي في سجلماسة لمدة أربعين يوما ثم قرر الفاطميون العودة إلى رقادة فخرج الموكب في صفر ٢٩٧ هـ من سجلماسة وكان وصولهم إلى إفريقية بعد شهرين وتحديدا في يوم ٢٠ ربيع الآخر ٢٩٧هـ / ٧ يناير ٩١٠م . وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالإمام يحيط به أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة.

وفي اليوم التالي (الجمعة) أمر عبيد الله بذكر اسمه في الخطبة في كل من رقادة والقيروان وأن يكون لقبه فيها «خليفة» الله و المهدي بالله أمير المؤمنين.

(١) عبيد الله المهدي(٢٩٧ – ٣٢٢ هـ / ٩١٠ – ٩٣٤ م)

عبيد الله المهدى أول خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب كريما جوادا حازما محبا للعدل رابط الجأش،وقد اعتمد المهدي على سياسة الحزم وقد بدأت دولته بالاستفادة من رجال الدولة الأغلبية المنهارة الذين دخلوا في طاعته من قواد وكتاب وحجاب ورئاسة دواوين الخراج والبريد والسكة وبين المال.

ولكن عبيد الله المهدي تخلص من داعيه أبو عبد الله الشيعي مثلما تخلصت الخلافة العباسية في بداية نشأتها من أبي مسلم الخراساني فاتهم أبو عبد الله في ولائه للخلافة الفاطمية واستدعى المهدي داعيه وتم قتله هو وأخوه أبا العباس خلف القصر البحرى برقادة .

وقد ساعدت الظروف في أن يفكر الفاطميون في فتح مصر حيث قامت ثورة في برقة ٣٠١ هـ ففي هذا العام سير الفاطميون جيشنا بقيادة حماسة بن يوسف نحو برقة التي كانت ضمن حدود مصر الإدارية أي تابعة للخلافة العباسية وبمجرد اقتراب الجيش الفاطمي من مدينة سرت فرت الحامية المصرية نحو الشرق وقد حاول الجيش المصرى (العباسي) استرجاع برقة ولكنه فشل لذا رأى عبيد الله المهدي أن يستغل النجاح الذي حققته جيوشه سرقة ليقوم بفتح مصر

وكانت الحملة الثانية على مصر في عام ٣٠٦ هـ / ٩١٩ م حيث قام الفاطميون بالخروج من مدينة رقادة حيث وصلت الاسكندرية فتمكنت من الإستيلاء عليها والانتقال منها إلى الجيزة والأشمونيين وقسما كبيرا من الصعيد ومن هناك كتب القائد الفاطمي أبي القاسم إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول إلى طاعته فلم يقبلوا منه ، عند ذلك أرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠هـ) قائده مؤنس الخادم إلى مصر لقتاله فكانت بينهما عدة معارك انتهت بمعركة نهرية عند رشيد بانتصار العباسيين وعاد من سلم من المعارك البرية والبحرية مع أبي القاسم إلى المهدية في نفس العام .

وقد فكر الفاطميون في بناء عاصمة جديدة لدولتهم فكانت مدينة المهدية ، ففي خلال الفترة ما بين سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٠٨ هـ حيث كانت القوات الفاطمية تسعى إلى تأكيد سلطان الدولة في أطرافها الشرقية من طرابلس حتى برقة ومصر وفي الأطراف الغربية من تاهرت إلى سجلماسة كان عبيد الله المهدي مشغولاً بإقامة عاصمة جديدة تستقر فيها الخلافة

الفاطمية ويكون اسمها المهدية نسبة إلى عبيد الله المهدي كما تعرف بالبيضاء بمعنى الزهراء .

وقد رأى المهدي أن يكون موقع المدينة الجديدة بحريا بعيدا عن الداخل فبدأ منذ عام ٣٠٠ هـ يقوم بجولات إستطلاعية في مناطق الساحل الشرقية ما بين شواطيء القيروان حيث سوسة جنوبا وشواطئ تونس وقرطاجنة شمالاً وأخيرا وقع الاختيار على موضع شبه جزيرة يعرف بـ «جمة» ما بين سوسة وصفاقس .

وعلى ذلك اختار عبيد الله المهدي العاصمة أن تكون على الساحل حتى تتوثق العلاقات الاقتصادية وخاصة التجارية منها مع القوى الخارجية وحتى تتبوأ دولته مكانة قوية في ميدان الجهاد .

وتوصف الجمة بأنها شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات شمالاً وجنوبا وشرقا وتتصل بالبر من جهة الغرب حيث يكون الدخول إليها ، وبذلك كانت الأسوار الرئيسية والأبواب الكبرى من جهة الغرب في حين كان تحصين الجهات الأخرى في مستوى أقل.

وبذلك كانت المهدية توجه أنظارها نحو أعداءالداخل في البر أكثر من التوجه إلى إعداءالخارج في البحر واشتملت المدينة على قصر الخليفة وقصر ولي أبي القاسم وكذلك المسجد الجامع حيث اقيمت الاسواق التي نظمت في شكل مجموعات من الحوانيت في مهنة أوتجارة معينة

ولقد زودت المدينة بمخازن القمح في سراديب الأرض كما حفرت خزانات المياة (مواجل)ولم يسكن هذه المدينة إلا أرباب الدولة من كبار الموظفين ورجال الحاشية وقواد العسكر أما أهل الأسواق فلم يكن يسمح لهم بالمبيت داخل المدينة فلا يتواجدون بها الا نهارا

وقد بنيت ضاحية الى جانب المهدية عرفت باسم زويلة نسبة الى بربر زويلة سكانها الأوائل وخصصت لسكني العامة.وهكذا انتقل مركز الحكم رقادة والقيروان المهدية وزويلة.

(٢) القائم بأمر الله (٣٢٢ – ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ – ٩٤٥ م)

أعلنت خلافة أبي القاسم محمد بن عبيد الله بالبيعة له في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه المهدي في ١٥ ربيع الأول ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٦٣٤م . ولقب بالقائم بأمر الله . وعندما تولى القائم الخلافة كانت النزاعات البربرية في كل مكان من بلاد المغرب من برقة شرقا إلى سبتة وطنجة وبلاد برغواطة علاوة على السياسة المالية المتعسفة التي اتبعها الفاطميون والحياة الدينية الصعبة ، مما أدى إلى ظهور ثورات كان أهمها على الإطلاق ثورة أبي يزيد والملقب بصاحب الحمار

ثورة أبي يزيد بن كيداد الزناتى :

أبو يزيد «صاحب الحمار» هو مخلد بن كيداد الزناتي وأصله من قسطيلية من بلاد الجريد ، نشأ في مدينة توزر وتعلم القرآن واتبع مذهب الخوارج الإباضية ، وكان أبو زيد يتصف بالعرج والقصر وقبح المنظر وقد اشتغل أبو يزيد بتعليم الصبيان القرآن الكريم وذلك بد أن توفي أبوه وهو صغير وقد نادي أبو يزيد الخارجي بمناهضة الحكم الفاطمي الشيعي ولقيت دعوته نجاحاً كبيرا حتى اشتهر أمره واستطاع أن يجمع حوله عددا من الأنصار وذلك اعتبارا من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م زمن خلافة المهدى .مال ونشر أبو يزيد دعوته في المغرب الأوسط في جبال الأوراس واجتمع إليه مختلف الخوارج وبايعوه في عام ٣٣١ هـ وكانت أهدافهم :

هدم النظام الشيعي الفاطمي وإقامة دولة المساواة الخارجية القائمة على الشورى والمساواة وقد أباحوا استخدام العنف والإرهاب من استباحة الغنائم والسبي في سبيل تحقيق ذلك

وهكذا بدأت في السنة التالية ٣٣٢ هـ / ٩٤٤م ثورة أبي يزيد الخارجي ضد الفاطميين واستمرت أربعة سنوات ساد فيها القتل والخراب وقد مرت هذه الثورة بعدة مراحل أولها : استطاع أبو يزيد أن يستولى فيها على بلاد الزاب والأقاليم الساحلية الشمالية في باجة وتونس والمرحلة الثانية استولى فيها على القيروان والمحلة الثالثة حاصر فيها أبو يزيد المهدية – عاصمة الفاطميين

وعليه اجتاح أبو يزيد بلاد والزاب في أوائل ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م وقام الخليفة الفاطمي بإرسال جيشين للتصدي لهؤلاء الثوار الجيش الأول بقيادة ميسور الفتى وسار نحو القيروان والآخر بقيادة بشرى الفتى وسار نحو باجة واستطاع أبو يزيد أن ينتصر على جيش بشرى ويقوم بأعمال النهب والسلب والحرق في معسكره وخيامه وكان نتيجة هذه المعركة أن إزداد أنصار أبي يزيد من القبائل البربرية ، وتصدى أبو يزيد لجيش الفاطميين بقيادة بشرى فاستطاع الوصول إلى القيروان ورقادة في ٣٣٣ هـ .

وتأكيدا لانتصارات أبي يزيد المتلاحقة فقد أرسل إلى عبد الرحمن الناصر (١) بقرطبة وقام أبو يزيد بحصار المهدية لمدة عام (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ) .ولم تنحصر ثورته إلا في عهد الخليفة الفاطمي المنصور ، فلقد جمع المنصور كل قواه البرية والبحرية لمطاردة أبي يزيد الذي انهزم من أمام سوسة إلى القيروان ورحل عن افريقية إلى بلاد الزاب وتبعه المنصور منذ ٣٣٥ هـ ولحق به قرب باغاية ، ففر أمامه نحو طبنة – عاصم إقليم الزاب – واعتصم أبو يزيد بجبل الأوراس ولكنه لم يتمكن من الثبات أمام القوات الفاطمية واضطر إلى سلك طريق القفار.

ونظرا لمرض الخليفة المنصور انتهز أبو يزيد الفرصة وعاد إلى الزاب مرة أخرى ولكن أعوانه تركوه ودخلوا في طاعة المنصور فنشب القتال بين الطرفين من ١٠ شعبان الى اول رمضان وسقط ابو يزيد في منطقة وعرة،وحمل إلى المنصور وهو مصاب حتى مات في أواخر المحرم ٣٣٦ هـ / ٩٤٧م .

(١) الناصر : هو عبد الرحمن بن محمد، الذي قتله أخوه مطرف، ابن الأمير عبد الله؛ كنيته؛ أبو المطرف؛ لقبه: الناصر لدين الله؛ أمه : أم ولد تسمى مزنة، ولي في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبويع له فيه، فى مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وهو أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م)؛ فكانت خلافته (٥٠ سنة) وستة أشهر وثلاثة أيام؛ وكان عمره (٧٣ سنة) وسبعة أشهر . ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٧٦؛ ابن الأبار: الحُلَّة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥،ج١، ص ١٩٧؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج١، ص ١٨١؛ ابن عذارى : البيان المغرب ،ج٢، ص ١٥٦؛ النويرى : نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٣٢؛ الذهبى : العبر، ج١، ص ٤٣٨.

وعندما رأى المنصور أبا يزيد سجد لله شكرا وأمر بمعالجته في محاولة منه لمعرفة أسباب الثورة منه ، فلما مات أمر بسلخه وحشو جلده بالتبن وإدخاله في قفص أعده من الخشب محمول على بكرتين لوضع أبي يزيد فيه مع قردين وسيره معه إلى المهدية وأمر بإرسال الكتب إلى سائر البلدان تبشر الناس بإنتهاء الثورة وفي رحلة عودته إلى المهدية قام المنصور بإخضاع الأقاليم الخارجة ، في المسيلة وفي تاهرت ثم عاد إلى القيروان في موكب ضخم من رجال الجيش حيث قوبل بالتهليل والتكبير في عام ٣٣٦هـ وطيف بالقفص الذي به ما بقي من جسد أبي يزيد الخارجي

في شوارع المدينة وأسواقها لمدة ثلاثة أيام وعليه فقد استغرقت هذه الثورة عصر القائم والمنصور الفاطميين حتى تم القضاء عليها .

(٣) المنصور الفاطمي (٣٣٤ – ٣٤١ هـ / ٩٤٥ – ٩٥٢ م)

هو أبو الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم محمد ، ولد في سنة ٣٠٢ هـ وتوفي في عام ٣٤١هـ / ٩٥٢م وعمره تسع وثلاثون عاما بعد حكم دام سبع سنوات وكان المنصور يتسم بالفصاحة والبيان والبراعة في الخطابة ، علاوة على تقشفه وبساطته ، كما كان عالما بالنجوم ومحبا للعلم وفي نفس اليوم الذي تم فيه الانتصار على أبي يزيد الخارجى ٢٩ محرم ٣٣٦ هـ أصدر المنصور أوامره بمخاطبته بأمير المؤمنين والدعاء له على المنابر ونقش اسمه على النقود

وكانت أول أعماله بعد قضائه على ثورات الزناتية ، بناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم المنصورية وتقع على بعد نصف ميل من القيروان وأمر بإحكام سورها وكانت المنصورية تأخذ الشكل المربع ولها أربع أبواب وفي داخلها المسجد الجامع والقصر وتحيط به الأسواق التجارية التي نقلت بأمر المنصور من القيروان إلى مدينته الجديدة ، وقد انتقل إليها في ٣٣٧ هـ ، وزادت مساحتها ومبانيها بعد انتقال المنصور إليها.

بقية والمغرب – إلى أن البربر أنهم استعانوا بحسان بن النعمان ، فيروى استغاثوا به وعليه كانت الفرصة سانحة لحسان بأن يتوجه على أموالهم وممتلكاتهم ثم يتوجه إلى قفصة.

(٤) المعز لدين الله (٣٤١ – ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ – ٩٧٥ م)

قام بعده الخليفة الفاطمي أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي بإخضاع المغرب الأقصى ، فأرسل قائده ومولاه جوهر الصقلى إلى هناك على رأس حملة قوية في عام ٣٤٧ هـ فاخضع القبائل في جبال أطلس حتى المحيط الأطلسي – وقد حاول الفاطميون غزو الأندلس ولكنهم فشلوا في ذلك ، كما شعروا بأن بقاهم بالمغرب من الخطورة لكثرة ثورات البربر ضدهم دائما فكان انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر تاركين على بلاد المغرب أقربائهم من الصناهجة وهم بنوزيرى ليحكموا بلاد المغرب باسم الفاطميين.

الخلافة الفاطمية وعلاقتها ببنى أمية فى الأندلس

كان قيام الدولة الفاطمية فى المغرب نذيراً بقيام صراع (مذهبى سياسى) عنيف بين الطرفين، فالفاطميون كانوا ينظرون إلى الحكم الأموى فى الأندلس على إنه امتداد لخلافة دمشق بذكرياتها البغيضة والمأساوية لهم، ولم يشعر الأمويون بالراحة والاستقرار منذ قيام دولتهم فى المغرب، ومع ذلك فالأمويون وقفوا أثناء حدوث ذلك موقف المراقب المتوجس منهم، فهم لا يستطيعون التدخل وأقسام كبيرة من بلادهم متمردة عليهم لاسيما الأقسام الجنوبية المواجهة للفاطميين التى كان يسيطر عليها عمر بن حفصون الذى وجد فى الفاطميين خير عضيد له فكان يستمدهم فى أوقات الأزمات فيمدونه بالأموال والمساعدات[١] .

لذا كان على عبد الرحمن الناصر أن يقضى على أعدائه فى الداخل كابن حفصون فبعث سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) حملة إلى الجزيرة الخضراء فضبط البحر وأحرق سفن بن حفصون ومنعه من البحر"[٢] ووزع الخليفة عبد الرحمن الناصر أساطيله على السواحل الجنوبية والجنوبية

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٥؛ أحمد بدر : تاريخ الأندلس، ص٨٦ .
(٢) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٨٧ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٥. السامرائى وآخرون : تاريخ العرب، ص ١٧٢ .

الشرقية من الأندلس حتى يمنع وصول الإمدادات من القيروان إليه، وأحبط الأسطول الأندلسي محاولات الفاطميين دعم حركة عمر بن حفصون[١] ،ولمواجهة الخطر الفاطمى أيضا أقدم عبد الرحمن الناصر على إعلان الخلافة فى الأندلس لتكون أسلحة الطرفين متكافئة وذلك سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)[٢]، فدعم بهذا مركزه داخل الأندلس وخارجها وفرض هيبته فى نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية، ثم حاول الناصر نقل معركته مع الفاطميين إلى عمق أراضيهم ليحتفظ ببلاده بعيدا عن التطاحن الحربى فعمد إلى اجتذاب بعض قبائل المغرب إلى جانبه من خلال الترحيب بالأمراء الذين أطاح بهم الفاطميون، وفى ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر (وتخطاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم ممدا لمن عجز برجاله مقويا لمن ضعف بماله ومتعهدا بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادى زناتة فى حزبه وارتسموا بطاعته)[٣] .

كان من بين أولئك أبناء سعيد بن صالح[٤] أمراء نكور[٥] الذين تغلب عليهم الفاطميون ودخلوا عاصمتهم سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) وقتلوا أميرهم سعيد بن صالح فلجأ أولاده الثلاثة (صالح والمعتصم وإدريس) إلى الأندلس ونزلوا بجزيرة مالقة وقد رحب عبد الرحمن الناصر بهم وأمر بإكرامهم وأغدق عليهم العطايا وخيرهم بين البقاء فى مالقة أو المقام فى العاصمة قرطبة ففضلوا البقاء فى مالقة لقربها من ممتلكاتهم وليتثنى لهم مراقبة تطورات الأحداث واغتنام الفرصة لإعادة ملكهم، وانتزاعه من أيدى الفاطميين وقد حصل لهم ذلك ونجحوا فى استعادة ملكهم ،فكتب صالح إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بما تم له من نصر على أعدائه فأمر الناصر

(١) ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص١٧٣؛ السامرائى وآخرون : تاريخ العرب، ص ٤٢٢ .
(٢) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص٢٤١، ٢٤٢ ؛ ابن عذارى : البيان ج٢،ص١٩٨.
(٣) مؤلف مجهول : مفاخر البربر، ص ٩٤ .
(٤) سعيد بن صالح : هو سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس صاحب مدينة (نكور) تولى الامارة بعد وفاة أبيه سنة (٢٥٠-٣٠٥هـ / ٨٦٤- ٩١٧) وأراد العبيديون إدخاله في شيعتهم فأبى، وكتب عبيدالله المهدي إلى (مصالة بن حبوس) عاملة بتاهرت يأمره بمحاربة سعيد فنازل مصالة مدينة نكور ودخلها (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) واستباح عسكر سعيد وقتله . ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص١٧٨، ١٧٩؛ الزركلى : الأعلام، ج٣، ص ٩٦ .
(٥) إمارة نكور : قام بتأسيسها قائد يمنى يعرف بصالح بن منصور الحميرى (العبد الصالح) دخل المغرب مع جيوش الفتح العربية وأفتتح منطقة (نكور) الواقعة فى الريف المغربى وهى بينها وبين البحر نحو عشرة أميال، ثم استقر بها بعد أن أقطعه إياها الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد أسلم على يديه العديد من البربر ونصبوه حاكماً عليهاثم خلفه ابناؤه من بعده على حكمها مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة . ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ١٧٦؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص ٢٨٣؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٧٦ .

بقراءة الخبر على منبر قرطبة، وأرسلت نسخ منه على كافة أقاليم الأندلس وأمر بإرسال الهدايا والتحف والألبسة[١] .

وقد وجد الناصر ضالته فى قبيلة زناته التى حملت لواء مقاومة النفوذ الفاطمى، ومنذ البدء كان دافعها إلى ذلك العصبية القبلية فهم على عداوة لقبائل البرانس الموالية للفاطميين، والذى زاد من عداوة قبيلة زناته للفاطميين بعد استيلاء أبى عبد الله الداعى على مدينة تاهرت عاصمة الرستميين سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) وشعروا بوطأة السلطان الفاطمى عليهم، لذا وجد الخليفة الناصر فى هذه القبيلة السلاح الذى يستخدمه ضد الفاطميين، كما أن الزناتتين وجدوا فى الناصر الحليف القوى الذى يعتمدون عليه أثناء مواجهتهم للفاطميين[٢]، فأعلن زعيمهم محمد بن خزر الدعوة للأمويين فى كل مراكز المغرب الأوسط ماعدا تاهرت[٣] التى بقيت فاطمية[٤] .

أدرك الخليفة الفاطمى المهدى[٥] خطورة هذا التحالف بين الأمويين والزناتيين فأمر قائده مصالة بن حبوس المكانسى[٦] صاحب تاهرت بالخروج بقواته إلى قبائل زناته سنة

(١) البكرى : المغرب، ص ٩٦، ٩٧؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) كان لبنى خزر مكانة خاصة لدى أمراء بنى أمية إذ أن جد محمد بن خزر بن صولات بن وزمار كبير مغراوة قد أسر أثناء الفتح فبعث إلى الخليفة عثمان بن عفان فأسلم على يديه وولاه على قومه ، وقيل أن صولات هاجر من تلقاء نفسه إلى الخليفة عثمان فأكرمه وولاه على قومه فأختص صولات وسائر مغراوة بولاء الخليفة عثمان ، وأهل بيته من بنى أمية . ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٢٥٧؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص ١٧٨؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص ٨٧ .

(٣) تاهَرْت : بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، وهى مدينة من مدن المغرب الأوسط قريبة من تلمسان كانت عاصمة لبني رستم الخوارج الأباضية . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص ٧ ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص١٢٦.

(٤) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٢٦٠ ؛ السامرائى وآخرون، تاريخ العرب، ص١٧١ .

(٥) الخليفة عبيد الله المهدى : هو عبيد الله أبو محمد الخليفة الشيعي مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها وهو عراقي الأصل، ولد في الكوفة سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) واختبأ في بلدة سلمَّية بؤرة الإسماعيلية الباطنية في شمال الشام، ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سلميَّة كان يعرف باسم سعيد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح، وفي منطقة سَلَمَّية مقر الإسماعيلية مات علي بن حسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقرر الإسماعيلية نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إليه . السيوطى : العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق موسى إسماعيل البسيط، حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف : عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعلية، توفى سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٤٧، ص٧٧ -٧٩ .

(٦) مصالة بن حبوس المكانسى : كانت له رياسة قبيلة مكناسة، وعظم أمرها في أيامه فتغلبت على قبائل البربر ولما استولى (عبيد الله المهدى) على المغرب، كان مصالة من أكبر قواده، وولاه المهدى على مدينة تاهرت والمغرب الاوسط، وزحف مصالة إلى المغرب الاقصى سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) واستولى على فاس وعلى سجلماسة قتله محمد بن خزر الزناتي سنة (٣١٢هـ/ ٩٢٤م) . ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ١٨٩؛ ابن خلدون : تاريخه، ج ٦، ص ١٧٦؛ الزركلى : الأعلام، ج٧، ص ٢٢٧ .

(٣١٢هـ/٩٢٤م) للقضاء على تحركات هذه القبيلة التى ما انفكت تحارب النفوذ الفاطمى، فأصطدم مصالة بقوات بن خزر الزناتى فى معركة كانت نتيجتها وبالا على الفاطميين فقد هزمت قواتهم وقتل قائدهم مصالة وذلك فى شعبان فى سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)[١]، فاستثمر بن خزر هذا النصر ليوسع نفوذه نحو مناطق عديدة فى تاهرت[٢] .

شجعت هذه الانتصارات الخليفة الناصر على الاستيلاء على مدينة مليلة[٣] سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) وحصن أسوارها[٤] ،وقام محمد بن خزر بفتح مدينتى شلف وتنس[٥] سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وأقام فيهما الدعوة للخليفة عبد الرحمن الناصر وكان العامل بمدينة شلف لما أحس بدنو الخير بن محمد منه هرب فى الليل إلى مدينة تاهرت، فصالحه أهل البلد على أنفسهم واتقوه بالطاعة فتقبل منهم [٦] .

واستولى الخليفة عبد الرحمن الناصر على مدينة سبتة سلماً سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[٧] واستعمل عليها قائده فرج بن غفير[٨]، كان الناصر حريصاً على تحصين مدينة سبته التى يقول عنها المقرى : " وكانت سبتة مطمح همم ملوك العدوتين وقد كان للناصر المروانى صاحب الأندلس عناية واهتم بدخولها في إيالته حتى حصل له ذلك ومنها ملك المغرب "[٩] .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ١٨٩؛ محمد بن علي بن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، تحقيق التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ١٤٠١، ص ٤٥.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب،ج١، ص٢٦٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٦م، ج٢، ص٦١٢ .

(٣) مليلة : تقع شرقي مدينة طنجة، وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب، وهي مسورة بسور حجارة، وداخلها قصبة مانعة وهي مدينة قديمة، و أن عبد الرحمن الناصر لدين الله افتتحها(٣١٤هـ/٩٢٦م) ، وبنى سورها معقلاً لموسى بن أبي العافية . البكرى : المغرب، ص ٨٩ ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٥٤٥.

(٤) البكرى : المغرب، ص ٨٩، ٩٠ ؛ السامرائى وآخرون، تاريخ العرب، ص٤١٢ .

(٥) مدينة تنس : بفتحتين والتخفيف والسين مهملة، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب بينها وبين وهران ثماني مراحل، وتقع بالقرب من مليانة و بينها وبين البحر ميلان، وتسمى تنس الحديثة، يذكرها بن حيان فى المقتبس بإسم " تيس" والأصح أنها مدينة تنس وذلك لأن مدينة شلف تقع بالقرب من مدينة مليانة وكذلك مدينة تنس . ابن حيان : المقتبس، ص ٢٦٠؛ البكرى : المغرب، ص ٦١ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص٤٨.

(٦) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٧) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٢٨٨، ٢٨٩.

(٨) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٢٩٩.

(٩) المقرى : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة١٩٣٩، ج٢، ص ٢٥٧ .

وذلك فى الوقت الذى كان فيه محمد بن خزر أمير زناتة يفتح المدن باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، حيث يذكر ابن حيان على لسان محمد بن خزر : " فحشدنا جميع القبائل التى بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا وتمسك بأسبابنا، فأخذنا رهائنهم بالمبايعة لك والافتتاح باسمك و الخطبة فى جميع أهل الساحل إليك، وأقبل الناس إلينا من كل جهة فزعين مرعوبين خائفين على أنفسهم طالبين تسكين دهمائهم وحقن دمائهم "[١] .

و استطاع الناصر كسب زعيم قبلى آخر وهو موسى بن أبى العافية[٢] زعيم قبيلة مكناسة الذى كان من أكبر قادة الفاطميين فى المغرب الأقصى، خاطبه الناصر للقيام بدعوته وبذل له الأموال الكثيرة فأجابه لذلك فنقض طاعة الفاطميين وخطب للناصر على منابر عمله سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) [٣] .

كان ذلك حافزا لعبيد الله المهدى ليبعث بقائده حميد بن يصل المكناسى[٤] صاحب تاهرت فى عشرة ألاف مقاتل إلى موسى بن أبى العافية فالتقى الطرفان فكانت بينهم حرب ضروس انجلت عن هزيمة بن أبى العافية وفراره إلى قاعدته فى تسول[٥]، فتقدم حميد إلى فاس فلما أتصل الخبر بمدين بن موسى واليها هرب عنها لأحقا بأبيه فى تسول فدخلها حميد بن يصل واستعمل عليها أحد رجاله ويدعى حامد بن حمدان الهمذانى، ثم قفل راجعا إلى إفريقية سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، لكن حكم الهمذانى لفاس لم يدم فقد ثار عليه أحد أتباع بن أبى العافية المسمى أحمد بن بكر بن عبد الرحمن الجذامى وقتل الهمذانى وبعث برأسه إلى موسى الذى

---

(١) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٣٠٢ .

(٢) موسى بن أبى العافية : هو موسى بن أبى العافية بن أبى بسال ابن أبى الضحاك المكناسى أمير مكناسة، عقد له ابن عمه مصالة بن حبوس على سائر ضواحي المغرب وأمصاره (سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، وأقره الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى الفاطمي عليه ثم ضم إليه مدينة فاس سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٥م) وصار في ملكه (سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) من أحواز تيهرت إلى السوس الاقصى، وملك تلمسان سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م) وانتظم في ملكه المغرب الاقصى والاوسط وأقام في العدوة الغربية، ونقض دعوة المهدى الفاطمى (في هذه السنة) وخطب للخليفة عبد الرحمن الناصر، فسير إليه المهدى من يقاتله، فظلت الحرب سجالا إلى أن قتل سنة (٣٤١هـ/ ٩٥٢م) . ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص ١٧٦-١٧٩؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص ٢٤٦ ؛ الزركلى : الأعلام، ج٧، ص٣٢٣، ٣٢٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٢٠١ ؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص ٢٤٤ .

(٤) هو ابن أخ القائد مصالة مصالة بن حبوس الذى تولى حكم تاهرت بعد وفاة أبيه، يصل بن حبوس سنة (٣١٩ هـ/٩٣١م) بعهد من عبيد الله المهدى . ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٢٨٩ .

(٥) تسول : مدينة بالمغرب الأقصى وتسمى بعين إسحاق، تحتوى على جامع وأسواق وعين عذبة، بينها وبين مدينة وفاس أربع مراحل . البكرى : المغرب، ص ١٤٢ .

بعثه بدوره إلى عبد الرحمن الناصر بقرطبة، وتقدم موسى إلى فاس وأعاد الدعوة فيها للمروانيين [١] .

وانشغل الفاطميون فيه بوفاة عبيد الله المهدى وتنصيب ابنه أبى القاسم محمد القائم بأمر الله[٢] خليفة جديدا سنة(٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٣- ٩٤٥م)[٣]، فرأى الخليفة الجديد أن نفوذ الفاطميين فى المغرب لاسيما الأقصى قد تزعزع كثيرا لذلك أوعز إلى قائده ومملوكه ميسور الفتى بالتجهز بالعدة والتوجه لمحاربة أشياع الأمويين فيه سار ميسور من إفريقية سنة(٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)، فانتهى إلى فاس التى اضطربت أحوالها كثيرا بعد سيطرة ابن أبى العافية عليها فاستطاع ميسور بالتعاون مع بقايا الأدارسة أن يهزم بن أبى العافية ويأسر ابنه البورى ويرسله إلى المهدية ثم لم يلبث أن عاد هو أيضاً من غزوته مظفرا[٤] .

لقد أتاحت الظروف السياسية المضطربة التى مرت بها الدولة الفاطمية أواخر عهد الخليفة القائم للأمويين استعادة نفوذهم الذى فقدوه بعد حملة ميسور فقد حدث أن انتشرت ثورة الأباضية النكارية[٥] فى العديد من مدن المغرب، هذه الثورة التى كانت بقيادة الزعيم أبى يزيد الخارجى[٦] واستطاع السيطرة على معظم مدن المغرب التابعة للفاطميين، ووصل خطره حدا بحيث حاصر الخليفة القائم فى المهدية حتى توفى فى رمضان سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)[٧] وإزاء ذلك لم يتردد الخليفة الناصر عن تأييد هذه الثورة وإمدادها بالمساعدات التى كان يطلبها أبو يزيد

(١) السلاوى : الإستقصا، ج١، ص٢٤٤ - ٢٤٦.

(٢) القائم بأمر الله : هو القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد أبو القاسم نزارا، ولد في بلدة سلمية سنة (٢٧٨هـ/ ، بويع له بخلافة (٣٢٢هـ / ٩٣٤م) وكان مهيبًا شجاعًا قليل الخير، وتوفى سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص٢١٠ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٤، ص ٦ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة١٩٥٢، ص ٤٥٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٢٠٨؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص٩٩ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥١ ، ٥٢.

(٥) النكارية : فرقة من الأباضية الخوارج سموا نكارا لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثانى أئمة الدولة الرستمية ، الذى تولى الحكم سنة (١٧١هـ/ ٧٨٧م) وكان يتزعم هذه الفرقة يزيد بن فندين . ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥٢ .

(٦) أبو يزيد الخارجى : هو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتى ثائر من زعماء الأباضية فى المغرب كان يغلب عليه الزهد والتقشف، ولد ونشأ فى قسطيلة، وسافر إلى تاصرت فكان معلماً للصبيان فيهاوأنتقل إلى تقيوس ولما مات عبيد الله المهدى خرج أتباعه سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) بناحية جبل أوراس وعظم أمره وأمتلك رقادة والقيروان وسوسه ثم هزمه المنصور فمات متأثراً بجراحه . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٧، ص١٨٨، ١٨٩؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ج١، ص ٧٧ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥٢- ٥٤ .

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص ١٨٩؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥٢- ٥٤ .

مقابل اعترافه بالسيادة الأموية على المناطق التى سيطر عليه من خلال السفارات التى بعثها أبو يزيد إلى الناصر[١] . لقد أسهمت هذه الثورة فى أن يستعيد أتباع الناصر فى المغرب نشاطهم فقد تقدم محمد بن خزر الزنانى نحو أراضى جديدة وضمها إلى مناطق نفوذه كما ساعدت هذه الثورة التى كانت سببا فى ضعف الفاطميين على انضمام البربر إلى الأمويين مثل يعلى بن محمد اليفرنى[٢]، ولكن ثورة أبى يزيد تم القضاء عليها من الخليفة المنصور بالله بن القائم سنة (٣٣٤- ٣٤١هـ/٩٤٥- ٩٥٢م) [٣] .

وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة سنة (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) كان النفوذ الأموى ضعيفاً فى المغرب، وذلك بعد حملة جوهر الصقلى على المغرب الأقصى، فاقتصر سلطانهم على قاعدتهم الحصينة سبتة، فأراد الحكم توطيد الحكم الأموى فى المغرب، فأمر سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) بترميم سور سبتة ثم عاد وأمر سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) بإسقاط جميع المغارم والضرائب على أهالى مدينة سبته، وبذلك اكتسب محبتهم[٤] .

لقد حصل الأمويون على فرصة ذهبية لتثبيت نفوذهم فى المغرب بعد نجاح الجيوش الفاطمية فى الإستيلاء على مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م)[٥]، فلم يعد للصراع مع الفاطميين ذلك الطابع العسكرى المهدد لنفوذ الأموى فى المغرب بعد أن أصبح المغرب مجرد ولاية من ولايات الدولة الفاطمية لا قاعدة لها[٦] وأصبح صراعها العقائدى والسياسى مع الدولة العباسية، وخف اهتمام الفاطميين بالمغرب، وأصبح المجال أوسع للأمويين لتوطيد نفوذهم[٧]، واستفاد الأمويون من النزاع الذى حدث بين الزعماء المغاربة الموالين للفاطميين على نيابة الفاطميين فى حكم

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢١٢، ٢١٣.
(٢) يعلى بن محمد اليفرنى : هو يعلى بن محمد بن صالح اليفرني أمير من أشراف البربر من أهل " تاكرونة " كانت له مدينة " آفكان " في إفريقية، ابتدأ بتأسيسها سنة (٣٣٨ هـ/ ٩٤٩م). وفي هذه السنة دخل " وهران " وملكها. واستمر في إمارته إلى أن قتله الصقلى غدرا سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) . ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص٥٩ ؛ السلاوى : الإستقصا، ج١ ص ٢٥٤ ؛ الزركلى : الأعلام، ج٨، ص ٢٤٠.
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢١٥. ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٥٩ .
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٣٢٤.
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص ٣٠٩ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٦١.
(٦) بدر : تاريخ الأندلس، ص ٩٣.
(٧) بيضون : الدولة العربية، ص ٣٢١.

المغرب فقد كان لقيام المعز الفاطمى بتسليم حكم المغرب إلى زيرى بن مناد الصنهاجى[١] أثاراً سيئة فى نفس جعفر بن على الأندلسى[٢] الذى تفانى هو وعائلته فى خدمة الفاطميين فحقد جعفر على الفاطميين والصنهاجيين معا وكان زيرى الصنهاجى يحس بالحقد والضغينة اللتين يكنهما جعفر له فبدأ يستفزه بأعماله العدوانية فكان يعمدن إلى مهاجمة القبائل المغربية التى تسكن بالقرب من المسيلة[٣] الداخلة فى ذمة جعفر بن الأندلسى ووصل حقد زيرى حدا أن اتهم ابن الأندلسى لدى محمد بن الخير بن خزر الزناتى ضد الفاطميين وكان سببا فى قيام المعز الفاطمى باستدعاء ابن الأندلسى إليه[٤] .

أثار إلحاح المعز على بن الأندلسى بالقدوم إليه مخاوف جعفر من الغدر به فتظاهر بالإذعان له، وخرج من المسيلة سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) مع أهله ومواليه ولكنه بدلا من أن يتوجه نحو المعز فى إلى قبائل زناتة خالعا طاعة الفاطميين، ولما بلغ الخبر إلى زيرى الصنهاجى بادر بالخروج مسرعاً لقتاله بقوات قليلة لأن معظم قواته كانت مع ابنه بلكين فى قاصية الغرب، فالتقى بجعفر وجموع الزناتتين سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) لكن جعفر استطاع التغلب على قوات

(١) زيرى بن مناد الصنهاجى : هو زيري بن مناد الصنهاجي الحميري أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الاوسط، وهو الذي بنى مدينة (آشير) وإليه تنسب وحصنها في ايام خروج أبي يزيد مخلد الخارجي لما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل، وأعطاه المنصور إسماعيل (تاهرت) وأعمالها، وكان حسن السيرة شجاعا، وأمر ابنه بلكين ببناء مليانة ومدينة الجزائر والمدية، وكان مواليا لملوك (الفاطميين) عند ظهورهم، وقتل في معركة بينه وبين جعفر ابن علي الاندلسي وذكر أن فرسه كبا به ؛ فسقط إلى الأرض فقتل في شهر رمضان سنة (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) . ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢، ص ٣٤٣؛ الزكلى : الأعلام، ج٣، ص ٦٣.

(٢) جعفر بن على الأندلسى : هو جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسى جدهم الأكبر عبد الحميد وفد إلى الأندلس وسكن البيرة، وأنتقل حمدون إلى بجاية بالمغرب ومال إلى الدعوة الفاطمية فكانت له مكانة رفيعة لدى الفاطميين، توارث هذه المكانة ابنه على الذى أصبح من أكبر قادة الفاطميين فى عهد عبيد الله المهدى وبنى بتكليف منه مدينة المسيلة وتولى أمرها من بعده ابنه جعفر . ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، ص ٣٣؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٦٠؛ ابن الآبار : الحلة السيراء، ج١، ص ٣٠٥-٣٠٨.

(٣) المسيلة : مدينة من بلاد الزاب بالمغرب الأوسط، أسسها على بن حمدون الأندلسى بأمر من أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وهى تقع بالقرب من قلعة بن حماد، وهى مدينة كثيرة الخيرات و تسكنها قبائل كثيرة من البربر كهوراة وبنى برزال . الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٥٨ .

(٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٥ -٣٧ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٥٧ ؛ بدر : تاريخ الأندلس، ص ٩٤.

صنهاجة بعد مقتل زعيمها زيرى الذى كبا به فرسه صريعاً[١] فأحتز جعفر رأسه وبعث به إلى الخليفة الحكم المستنصر مع أخيه يحيى[٢]، ثم لم يلبث أن لحق بأخيه عابرا إلى بر الأندلس وافدا إلى خليفتها المستنصر الذى أستقبله أحسن استقبال وأنزله المكانة الرفيعة[٣] .

كانت هذه الحادثة ضربة قوية لنفوذ الدولة الفاطمية وحليفتها القوية صنهاجة فى حين كانت انتصارا للسياسة الأموية فى المغرب[٤]، وقد رد الفاطميون على ذلك بحملة قوية قادها بلكين بن زيرى[٥] الذى كان يحمل حقدا ورغبة فى الانتقام لمقتل والده فأستعد بنو خزر والزناتيون لمواجهته فوقعت الحرب بينهما لكن الزناتيين خسروها ومزق جيشهم فأقدم زعيمهم محمد بن الخير بن خزر على الانتحار خوفا من سطوة بلكين[٦] فتقدم بلكين نحو تاهرت وبسكرة[٧] وطبنه[٨] والمسيلة حتى يقال إنه (لم يترك عند أحد منهم فرسا ولا جملا)[٩] ، وبعد أن شفى بلقين غلة من الزناتيين عاد قافلا إلى القيروان حيث استقبله المعز خير استقبال وخلع عليه الخلع وولاه حكم المغرب نيابة عنه فيما رحل هو إلى مصر حاضرته الجديدة[١٠] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٧ ؛ ابن أبى دينار : المؤنس، ص ٧٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢، ص ٣٦٠.

(٢) ابن أبى دينار : المؤنس، ص ٧٤؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٩١.

(٣) ابن حيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٤٤ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ٤٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٦٠؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٩١.

(٤) بيضون : الدولة العربية ، ص٣٢٢.

(٥) بلكين بن زيرى : (٣٦١- ٣٧٣هـ/ ٩٧١- ٩٨٣م) بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى (يوسف) يرفع نسبه إلى حمير: مؤسس الامارة الصنهاجية بتونس، كان في بدء أمره من قواد المعز الفاطمي، وأبلى في إخضاع زناتة بالمغرب البلاء الحسن، فلما استولى الفاطميون على مصر وأراد المعز الانتقال من المهدية إلى الديار المصرية سنة (٣٦١ هـ/ ٩٧١م)) ولاه إفريقية، ما عدا صقلية وطرابلس الغرب وسماه يوسف (بدلا من بلكين) وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة، وفي أيامه ثار أهل المغرب الاقصى فخلعوا طاعة الفاطميين وخطبوا للمروانيين (أصحاب الاندلس) فسار إليهم بلكين ودخل مدينة فاس عنوة، واستولى على سجلماسة، وأخرج عمال بني أمية، وأعاد الخطبة للفاطميين. ودان له المغرب كله. وتوفي في موضع بين سجلماسة وتلمسان يقال له (واركنفو) سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص ٣٣٣؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٨٦؛ الصفدى : الوافى بالوفيات، ج١٠، ص ١٨١.

(٦) ابن حيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٨ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٩٤.

(٧) بسكرة : بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بالمغرب الأوسط بينها وبين قلعة بنى حماد مرحلتان. الحموى، معجم البلدان، ج١، ص ٤٢٢، الحميرى : الروض المعطار، ص ١١٣، ١١٤.

(٨) طبنة: من بلاد الزاب بالمغرب بينها وبين المسيلة مرحلتان وهى مدينة كبيرة وعليها سور من حجر متقن البناء . البكرى : المغرب من ذكر إفريقية والمغرب، ص ٥١؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٣٨٧.

(٩) ابن أبى دينار : المؤنس، ص ٧٥.

(١٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٧، ص ٣٣٤؛ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٦٢، ٦٣.

الفصل الرابع

دولة المرابطين في المغرب

-التسمية

-اصل المرابطين

-أمراء المرابطين

-ظهور دولة المرابطين وسيطرتها على بلاد المغرب

-ضم الاندلس سببه ونتائجه

-عوامل ضعف دولة المرابطين

-اهم السمات السياسية والحضارية لدولة المرابطين في المغرب والاندلس

دولة المرابطين في المغرب

***التسمية :**

(المرابطين – الملثمين –الدولة القديسة – اللمتونيين – الزراجنة – المجسمين)

أصل المرابطين :

أجمع المؤرخون على أنهم مجموعة قبائل نزحت من بلاد اليمن في تاريخ غير متفق عليه ، واتجهت نحو أفريقية، حيث بها قسم فاستوطنها، بينما استمر القسم الآخر بالنزوح إلى أن انتهى به المقام في الصحراء المغربية المجاورة للمحيط الأطلسي المهاجرة لمتونة وجدالة ولطة وتاركة وعطا، وغيرها من القبائل الصنهاجية التي أناخت في هذه القفار الممتدة من غدامس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال درن شمالا حتى تخوم السودان جنوباً.

عاش الملثمون على الرعي فكانت قبائل متنقلة بحثا عن الماء ،وقد بدأ الإسلام يتسرب إلى ربوعهم في مطلع الفتوحات الإسلامية المرابطين

ظهور المرابطين :

يرجع تأسيس الدولة المرابطية قبيلة لمتونة، وهى إحدى بطون قبيلة صنهاجة البرانس، [1] فعندما قام يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي جمع القبائل الصنهاجية تحت سلطته، ثم عزم على القيام بأداء فريضة الحج حوالي سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥ م، وخلال رحلته إلى الديار المقدسة، التقى في القيروان بعالم مغربي يدعى أبو عمران الفاسي وخلال هذا اللقاء تم الاتفاق على إقامة دولة سنية مالكية تسعى إلى إصلاح المجتمع المغربي وتطهيره من البدع ،كما تم اختيار وجاج بن زلو الذي كان شيخاً يدرس في إحدى الرباطات الموجودة في نفيس أو ملكوس بمنطقة السوس

(١) المرابطين :. البكرى : المغرب، ص ١٦٤؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص٧

،وكان وجاج الذي كان على دراية واسعة بأحوال السياسة بالمغرب، على دراية وعلم كبيرين بالمذهب المالكي ،وضع يحيى بن ابراهيم وأبو عمران الفاسي نواة تأسيس الدولة المرابطية، وقد اختار وجاج بن زلوا احد تلامذته وهو : عبد الله بن ياسين(١) لهذة المهمة في الصحراء ،فاستجاب بحماس كبير لهذه المهمة، واتجه مع يحيى بن إبراهيم إلى القبائل الصنهاجية بالصحراء، حاملا معه حركته الاصلاحية .

وعندما تكون الحلف المرابطي على يد عبد الله بن ياسين الذي ضم نحو الألف من أشراف صنهاجة بدأت المرحلة الثانية في تكوين دولة المرابطين وهي المرحلة التي تضمنت السيطرة على المغرب حيث دعا عبد الله بن ياسين إلى جهاد المخالفين من قبائل صنهاجة الذين أعرضوا عن تعاليمه ؛ تلك التعاليم التي اعتبرت جديدة وثقيلة في تنفيذها فهم لا يؤدون الصلاة ولا الزكاة «وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادة».

وعليه فقد بدأ بقبيلة جدالة فخرج إليهم في جمع يضم ثلاثة آلاف من المرابطين وعند هزيمتهم توجه إلى قبائل لمتونة الذين دخلوا في طاعته ثم توجه بعدها نحو مواطن قبائل مسوفة ، ولكي يدخل هؤلاء الخارجون في الحلف المرابطي كان عليهم أن يتطهروا من وجهة نظر المؤسس الروحي لهم «عبد الله بن ياسين» فكان يوقع عقوية الجلد على كل من كان خارجا عن تعاليم الإسلام وعندما توبته تصح يبدأ في تعليم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ويؤمر بالصلاة والزكاة

(١) عبد الله بن ياسين : هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن على الجزولي، أصله من قرية «تماماناوت» فى طرف صحراء غانة، درس على يد فقيه السوس وجاج بن زلوا، وأصبح مِن خيرة طلابه ،وعندما طلب أبو عمران الفاسى مِن تلميذه وجاج ابن زلوا أن يرسل مع يحيى بن إبراهيم فقيهًا عالمًا وقع الاختيار على عبد الله بن ياسين، ودخل عبدُ الله بن ياسين مع يحيى بن إبراهيم فى مواطن المُلَثَّمين من قبيلة جدالة سنة (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، واصطدمت تعاليم عبد الله بن ياسين بمصالح الأمراء فثاروا عليه، وكادوا يقتلوه، فترك قبيلة جدالة، وانتقل إلى قبيلة لمتونة، و اختار رباطه على مصب نهر السنغال، فافتتح بلاد درعة وسجلماسة، واستولى على " تارودانت " قاعدة سوس، وفتح بلاد المصامدة حربا. وامتد سلطانه من نواحي السنغال الى سجلماسة، ومن درعة الى أغمات ،وتقدم الى قبائل " برغواطة " فاستولى على بلادها بعد وقائع أصيب فيها بجراح كانت سبب وفاته. سنة (٤٥١هـ / ١٠٥٩م). ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ١٣٤؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص١٢٤؛ عَلي الصَّلاَّبي : فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ٢٠٠٦ م، ص٢١.

وإخراج العشر وبهذا ثم تكوين الجيش المرابطي بتلك الموارد إلى أن ملك عبد الله بن ياسين جميع بلاد الصحراء

وتظهر استماتة المرابطين في قتال اهم القبائل المارقة وهي قبائل برغواطة ، أن عبد الله بن ياسين قد لقي حتفه في إحدى المعارك معهم سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩م . وتولى الزعامة بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني مكملاً افتتاح بلاد المغرب الأقصى وصحرائه حيث افتتح بلاد فازاز وسائر البلاد الواقعة تحت سيطرة قبائل زناتة وافتتح بلاد مكناسة .

وقد وقع الخلاف بين أبي بكر بن عمر وقائد جيشه وابن عمه يوسف بن تاشفين مما حذا بأبي بكر بن عمر أن يقرر الذهاب إلى الصحراء ويستكمل الجهاد هناك إلى أن توفي في إحد غزواته في سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م.

فنجد أن دولة المرابطين قامت على أساس دينى ، واعتمدوا على الجيش فى نشأة دولتهم، ونجحوا فى بسط سلطانهم على المغرب والأندلس، فاهتم يوسف بن تاشفين بالجيش، فعنى بتنظيمه وأخذ فى جمع الجيوش، ويذكر ابن عذارى : " أن زوجة يوسف بن تاشفين زينب النفزواية[١]هى التى أعطته الأموال الغزيرة، ليمكن به ملكه "[٢] فزود يوسف بن تاشفين الجيش بالعتاد والسلاح، يذكر ابن أبى زرع " أنه فى سنة أربع و خمسين جند يوسف الأجناد، و استكثر من القواد، و فتح كثيراً من البلاد، و اتخذ الطبول و البنود، و أخرج العمال و كتب العهود، و جعل فى جيشه الأغزاز إرهاباً لقبائل المغرب، فكمل له من الجيوش فى تلك السنة أزيد من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة و جزولة و المصامدة و زناتة و الاغزاز " [٣] .

(١) زينب النفزواية: كانت زينب زوجة الأمير أبى بكر بن عمر، ثم طلقها قبل رحيله وطلب منها الزواج من ابن عمه يوسف بن تاشفين، الذى تزوجها سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) بعد تمام عدتها، فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال . ابن خلكان: وفيات، الأعيان، ج٧، ص١٢٥؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص ٩٢، ٩٥.
(٢) ابن عذارى :البيان المغرب، ج٤، ص٢٢ .
(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٨٩؛ إبراهيم القادرى بوتشيش، مباحث فى التاريخ الاجتماعى للمغرب والأندلس، ص١٣٥؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٤، ص .

تألف الجيش المرابطى من عدة قبائل مثل قبائل مسوفة ولمتونة وجدالة، وهم النواة الأولى التى تكون منها الجيش المرابطى، وأطلق عليهم اسم الملثمون، واشتهروا بقوة بأسهم فى الحرب، بالإضافة إلى قبائل من جزولة ولمطة وقبائل زناتة ومصمودة التى ضمها يوسف بن تاشفين إلى ملكه (١) ".

اختط ابن تاشفين مدينه مراكش ونزلها بالخيام عام ٤٥٤ هجريه وأقام بها مسجده الذي مازال قائما حتى وقتنا الحاضر واحاطها بالأسوار ثم اكملها ابنه من بعده على سنه ٥٢٦ هجريه وجعلها عاصمه ملكه وبذلك تحول عن فاس عاصمه الأدارسة ويرجع اختياره لمراكش بالذات الى كونه يستطيع من موقعها ان يراقب حركات الاعداء المناوئين له و يصدهم .

وكانت ليوسف بن تاشفين غزوات جهادية في وادي ملوية الذي يعتبر الحد الفاصل الطبيعي بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وخضعت له الكثير من المناطق هناك كمنطقة غمارة وسبتة التي انتزعها من البرغواطيين ، وقد وجه ابن تاشفين جهوده لفتح بقية مدن وبلاد المغرب، وتم له السيطرة على المغرب الأقصى في سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٧م، فاستولى على " فاس " عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م ، وكذا مكناسة ، ومعظم بلاد المغرب الشرقي، حيث قام بافتتاح بلاد الريف ، واستولى على" تازة " عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. مدن تلمسان وتنس ووهران وجبل وانشريس إلى الجزائر، وأستولى على طنجة وسبتة ، وفي سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م سير جيشاً اخترق به المغرب الأوسط ،وزحف شرقاً ،تستولي علي " مليليه" ثم " وجدة " ثم " تلمسان " وبذلك فقد الزناتيون عاصمتهم هذه كما أخضع مدينة " وهران " ووصلت جيوشه حتى مدينة " الجزائر " .

اتخذ المرابطون السواد شعاراً لهم وخاصة في لثامهم واعلامهم ،وهوشعار بني العباس أصحاب السيادة الروحية على المناطق العربية ،وقد نص ابن خلدون على يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بعث الى الخليفة العباسي المستظهر بالله ،مبايعاً له على يد رسوله عبدالله بن

(١) مؤلف مجهول :الحلل الموشية، ص٢٠؛ حمدى عبد المنعم حسين : التاريخ السياسى والحضارى للمغرب والأندلس فى عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٩٧، ٢٩٨.

العربي وولده القاضي أبي بكر ،طالبين من الخليفة اقرار على حكم المغرب ،فوافق على ذلك ،وارسل الى ابن تاشفين بعهد الخلافة .

ويرجع الفضل الى المرابطين في نشر المذهب المالكي على نطاق واسع في بلاد المغرب، ونشر الإسلام في ربوع البلاد المتاخمة لمملكتهم ، كما شجعوا من ناحيه أخرى انتقال الحضارة الأندلسية إلى بلاد المغرب، وذلك بفتح باب الهجرة لمن رغب من الأندلسيين في الانتقال إلى المغرب أو النزوح إليه، وأنهم فتحوا باب الجهاد على مصراعيه، وشجعوا المقاتلين في سبيل الله، ولاسيما في الأندلس ضد النصارى الإسبان.

فى أعقابِ سقوطِ طليطلة بيد ألفونسو السادس (٤٧٩هـ/١٠٨٥م) اتفقَ فقهاءُ الأندلس وعلماؤها إلى ضرورةِ الاستنجادِ بالمرابطين، و تزعم المعتمد بن عباد هذا الأمر، وأرسل رسالة إلى يوسف بن تاشفين حملها وزيره ابن زيدون [١]، وعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، ونزل الجزيرة وجعل المعتمد لها حامية مختارة من جنده لتسهرِ عليها، وشحنها بمقادير عظيمة من الأقوات، والذخائر، والمؤن، لكي تغدو ملاذاً أميناَ، يلتجيء إليه، إذا منيت الحملة بالفشل [٢] .

استغلت القيادة المرابطية البنيات التحتية للأندلس لخدمة الجيش وتوفير تموينه، ويقدم لنا الحميرى هذه الإستزدات والتقوية، ففى الجزيرة الخضراء تم تزويد الجيش بالأقوات والضيافات بل أقاموا سوقاً لذلك، كما استزادوا فى إشبيلية، حيث أصدر المعتمد الأوامر إلى ولاة البلاد بجلب الأقوات والضيافات التى كانت كبيرة جدا أدهشت يوسف بن تاشفين نفسه ورضاه على الاستعداد الإقتصادى، حتى أن صاحب الحلل يجعل مكوثهم وأكلهم مدة ثلاثة أيام كاملة، ثم استزادوا فى بطليوس حيث قدم صاحبها المتوكل عمر بن محمد الأقوات والضيافات والمأكولات الرغدة [٣] .

(١) المراكشى : الحلل الموشية، ص٤٦ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٣، ص ؛ دوذى : المسلمون فى الأندلس، ج٣، ص١٣٠، ١٣١ .

(٢) مذكرات الأمير عبد الله : التبيان، ص١٠٢؛ المراكشى : الحلل الموشية، ص٤٦؛ دوذى : المسلمون فى الأندلس، ج٣، ص١٣١ .

(٣)الحجي : دول الطوائف ص ٣١٩،٤٤٧ / ص٤٠٣ / التواتي ص٢٩١.

ألتقى مع النصارى فى موقعة الزلاقة ونجح فى الانتصار عليهم وذلك يوم الجمعة (١٢ رجب سنة٤٧٩هـ/٢٣ أكتوبر سنة١٠٨٦م)، استخدم المرابطون النشابة بفعالية فائقة وتوجيه رشقات كثيفة، إذ كانت أحمال الأبل من السهام تطوف بين المقاتلة وتزويدهم بما يحتاجون وتعوضهم عن الذي جرى رميه، وقد وجهت هذه السهام إلى خيول العدو التي جمحت بفرسانها مما أربك العدو [١]. و يذكر صاحب الحلل" أنه تلحق بالطاغية أذفنش غلام أسود بيده خنجر يدعوه البرابر بالآطاس قطع جرز درعه، وطعنه فى فخذه مع بداد سرجه، فكان أذفنش يقول بعد ذلك التحق بى غلام أسود فضربنى فى الفخذ بمنجل أراق دمى، فتخيل له الآطاس أنه منجل، لكونه رءاه معوجًا"[٢].وغنم المسلمون غنيمةً عظيمةً، وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وعفّ يوسف عَن الغنائم، وآثر بها ملوك الأندلس ليتمّ لَهُ الأجر، فأحبوه وشكروا لَهُ، وكانت ملحمةً عظيمةٍ قَلَّ أنْ وقع في الإسلام مثلها، وجرح فيها ملك الفرنجة، وجمعت رؤوس الفرنجة، فكانت كالتّلّ العظيم[٣] .

توالى عبور يوسف بن تاشفين للأندلس، فجاز الجواز الثانى إلى الإندلس عندما استمده المعتد بن عباد لإعتداء النصارى فى حصن لبيط على مملكته حيث عمد ألفونسو السادس إِلَى حصن لبيط الموَالِي لعمل ابْن عباد فشحنه بِالْخَيْلِ وَالرِّجَال وَالرُّمَاة وَأمرهمْ بالإغارة على بِلَاد ابْن عباد، فتحرك يوسف بن تاشفين لإمداد المعتمد فَتَلقاهُ ابْن عباد فى الجزيرة الخضراء بِأَلف دَابَّة تحمل الْميرَة والضيافة ،وكتب يوسف بن تاشفين إِلَى أُمَرَاء الأندلس يَدعُوهُم إِلَى الْجِهَاد وَقَالَ لَهُم الْموعد بَيْننَا وَبَيْنكُم حصن لبيط، استدعى يوسف بن تاشفين النجارين والبنائين والحدادين من مرسية، للمساعدة بفتح الحصن، وشن يُوسُف بن تاشفين الغارات على بِلَاد الفرنج كل يَوْم ودام

(١) الناصرى : الإستقصا، ج٢، ص٢٧.

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص٤٢، ٤٣، انظر كذلك عن موقعه الزلاقة: المراكشى، المعجب، ص١١٨- ص١٢٠، ابن خلكان، وفيات، جـ٧، ص١١٦، ص١١٧، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٩٦، الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، ص٨٣ وما يليها، يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، جـ١، ص٨٣، بوتشيش، مباحث، ص٥٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن موقعة الزلاقة انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ٤٤٥- ٤٤٨ ؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص٢٤٦؛ عبد الله عنان : ولة الإسلام، ج٣، ص٣٢٠-٣٣٢ .

الْحصار على الْحصن أَرْبَعَة أشهر لم يَنْقَطِع الْقِتَال فِيهَا يَوْمًا وَاحِدًا إِلَى أَن دخل فصل الشتَاء وَوَقع بَين ابْن عبد الْعَزِيز وَابْن عباد نزاع وَشَنَآن فَشَكا الْمُعْتَمد إِلَى أَمِير الْمُسلمين ابْن عبد الْعَزِيز فَقبض عَلَيْهِ أَمِير الْمُسلمين وأسلمه إِلَى ابْن عباد فاختل أَمر الْمحلة بِسَبَب ذَلِك وفر جَيش ابْن عبد الْعَزِيز وقواده عَنْهَا وَقَطعُوا الْميرَة عَن الْمحلة وَوَقع بهَا الغلاء فرجع يوسف بن تاشفين إلى العدوة [١] .

يذكر ابن عذارى أن الأمير عبد الله عندما أحس بتقدم المرابطين، أرسل إلى ألفونش أموالاً وهدايا نفيسة مستصرخاً إياه ضد المرابطين مرتمياً تحت قدميه، ففرح بذلك ألفونش، وأقسم بأوكد الأيمان أنه لن يتركه يقع فريسة للمرابطين، وأنه سيسعى بنفسه ويدافع عن ملكه [٢]،ونرى أيضًا استعانة المعتمد بن عباد بألفونسو السادس، عندما زاد ضغط المرابطين عليه؛ للاستيلاء على ملكه، [٣] ، كما أرسل المتوكل بن الأفطس إلى ألفونسو يطلب نجدته، عندما نزل المرابطون ببلاده، وتنازل ابن الأفطس لألفونسو الثالث عن ثلاث مدن مهمة نظير تحالفه معه، وهى شنترة وشنترين وأشبونة، وأدى هذا العمل إلى تذمر رعيته وحملهم على دعوة المرابطين للمجئ إليهم فأسرعوا إلى فتح بطليوس سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) قبل أن تأتى إليها نجدة القشتاليين[٤] .

ونجد أن الجيش المرابطى فى الأندلس بلغ حوالى سبعة عشر ألف فارس موزعين على مدن الأندلس المختلفة، إذ يذكر صاحب الحلل أنه " كان من بين الشروط التى اشترطها يوسف بن تاشفين علي على ابنه لتقديمه لولاية العهد، أن ينشئ بالأندلس جيشًا مرابطيًا ثابتًا ،قوامه سبعة عشر ألف فارس موزعة على أنظار معلومة، يكون منها بأشبيلية سبعة آلاف، وبقرطبة

(١) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٠؛ السلاوى : الإستقصا، ج٢، ص ٥٢.
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٩، ٣٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٣٥ ؛ رجب محمد عبد الحليم، العلاقات، ص٣٦٧ .
(٣) ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص١٠٠، ١٠١، ابن الخطيب . أعمال الأعلام، ص١٦٣ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٣، ص٣٥٠ .
(٤) ابن الآبار : الحلة، ج٢، ص١٠٢، ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص١٨٥، ١٨٦ ؛سحر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس، ج٢، ص١٢٨، ١٢٩.

ألف فارس، وبغرناطة ألف فارس، وفى المشرق أربعة آلاف فارس، وباقى العدد يوزع على ثغور المسلمين [١] ، وجد كذلك العنصر العربى فى الجيش المرابطى، وشكلوا فرقة من فرقه، وانضموا ليوسف بن تاشفين في عبوره الثالث للأندلس سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م)[٢] .

كان العبيد السودان أحد فرق الجيش المرابطى ،حيث اشترى يوسف بن تاشفين جملة من هؤلاء السودان فى سنة أربع وستين وأربعمائة بلغوا ألفى مقاتل، فقوى أمره وعظمت شوكته[٣]، ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء العبيد كان لهم دورٌ كبيرٌ فى معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ،حيث بلغ عددهم أكثر من أربعة ألاف محارب، وكان يتم تكليفهم بالمهمات الصعبة ،حيث تمكن أحدهم من طعن ألفونسو السادس طعنة كادت تودى بحياته(٤)، وأن فرقة الحرس الأميرى تألف معظم عناصرها من السودان[٥] .

وجد فى الجيش المرابطى الغز أو الأغزاز[٦]، وأن يوسف بن تاشفين أنه أول من استركب فى بداية عهده الأغزاز و الرماة،و كان ذلك فى سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)[٧]،ويذكر صاحب روض القرطاس أنه فى موقعة العقاب بلغ عدد الرماة والأغزاز عشرة آلاف[٨] .

استخدم المرابطون النصارى فى جيوشهم، واستخدموهم حرساً خاصاً لبعدهم عن الدسائس والمؤامرات ،و لعدم ثقتهم فى بعض العناصر المحلية، وخوفهم من التعرض

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص٥٧، ٥٨.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٠٧.
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وآخرون، دار الغرب الإسلامى، بيروت لبنان، ١٩٨٥م ،قسم الموحدين ٤، ص٢٣؛ مجهول : الحلل الموشية، ص١٣، ١٤؛عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٤،ص٤١٨.
(٤) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص٤٢، ٤٣؛ المراكشى : المعجب، ص١١٨- ١٢٠؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص٩٦؛نصر الله، دولة المرابطين، ص١٧١؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص٨٣.
(٥) الناصرى :الإستقصا، ج٢، ص ٤٧؛ إبراهيم حركات : النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص١٥٥.
(٦) الغز : هم جنس من الترك، عرفوا في المصادر العربية بأسماء عديدة منها " الترك والأكراد، د خل الغز بلاد المغرب على شكل رقيق، غير أن أعدادهم لم تكن كبيرة . الزهري : تحقيق: محمد حاج صادق، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية،(د.ت)، ص٦٠؛ أحمد مختار : صور من حياة الحرب والجهاد، ص١٦٤.
(٧) ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص ٨٩ ؛ الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص ٢٧.
(٨) ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص ١٥٩.

للاغتيال[١]، بالإضافة لقدراتهم القتالية العالية، حيث تمكنوا من كبح جماح القبائل الثائرة وإرهابها، واستخدمتهم الدولة فى تحصيل الضرائب من المناطق البعيدة النائية، خصوصاً المناطق التى تجتازها القبائل الرحل، حيث تضعف السلطة المركزية، فكان لابد للدولة أن تبعث بجنود لحماية عمال الجباية والمشاركة فى تحصيلها[٢]، وفرقة النصارى اقتصر دورها فقط على المغرب، وكانوا يستخدمون فقط فى الحروب المحلية فى المغرب ضد الثائرين والمخالفين لهم، و فى حروب المرابطين ضد النصارى، فلا يستعان بهم خوفاً من ميلهم لأبناء عقيدتهم ضد المسلمين[٣] إذ ضمت هذه الفرقة العديد من العناصر النصرانية، مثل الصقالبة ،حيث أرسل يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، فابتيع له جملة من الأعلاج، و انتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارسًا،ومن العبيد نحو الألفين [٤] وكذلك النصارى المعاهدون من أهل الأندلس، و الأسرى النصارى الذين وقعوا فى أيدى المسلمين فى المعارك المختلفة التى خاضها المرابطون ضد النصارى فى الأندلس[٥] ،و الأسرى الذين كان يأتى بهم قائد الأسطول المرابطى أبو عبد الله محمد بن ميمون[٦] ، **وكان** قائد تلك الفرقة النصرانية قائد من الروم يسمى الربرتير[٧].

---

(١) أشباخ : تاريخ الأندلس، ج١، ص١١٦، ١١٧؛ رضوان البارودى : عناصر المرتزقة فى الجيوش المغربية منذ القرن السادس الهجرى حتى القرن الثامن الهجرى، مجلة المؤرخ العربى، العدد السادس، المجلد الأول، مارس، ١٩٩٨م، ص٣٩٥.

(٢) رضوان البارودى : عناصر المرتزقة، ص٣٩٦؛ إبراهيم بوتشيش، مباحث فى التاريخ الإجتماعى، ص٩٠ ؛ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، ١٩٦٥م، ج١، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن خلدون المقدمة، ص ١٩٢ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ٢٣.

(٥) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص ٣٨٠ ؛ بوتشيش : مباحث فى التاريخ الإجتماعى، ص ٤٨ .

(٦) أبو عبد الله محمد بن ميمون :، من أسرة بنى ميمون من الأسر المشهورة فى الأندلس، و قد اختلف المؤرخون فى نسب هذه الأسرة، فمنهم من ينسبهم إلى المرية، و البعض الآخر إلى دانية، و هناك من ينسبهم إلى مدينة قادس، و أبو عبد الله محمد بن ميمون تولى إمارة البحر أيام المرابطين، وكانت له أيام فى الدفاع عن الجزائر الشرقية و عن سواحل بلنسية، و أسر الربرتير القائد القطلونى الشهير، و حمله إلى الأمير على بن يوسف، و قد حاول أهل المرية إقامة أبى عبد الله بن ميمون والياً عليهم، ولكنه رفض،ودخل فى خدمة الموحدين، و قاد أسطولهم. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص١٢٤،١٢٣؛ المراكشى : المعجب، ص ١٧٨، المقرى :نفح الطيب،ج٣ ،ص٢٢٠.

(٧) الربرتير Reverter : من أهالى برشلونة، و عمل فى خدمة ملك آراجون،إلى أن أسر على يد على بن ميمون قائد الأسطول المرابطى، فحمله إلى الأمير على بن يوسف بمراكش، فولاه قيادة تلك الفرقة من الروم .

ورحل يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م بعد أن رسخ دعائم دولته، وأفشل حركة الاسترداد المسيحية، تاركاً دولة فتية مرهوبة الجانب وخلفه ابنه علي بن يوسف في السنة نفسها، ولقد أورث يوسف بن تاشفين لابنه على إمبراطورية فسيحة الأرجاء ،مترامية الأطراف ، تمتد من " بجاية" في الجزائر شرقا إلى بلاد "السوس "الأقصى غربا ،ومن " تافيلالت" إلى السودان جنوباً ، بالإضافة إلى إسبانيا بأكملها .

وعمل على بن يوسف في مواصلة سياسة ابيه الحازمة، و فتصدى لنصارى اسبانيا ،فكانت موقعة اقليش سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م، والقلعة سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٩ م، وإفراغة سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٥ م، لكن سيطرة الفقهاء والنساء في دولته ادى الى ضعف سطوته وقدرته على الحكم ، مما ادى الى ضعف الدولة .

تعددت الاسباب التي ادت الى ضعف دولة المرابطين من بعد عصر الامير المرابطي على بن يوسف فكما يروي العلامة ابراهيم القادري بوتشيش ان منها : –بقاء الموروثات القبلية ماثلة داخل أجهزة الحكم، فنتج عنه احتكار المناصب السياسية من طرف قبيلة المتونة دون غيرهامن القبائل ،بالاضافة الى بعد الأمراء المرابطين عن حياة البداوة وميلهم إلى حياة والترف، وانفاقهم بسخاء لحاشيتهم وجندهم المرتزقة، وإنفاقهم الأموال الباهظة على بلاطاتهم.

علاوة على تزايد خطر نصارى أسبانيا وهجومهم على المدن الاندلسية ، وكذلك ظهور خطر الموحدين مما دعا علي بن يوسف بن تاشفين الى مضاعفة النفقات العسكرية .

توفي علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م. ، وتولى ابنه تاشفين بن علي حيث تولى الحكم بعد أن اصبحت الدولة في طور الانهيار. وفي الوقت نفسه، كان الفونسو السابع يوجه ضرباته القاصمة للحاميات المرابطية في الأندلس. وقد حاول هذا الأمير سدي التصدي للموحدين حيث لاحقهم في تلمسان، وهناك التحق به ابنه إبراهيم فجدد له العهد، ثم بعثه إلى مراكش للدفاع عنها، لكن قوات الموحدين تمكنت من إلحاق هزيمة ماحقة بالجيش المرابطي،

البيذق : أخبار المهدى بن تومرت، ص ٨٦ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ٩٨ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٤، ص ٢٢٨.

ففر الأمير تاشفين ناجياً بنفسه في جنح الليل نحو الأسطول المرابطي، غير أنه سقط من حافة عميقة لم يتنبه إليها وهو على ظهر فرسه، وقد أرداه هذا الحدث قتيلا.

وبعد وفاة تاشفين بن علي سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م، بويع ابنه إبراهيم وكان شاباً صغيراً وبقي مدة ثم نقض بيعته عمه إسحاق بن علي، وتشب الصراع بينهما، ثم اندلعت الثورات في كل المدن الأندلسية. وفي تلك الأثناء، زحفت جيوش الموحدين على تلمسان وفاس ومكناس لتصل إلى مراكش سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، وتضرب عليها حصاراً قويا انتهى باقتحام المدينة فدخلها الموحدون ، وقبضوا على أميرها ابي إسحاق إبراهيم بن تاشفين، وفتكوا به وبمن معه من كبار دولته.

الفصل الخامس

دولة الموحدين (٥٢٤-٦٦٨هـ/١١٣٠-١٢٦٩م)

دولة الموحدين في المغرب
(٥٢٤-٦٦٨هـ/١١٣٠-١٢٦٩م)

قامت دعوة الموحدين في الشمال الإفريقي على إثر انتشار مذهب "المجسمة"،الذين كان أصحابه يفسرون الآيات التي يبدو منها تجسيم تفسيرا ظاهريّا لامجازيا ،وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى.

ومثل هذه الآيات القرآنية قوله تعالى: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ "،وقوله تعالي " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (طه:٥)"،فانبري المفكرون من "الموحدين "للوقوف أمام "المجسمة"،وبينوا أن الله تعالى منزه عن التشبيه بالخلق " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشوري :١١)،والقول بغير ذلك كفر وإلحاد فهم –على هذا الأساس–يعتقدون بوحدانية الله تعالى :وأنه لا إله سواه ،كما أنه منزه عن كل ماسواه من الحوادث والمخلوقات.

وبالإضافه إلى هذا الشطط في العقيدة – فى أواخر العهد المرابطى – ظهر شطط آخر لا يقل خطورة ،وهو ان الفقهاء لم يكونوا يرجعون غلي القرآن الكريم والسنه النبوية في استنباط الاحكام ،وإنما بالغوا فى الإستنباط من كتب فروع الفقه ،ومالوا إلى مذهب الإمام مالك دون سواه،ولم يكن يحظى لدى أمراء المرابطين إلا من علم فروع مذهب الإمام مالك ،وعمل بمقتضاها ونبذ ماسواها ،الأمر الذى جعل "الموحدين"يثورون على هذه الأوضاع،فقاموا على أساس ضرورة العودة إلى القرن والحديث كمصدر للدراسه ،ومن أجل ميلهم إلى "الحديث" عرفوا بـ "المحدثين" ومن أجل جهادهم فب سبيل تنقية العقيده وتخليصها من الشوائب سموا بـ"الموحدين".

أولهم :"محمد بن تومرت الهرغي "من قبيلة مصمودة ،والملقب فيما بعد بالمهدى ، مؤسس هذة الدولة المنتمي الى قبائل مصمودة الذين كانوا يسكنون ويشكلون معظم سكان المغرب الاقصى وهي قبائل كبيرة تمتد من شمال المغرب الاقصة الى جنوبه .

ولد محمد بن تومرت في قبيلة هرغة عام ٤٨٥هـ وتعلم بمراك ثم اتجه الى المشرق لمواصلة تعليمه فاستفاد من العلوم هناك كما كان شاهدا على احوال العالم الاسلامي وقتها وعاد بدعوة اصلاحية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعند وصوله الى تلمسان التقى بعبد المؤمن بن علي سار حتى فاس وكان يأمر تلاميذه بمواجهة كل مظاهر البدع وفقا لدعوته كما اسماهم الموحدين لنشر غايته من حركته ودعوته من اجل احياء عقيدة التوحيد الخالصة .

وفي مراكش عاصمة المرابطين ذاع صيت ابن تومرت المهاجم لهم وقد اسماهم المجسمين ؟؟؟؟ .

وبعد ان تم له تكوين اتباع وانصار انتقل الى قلب جبال اطلس واسس قاعدته تينملل وفيها اخذ يرتب اتباعه طبقات بحسب اخلاصهم له ولدعوته وتلقب بالمهدي .

(طبقة الحفاظ –الطلبة –أهل العشرة –أهل الخمسين –أهل السبعين).

توفى ابن تومرت في نفس العام وتولى بدلا عنه عبد المؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس العسكري لدولة الموحدين ودخل عبد المؤمن في مواجهات مع المرابطين حتى تم له اسقاط دولتهم واقامة دولة الموحدين عام ٥٤١هـ .

عبد المؤمن الموحدى الذى كتم خبر وفاة المهدى ،خوفا من سخط المصامدة عند ولاية عبد المؤمن بن علي ؛ لكونه من غير جلدتهم ،فأرجأ إذاعة خبر إذاعة الوفاة إلى أن يخالط بشاشة الدعوة قلوبهم ،ودفنوا المهدى داخل الدار ،وكان عبد المؤمن وأصحابه يدخلون إلى مدفنه ،حيث يعقدون الجلسات ،ويتخذون القرارات ،ثم يخرجون بها على أنها من إرشاد ابن تومرت ورأيه .

فلما تمكَّن أمر الدعوة وتمت مصاهرة بين عبد المؤمن والشيخ أبى حفص أمير هنتانة وكبير المصامده ،أعلنوا موت المهدى، واستقر الأمر لعبد المؤمن ،الذى قاد المرحلة الثانية في

الصراع بين المرابطين والموحدين،تلك التي انتهت بإسقاط المرابطين بعد كفاح مرير ،وقيام الدولة الموحدية الكبرى.

وتم لعبد المؤمن بن علي السيطرة الكاملة على كل بلاد المغرب في عام ٥٥٥هـ والتي سميت بسنة الاخماس فكانت دولته من المحيط الاطلسي حتى طرابلس ،كما تم له السيطرة على الاندلس عام ٥٥٦هـ .

توفي عبد المومن بن علي عام ٥٥٨هـ بعد حكم دام ثلاثة واربعين عاما وتلاه خلفاء كان منهم من تصدى لضربات نصارى اسبانيا في الاندلس

جيش الموحدين :

كان الجيش هو عماد دولة الموحدين، وتميز بالضخامة وذلك لكثرة دخول القبائل فى طاعتهم،و حول هذا الأمر يذكر ابن صاحب الصلاة أن جيش عبد المؤمن الذاهب للجهاد فى الأندلس بلغ مائتى ألف مقاتل(١)، ويجعله صاحب(روض القرطاس) نحو نصف مليون مقاتل(٢)، وأن الجيش الموحدى المنهزم فى موقعة العقاب سنة(٦٠٩هـ/١٢١٢م) قد بلغ نحو ستمائة ألف(٣)، وتكون الجيش الموحدى من قبائل الموحدين المختلفة مثل قبيلة هرغة وكدميوة وكنفيسة وهنتاتة وقبائل أهل تينملل(٤) ،وضم عبد المؤمن إلى هذه القبائل قبائل هسكورة وصنهاجة وكومية، ويضاف إلى تلك القبائل كل ما وجد من القبائل الأخرى، حتى لو كانت تلك القبائل من المرابطين(٥)، واعتمد الموحدون على عنصر المشاة فى جيوشهم، هذا وقد قسم المهدى الموحدين إلى طبقات من هذه القبائل التى استجابت لدعوته، وكان هذا النظام يتألف من

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ١٥٢.
(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٣٢.
(٣) المقرى : نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٨٣ ؛ المراكشي : المعجب، ص ٢٦٥ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ٥، ص ٢٨٢ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ج ٢، ص ١٠٥ –١٢٤ .
(٤) البيذق : أخبار المهدى، ص ٣٧ –٤٠.
(٥) المراكشي، المعجب، ص ٢٧٦، ص ٢٧٧ .

أربع عشرة طبقة [١] وكانت مرتبة فى الجيش بحسب أهميتها، بالإضافة لوجود المتطوعة إلى جانب ما تقدمه كل قبيلة مما فرض عليها من مشاة وفرسان، فكانت القبائل عندما تنشب الحرب ضد الأسبان النصارى، تقدم نصيبها من المشاة والفرسان والسلاح والمؤن[٢]، ولعب الجند السودان دوراً بارزاً فى الجيش الموحدى، وقد أطلق عليهم فى بعض الأحيان لفظ(عبيد المخزن) أو(عبيد الدار)[٣]، وأصبح السودان فرقة قائمة بذاتها فى الجيش الموحدى منذ عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٣- ١١٨٤م)، وأصبح منهم حرس الخليفة فكانوا يضربون دائرة حول قبته أثناء المعارك المختلفة لحمايته من الأعداء، وكانت أعدادهم كبيرة فى الجيوش الموحدية، إذ بلغ عددهم فى جيش الناصر (٥٩٥ - ٦١٠هـ/١١٩٩- ١٢١٣م) حوالى ثلاثين ألفاً[٤]، وقتل منهم فى معركة العقاب أكثر من عشرة آلاف عبد[٥]، وظهر الأتراك الغز فى الجيش الموحدى منذ عهد الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[٦] وأغدق عليهم الخليفة المنصور الموحدى الأموال، حتى إنه خصهم بجامكية كل شهر، فى حين جعل جامكية الموحدين كل أربعة أشهر، وأقطعهم إقطاعات واسعة، وذلك لأن الغز غرباء لا شئ لهم فى البلاد سوى هذا العطاء الرسمى[٧]، ومنذ ذلك الحين نجد ذكرا لهؤلاء الأغزاز فى المعارك المختلفة التى خاضها الموحدون، سواءً فى المغرب أو الأندلس، و أن الخليفة المنصور قبل

(١) كانت طبقاتهم مرتبة على النحو التالى : الطبقة الأولى: أصحاب المهدى العشرة أهل الجماعة، والثانية: أهل الخمسين، والثالثة: أهل السبعين، والرابعة :الطلبة، وهم علماء الموحدين، والخامسة: الحفاظ، وهم صغار الطلبة، والسادسة: أهل الدار، وهم أفراد بيت المهدى، والسابعة: قبيلة هرغة قبيلة ابن تومرت، وهى إحدى بطون مصمودة، والثامنة: أهل تينملل، والتاسعة: قبيلة كدميوة، والعاشرة: قبيلة كنفسية، والطبقة الحادية عشرة: قبيلة هنتاتة، والطبقة الثانية عشرة: هى قبائل ناصرت المهدى، والثالثة عشرة: الجند ،وهم المتطوعون الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة، والرابعة عشرة: الغرات، وهم الأحداث الصغار الأميون . ابن القطان، نظم، ص ٨٢، ٨٣ ؛مؤلف مجهول :الحلل الموشية، ص ٧٩، ٨٠ ؛ المراكشي : المعجب، ص ٢٧٥ –٢٧٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص ١٧٤ ؛عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ٦، ص ٦٣٧ ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٣) البيذق :أخبار المهدى، ص ١٠٣ ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ١٠٤.

(٤) ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص ١٥٨، ١٥٩، الناصري : الاستقصا، ج ٢، ص ٢٠٠ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ٥، ص ٣١٠.

(٥) ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص ١٥٩، عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج ٥، ص ٣١٣ .

(٦) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٥٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٢١٤ .

(٧) المراكشي، المعجب، ص ٢٣٨.

موقعة الأرك جعل المطوعة والأغزاز والرماة فى مقدمة الجيوش ،وبلغ عددهم فى موقعة العقاب عشرة آلاف [١] .

حرص الموحدون على الاستعانة بالأندلسيين فى جيوشهم، لكونهم أكثر خبرة بقتال النصارى الأسبان[٢]، واختصهم الخلفاء بالمشورة والنصح، وقد شارك الجند الأندلسيون تقريباً فى جميع الحملات العسكرية التى قام بها الموحدون فى الأندلس، وشاركوا فى حملة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على مدينة وبذة سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)[٣] كما شاركوا فى موقعة شنترين، وقتل كبار قادتهم فيها على يد البرتغاليين[٤] ،وأسند الموحدين قيادة أسطولهم لبعض العناصر الأندلسية من أمثال بنى مردنيش، مثل غانم بن مردينش وأخيه أبى العلاء[٥] .

الموحدين فى الأندلس

اتخذ والموحدون الجزيرة الخضراء قاعدة عسكرية لنزول جيوشهم، فاختيرت بحكم موقعها البحري المهم محطة إستراتيجية لنزول المحاربين المرابطين والموحدين وهمزة وصل بين الأندلس والمغرب، واتخذها الموحدين صارت مركزا ثانويا خاصة بعد إنشائهم واستخدامهم لمرفأ جبل طارق، و إنشاء مدينة الفتح، حيث اتخذت كمركز دفاعي أول وسخرت لها جميع الإمكانات[٦] .

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٥٩ - ١٦٠.
(٢) البيذق : أخبار المهدى، ص١٣٥- ١٣٧.
(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص٤٠٢- ٤١٤ .
(٤) المراكشى : المعجب، ص٢١٦؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ٥، ص١٢٧ .
(٥) غانم وأبو العلاء بن مردنيش: ابنا أبى عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش الثائر على الموحدين، إذ يذكر أنه بعد أن مات محمد بن سعد بن مردنيش سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، اضطر أبناؤه أبو القمر وهلال وغانم وأبو العلاء وغيرهم أن يدخلوا فى طاعة الموحدين، وقد عوضهم الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن عن ممتلكاتهم بمناصب يتقلدونها وأراض تقطع لهم فى مملكته، وكان معظم أبناء ابن مردنيش قد أسندت إليهم قيادات فى البحرية الموحدية .ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص١٣٥؛ محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس فى العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ/١١٢١-١٢٨٧م) دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٩١- ص١٣٨.
(٦)ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ١٩٩؛عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٤، ص٣٨٠؛ عبد الرحمن على حجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٤٠٨.

وفى الوقت نفسه نرى على الساحة الأندلسية أن "ألفونسو المحارب"ملك أراجون يُغِير على الأندلسية ضد المرابطين ،معتمداً على مساعدة المعاهدين له ،وهم النصارى المستعربون الذين يعيشون فى الأراضى الإسلامية آنذاك، واستطاع أن يعيث فى الأراضى الأندلسية، مخرباً للزروع والعمران، حتى وصل إلى البحر المتوسط بمساعدة المعاهدين، وعاد إلى قواعده ورجاله غانماً سالماً،مما تأكد معه الأندلسيون أن سلطان المرابطين آخذ في الزوال، تماماً كما كان الحال فى المغرب.

لقد صمم الموحدون على مواصلة القتال بعد أن استأنفوا نشاطهم الحربى ،وحيث انتصروا فى بعض المعارك ،ثم أعدّوا جيشاً عظيماً زحفوا به على"مراكش"وحاصروها، ولكن المرابطين تمكنوا بعد جهد جهيد من فك الحصار،ثم كان أن مرض "المهدى" ومات عام ٥٢٤هـ ، بعد أن أوصى بالخلافه من بعده إلى "عبد المؤمن الموحدى"، والذى استطاع أن يترسم خطى أستاذه ، فواصل حملاته الحربية ، حيث تمكن من اقتحام "مراكش" ودخوله عام ٥٤١هـ/١١٤٦م، وهكذا انهار عرش أبناء تاشفين .

وفى هذه الأثناء كان الأندلسيون فى شبه الجزيرة يرهقون المرابطين ، وذلك أملاً فى خلع طاعتهم ، وليحل الموحدون محلهم، فقد شبت الثورات فى البقاع الغربيه بقيادة أحمد بن الحسين بن قسي، وشملت مدناً كثيرة حتى بلغت أشبيلية وقرطبة، ضد قائد المرابطين يحي بن غانية الذى عجز عن إطفاء هذه الثورات .

وما إن بلغ عبد المؤمن نبأ ما يجرى فى الأندلس ضد المرابطين، حتى نراه قد جهز جيشاً قوامه عشرة آلاف فارس وعشرين ألف رجل، وقدم على هذا الجيش قائده موسى بن سعيد، فعبر المضيق، واستولى على حصن "الجزيره الخضراء" وجبل طارق، هازما فى طريقه قوات المرابطين، وقد زامن هذا الإنتصار فى الأندلس سقوط "مراكش" فى المغرب، فبات من السهل على الموحدين بالأندلس – بمعرفة حلفائهم أهل البلاد – أن يستأصلوا شأفة المرابطين بعد معارك دامية ، بذل فيها الطرفان جهوداً مضنية،انتهت باستسلام البعض من المرابطين،بينما

هرب البعض الآخر غلى شرق الجزائر فى سفن تحت جنح الظلام بعيدا عن أعين الملثمين ،وتولى أمر الاندلس حينئذ أبو يعقوب يوسف من قبل أبيه عبد المؤمن بن على ، ولم يستطع الخليفه الموحدى أن يدخل الأراضى الأندلسيه إلا عام ١١٦١م، بعد أن تم له الإستيلاء على بلاد إفريقيه، وافتتح المهدية وتونس،حيث انتزع كل هذا من أيدى النورمانديين أصحاب صقليه، فعبر المضيق ونزل بجبل طارق، الذى أقام فيه حصناً سماه "جبل طارق".

لقد كان أول عمل قام به عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ – ٥٥٨ هـ/ ١١٢٩– ١١٦٣م) أن طُلب في الكتاب الذى أرسله إلى السيد أبى يعقوب والى إشبيلية أن يحشد جميع العمال البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء، من جميع بلاد الأندلس التي تحت نظر الموحدين، وأن يعجلوا بالسير إلى الجبل، ولعل مدينة جبل الفتح التي بناها عبد المؤمن ابن علي سنة(٥٥٥هـ/١١٦٠م) كانت مركزا أساسيا للتموين و كانت بها رحى تطحن الأقوات بالريح ولكى يضمن سيطرة أسطوله على مضيق جبل طارق من أجل تأمين عبور أساطيله باستمرار بين المغرب والأندلس، ولكى تكون المدينة قاعدة عسكرية كبرى لتجمعات الجيوش القادمة من المغرب[١] .

وكانت مدينتى سلا و رباط الفتح من أهم مراكز التجمع لجيوش الموحدين، وكانت المنطقة الواقعة شمالاً فيما بين سلا وسبتة تحتوى على مراكز لتخزين المؤن والأقوات اللازمة لإمداد الجيوش الذاهبة والعائدة[٢]، وملأ الخليفة عبد المؤمن ما ملكه من أقطار جزيرة الأندلس خيلا ورجالا من المصامدة والعرب وغيرهم من أصناف الجند [٣].

أمر الخليفة عبد المؤمن فى سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده، فأنشأ منها أربعمائة قطعة، ونظر فى استجلاب الخيل والإستكثار من أنواع السلاح

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ١٩٩؛عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٤، ص٣٨٠؛ أحمد مختار العبادي، صور من حياة الجهاد في الأندلس، ص٢١٦ ؛ خليل السامرائى وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٤١٧؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٤١

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٤٨؛ فتحى زغروت : الجيوش الإسلامية، ص ٨٧.

(٣) المراكشى : المعجب، ص١٦٥.

والعدد، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله، فكان يضرب له كل يوم عشرة قناطير [١]، وأنشأ الخليفة عبد المؤمن دورا جديدة مثل دار قصر مصمودة التي اختصت بإنشاء المراكب والحراريق ودار صناعة في المعمورة قرب سلا التي صارت مركزا هاما في صناعة السفن، "وأعد من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة، ما عاينته مكدساً كأمثال الجبال بما لم يتقدم الملك قبله .. ونظر في استجلاب الخيل، له من جميع طاعاته بالعدوة وافريقية، وانتخاب الأسلحة من السيوف المحلاة والرماح الطوال على أجمل الهيئات والدروع والبيضات والترسة، إلى غير ذلك من الثياب والكسا والعمائم والبرانس، ما استغربته الأذهان ولاتقدم بمثله زمان. وقسم ذلك كله على الموحدين [٢] .

أخذ ملك قشتالة ألفونسو الثامن يقوم بالغزوات والغارات المتواصلة تمهيداً للاستيلاء على مدينتى قرطبة وإشبيلية، فقام الولاة الموحدون بشحن المدن بالمقاتلين ، ونجحوا فى صد هجومه سنة (٥٧٨ هـ/١١٨٢م) [٣] .

أخذت مملكة قشتالة منذ سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) تقوم بغزوات مكثفة على الأندلس ونجحوا فى الاستيلاء على بعض الحصون وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأبناء، ونتيجة لذلك عبر الخليفة المنصور بجيوشه سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، فبعث ألفونسو السفراء يعرض الصلح مع الخليفة، فاستجاب الخليفة وعقد معاهدة صلح مدتها خمس سنوات، واسترد المنصور مدينة شلب، وقسر أبى دانس من مملكة البرتغال، وعاد إلى مراكش أواخر سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) فنقض ملك قشتالة المعاهدة وهاجم جنوب الأندلس[٤] ،فتوالت كتب أهل الأندلس، وقادة الثغور، على الخليفة المنصور باشتداد وطأة العدو، وتفاقم غاراته. وكان ألفونسو الثامن ملك قشتالة، قد بعث مطران طليطلة مارتن لوبث في حملة تخريبية محضة إلى أراضي الأندلس، عاثت فيها أشد عيث، واستولت على كثير من الغنائم والماشية. فرفعت هذه المخاطبات والأنباء كلها إلى المنصور، وهو في مكناسة يستعد للسير إلى إفريقية فأقلقته وأهمته، ورأى عندئذ أن يُعدل خطة

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص٢٠١.
(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص١٤٧، ١٤٨ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ق٣، ص١١٨؛ هشام أبو رملية : علاقة الموحدين، ص٢٥٤ . .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٧، ص٥؛ السلاوى : الإستقصا، ج٢، ص١٨٥؛ .

سيره، فأمر بأن تُبعث الأمداد إلى ولاة إفريقية، وأن تعد العدة للسير إلى الأندلس، فاشتدت الحركة عندئذ، وأقبلت الحشود من كل صوب، وكانت رغبة المجاهدين في العبور إلى الأندلس أشد لقربها، وتيسير المؤن والأقوات بها، وأرسل ألفونسو رسالة للخليفة يتهدده فيها ويطالب الخليفة بالتنازل عن بعض الحصون الأندلسية المتاخمة لملكه، وأرسال كتابا يتوعد فيه الخليفة ويد عوه للاقتتال يتحداه فيه بأسلوب يفيض غروراً ووقاحة، أن يأتي لقتاله، فإن جبُن أو عجز، فليرسل إليه السفن ليجوز فيها إليه، ويقاتله في أعز مكان لديه، فكتب على ظهر الكتاب" ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ(١) " الجواب ما ترى لا ما تسمع(٢) .

موقعة الأراك واستنقاذ الأندلس (٥٩١هـ/ ١١٩٥ م)

أَمر الخليفة المنصور بالإستنفار واستدعاء الجيوش من الْأَمْصَار، و بحشد المطوعة واستنفار الجنود، وعبر الخليفة فى شهر (جمادى سنة ٥٩١هـ/ يونيه ١١٩٥ م) والجيوش تتَابع فِي أَثَره من سَائِر الأقطار، ثمَّ نَهَضَ إِلَى الْعَدو قبل أَن تخمد قرائح الْمُجَاهدين وتضعيف نياتهم فَسَار حَتَّى بَقِي بَينه وَبَين حصن الأرك الَّذِي كَانَ الْعَدو نازلا بإزائه نَحْو مرحلَتَيْنِ فَنزل هُنَالك وَذَلِكَ يَوْم الْخَمِيس ثَالِث شعْبَان من السّنة فَجمع النَّاس ذَلِك الْيَوْم وفاوضهم ووعظهم ثمَّ اخْتصَّ أهل الأندلس بالمشورة، و اعتمد الخليفة المنصور على نصح ابن صناديد قائد الأندلس ومشورته، حيث أبدى رأيه للخليفة بأنه يجب أن يبدأ المعركة باشتباك سائر حشود الأندلس وقبائل العرب وسائر قبائل المغرب من زناتة والمصامدة وغيرهم وجند المتطوعة، وأن ينتظر الخليفة فى المؤخرة ومعه جيوش الموحدين والعبيد والحشم فى موضع مستور، فإن أسفرت المعركة عن انتصار المسلمين فيها، وإن أسفرت عن هزيمتهم، فعندئذ يبادر الخليفة فى قواته إلى

(١) سورة النمل : الأية ٣٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج١١، ص١٣٢- ١٣٤؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص١٩٧ . .

لقاء العدو، وليحمى ظهور المسلمين، ويكون عندئذ قد خبت قواه، فيكون النصر للمسلمين، وأن الخليفة قد أعجب بهذا الرأى وقرر اتباعه[١] .

سمع الأدفنش –لعنه الله– بقصده، فتجهز هو أيضًا في جموع ضخمة؛ والتقوا بموضع يعرف بـ فَحْص الحديد؛ وكان الأدفنش قد جمع جموعًا لم يجتمع له مثلها قط، ونشبت المعركة يوم الأربعاء (٩شعبان ٥٩١هـ/ ١٩ يوليو ١١٩٥م) وكانت جيوش الموحدين تزحف وقد عبئت للهجوم أكمل تعبئة، وقام القشتاليون بالهجوم و تركز هجومهم على قوات القلب التي يقودها القائد العام أبو يحيى، معتقدين أنه هو الجناح الذي يقوده الخليفة، وكان المنصور قد أمر بالفعل بأن ترفع الأعلام الخليفية على القلب، فقاتل أبو يحيى وجنوده أشد قتال، ولكن الصدمة كانت عنيفة، فقتل أبو يحيى، وقتل معه جماعة من من هنتانة، والمطوعة وغيرهم. وعندئذ تقدمت قبائل العرب والمطوعة والأغزاز والرماة، وأحاطوا بالنصارى من كل جانب، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس إلى المعركة وزحفت بجملتها نحو محلة القشتاليين، واشتد القتال بين الفريقين، حتى اضطر القشتاليون إلى التقهقر والفرار نحو الربوة التي تحتلها محلتهم، وبدت بوادر الهزيمة على القشتاليين، ودامت المعركة من ضحى اليوم حتى غروب الشمس، وأسفرت عن قتل جموع عظيمة من النصارى، واستطاع ملك قشتالة أن يفر في نحو عشرين فارساً من أصحابه، فسار تحت جنح الليل صوب طليطلة لا يلوي على شيء، واعتصمت معظم فلول النصارى بحصن الأرك، وأحاط المسلمون بحصن الأرك، يظنون أن ألفونسو الثامن قد اعتصم به، ولكن تبين أنه قد لاذ بالفرار من أحد أبوابه الخلفية، فدخل المسلمون الحصن عنوة، وأضرموا النار في أبوابه، واحتووا على جميع ما فيه، وما في محلة النصارى، من الذخائر والأسلاب والسلاح والمتاع والدواب والنساء وكان عدّة من قتل من الفرنج – فيما قيل – مائة ألف وستّة وأربعين ألفاً، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً، وعدّة الخيام مائة ألف وستّة وخمسين ألف خيمة، والخيل ثماني ألفاً، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفّر لحمل أثقالهم لأنّهم لا إبل

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ج ٢، ص١٦٧- ١٦٩، أشباخ، تاريخ الأندلس، ج ٢، ص٨٤.

لهم، وأمّا الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع (١) .

كان انتصار الموحدين في معركة الأرك، يرجع فضلا عن تفوقهم العددي، إلى عدة أسباب، روعي تحقيقها لأول مرة في الغزوات الموحديةوأولها وأهمها العناية بالمحافظة على نظام الجيش، وتوفير تموينه ومؤنه بصورة مؤكدة، وتقسيم حشوده، وتنظيم قياداته، وتعيين قائد عام يشرف على هذه القيادات، واعتماد الخليفة على مشورة قواده، ثم مراعاة الحزم والسرعة في تحرك الجيش، واعداده لضرب العدو على الفور. فهذه الميزات التي روعي تحقيقها في الجيش الموحدي، كانت كفيلة بأن تحقق له الظفر في معركة الأرك، وأن تجنبه تلك المفاجآت السيئة، التي أصيب بها في غزوة وبذة، ثم بعد ذلك في نكبة شنترين(٢)

وترتب على موقعة الأراك نتائج محدودة للغاية لا تتناسب مع الانتصار الكبير الذى حققه الموحدون ،حيث لم يتم استغلال هذا الانتصار الكبير فى استرجاع الأراضى الإسلامية ولكنه قضى على قوة مملكة قشتالة إلى حد كبير ، وألقت الرعب والفزع فى قلوب الممالك النصرانية .

هزيمة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)

اتفق ملك قشتالة وملك ليون على غزو الأندلس والتعاون على قتال المسلمين سنة (٥٩٣هـ/١١٩٧م)، وتحرك بقواته وفرسانه لغزو الأندلس سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) فانتسف الحقول ونهب القرى وخرب الضياع وقتل المسلمين، وبلغ الخليفة الناصر أخبار هذه الغزوات، فاستنفر المسلمين للقيام بالجهاد، وألزم كل قبيلة من قبائل العرب بحصة من الخيل والرجال، فتقدمت عليه الجيوش من سائر الأقطار، وعبر الخليفة الناصر إلى الأندلس فى سنة (٦٠٧هـ/١٢١١م)، فتلقاه وفود الأندلس والفقهاء والولاة فى جزيرة طريف فى جيوش ضخمة،

(١) المراكشى : المعجب، ص ٢٠٦-٢١٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٧، ص٧؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٢٣٣؛ المقرى : نفح الطيب، ج١، ص ٤٤٣؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص١٩٦ – ٢١٤؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ج ٢، ص١٦٧- ١٦٩، أشباخ، تاريخ الأندلس، ج ٢، ص٨٤.
(٢) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص ٢١٤.

وقدرت الروايات عدد جيش الخليفة الناصر بستمائة ألف مقاتل، مما أثار الرعب فى قلوب النصارى، ونجح فى الاستيلاء على قلعة شلبطرة بعد حصار استمر ثمانية أشهر، وخصوصا أن شلبطرة اتخذها النصارى قاعدة عسكرية لهم بعد أن فقدوا قلعة رباح سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٥ م) يغزون منها أراضى الأندلس، فأصر الخليفة على إحتلالها

فنجد أن الخليفة حاد عن هدفه الأساسى، واستنفذ منه حصار شلبطرة الزاد والأقوات، وأنقطعت الأقوات عن المحلة فأرتفعت فيها الأسعار ، وانعدمت العلوفات ،ودخل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى إشبيلية [١] .

فى هذه الأثناء كان ألفونسو الثامن يسعى لتنظيم حملة صلبية فى أنحاء أسبانيا النصرانية وأوربا، منتهزا فرصة انشغال الموحدين بحصار قلعة شلبطرة التى علق عليها أسقف طليطلة قائلا " إن الله أنقذ بهذه القلعة أرض قشتالة الواسعة "، وعقد ألفونسو الثامن مؤتمرا فى مدينة قونقة لتوحيد الجهود ضد المسلمين، وأعلن الحرب الصلبية فى إسبانيا وأطلق حملته المشهورة " كلنا صلبيون " فأخذ النصارى المتطوعون يفدون تباعاً على مدينة طليطلة يقودهم رجال الدين، وأنذر البابا أنوسنت الثالث بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسى على كل أمير يتأخر عن مساعدة ملك قشتالة، وأعلن البابا الحرب الصلبية فى أوربا، وجمع ملك قشتالة قواته وجميع القوات التى حضرت لمساعدته فقسمها إلى ثلاثة جيوش، يتألف الأول من الصلبيين المتطوعين وكان عددهم (١٦٠ ألف مقاتل) والجيش الثانى من قوات مملكة أرغونة وقطالونيا وفرسان الداوية، والجيش الثالث يتالف من قوات قشتالة وليون ومملكة البرتغال وعدده أكثر من ثلاثين ألف فارس، وسارت هذه الجيوش من مدينة طليطلة فى (١٧ محرم سنة ٦٠٩هـ/ ٢٠ يونيه ١٢١٢م) وقاموا بحصار قلعة رباح المكونة من سبعين فارساً الذى أرسل فى طلب النجدة من الخليفة الناصر ولكن دون جدوى، فعرض على النصارى تسليم القلعة بالأمان، فوافق ملك قشتالة

(١)ابن خلدون : تاريخه، ج٦، ص٣٣٥؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٣٤٤؛ السلاوى : الإستقصا، ج٢، ص١٩٨؛ .عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص٢١٤.

أن يغادر القلعة بلا سلاح، وواصل النصارى تحركاتهم حتى وصلوا حصن أبدة فضربوا فيه معسكرهم(١) .

تحرك الخليفة الناصر شمالاً بجيوشه لمواجهة النصارى، وكان يتألف من خمسة أقسام يضم القسم الأول طوائف العرب، والقسم الثانى يضم القبائل المغربية، والثالث يضم المتطوعة وكان عددهم مائة وستين ألفاً بين فارس وراجل ، والقسم الرابع يضم قوات الموحدين النظامية، والقسم الخامس يضم الجند الأندلسى، وكان عدد الرجال المحشودين ثلاثمائة ألف راجل، وكان عدد العبيد الذين يمشون بالحراب ثلاثين ألف عبد، وكان عدد الرماة والأغزاز عشرة ألاف عبد، هذا علاوة على جند الموحدين وزناتة والعرب

ونظم الموحدون قواتهم وجعلو المتطوعة جملة واحدة فى المقدمة، واتخذ الموحدون أمكانهم فى القلب، والجند الأندلسى اتخذوا أماكنهم فى الجناح الأيمن، واتخذت القبائل البربرية مكانها فى الجناح الأيسر، وضرب الخليفة الناصر قبته الحمراء على ربوة عالية ليشرف على القتال (٢)

نشبت المعركة بين الجانبين يوم الإثنين (١٥صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٩ يوليو ١٢١٢م)، وقام النصارى بالهجوم فتصدى لهم المتطوعة فاقتتلوا قتالاً عظيماً وفنى المتطوعة عن آخرهم، وواصل النصارى الهجوى على قلب الجيش الموحدى وتمكن الجيش الموحدى من ردهم ولاح النصر للمسلمين، فلما رأى ملك قشتالة ذلك اندفع بقواته وقوات مملكتى ليون والبرتغال، واندفع وراءه ملكا أرغونة ونبرة فى قواتهما، فوقعت الهزيمة على جناحى الجيش الموحدى، ولاذ الجند الأندلسى والعرب بالفرار، فتركز هجوم النصارى على القلب فأوعوا به الهزيمة، واخترقوا دائرة حرص الخليفة فوقعت الهزيمة على الموحدين، واستولى النصارى على محلة المسلمين بجميع

(١) يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس، ص٣٦٦؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص٢٨٢ -٢٩٦؛ هشام أبو رميلة : علاقة الموحدين، ص٢٨٥-٢٩٠.
(٢) السلاوى : الإستقصا، ج٢، ص٢٢٠، ٢٢١؛ يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس، ص٣٦٦ ،٣٦٧

محتوياتها، إن نقلها يحتاج إلى ألاف الدواب،و قضت هذه الهزيمة نهائياً، على سمعة الموحدين العسكرية في شبه الجزيرة [١] .

ويسوق أحد الباحثين الأسباب المادية والمعنوية، التي أدت بالجيش الموحدي إلى تلك الكارثة

- **اختلال نظام الجيوش الموحدية الكبيرة العدد، وعدم اتساق تنظيماتها، وتنافر العناصر المكونة منها، وعدم توحيد قيادتها بأيدى قادة يتسمون بالبراعة العسكرية.**
- **اختلال نظام التموين بها، نظراً لابتعادها عن قواعدها مسافات شاسعة.**
- **سخط الموحدون على الوزراء والقادة، وذلك بسبب حبس أعطيتهم وتأخرها، فنسب الجند أسباب التأخير للوزارة، وخرجوا إلى الغزو وهم كارهون، وقد خبت قواهم المعنوية، وهكذا خرج الناصر إلى الغزو " بحشود لا غرض لهم في الغزو، وقد أمسكت أرزاقهم، وقتر عليهم ". ويقول لنا المراكشي فضلا عن ذلك، أنه بلغه من جماعة منهم " أنهم لم يسلوا سيفاً ولا شرعوا رمحا، ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال، بل انهزموا لأول حملة الإفرنج عليهم، قاصدين لذلك "**
- **قتل الخليفة الناصر للقائد الأندلسي الباسل ابن قادس قائد قلعة رباح هو وصهره، دون أن يستقبله أو يستمع إلى عذره.**
- **إهانة الوزير أبي سعيد بن جامع للقواد الأندلسيين وإنذارهم بمغادرة الجيش، وقد كان لهذه الحوادث أسوأ وقع في نفوس الأندلسيين، وفي تثبيط همتهم في القتال، وكان الأندلسيون بالرغم من قلتهم العددية، عنصراً هاما في جيوش الغزو الموحدية المقاتلة بالأندلس، لأنهم كانوا أكثر خبرة بقتال النصارى الإسبان، وأكثر دراية بطريقتهم في الحرب**

(١)المراكشى : المعجب، ٢٣٥، ٢٣٦ ؛ ابن أبى زرع : روض القرطاص، ص١٥٨؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ٣١٦- ٣٢١.

- **ما أبداه الناصر من العُجب والاعتداد بكثرة جموعه، واعتماده على تفوقه العددي البالغ، والتقليل من شأن العدو، و الرعونة، وعدم الحرص والتحوط في لقاء العدو .**
- **ترى بعض الروايات الإسلامية أن نكبة الناصر في العقاب كانت عقوبة من الله على ما أبداه من العجب والاعتزاز بكثرة جموعه، واعتقاده أنه لا غالب له من الناس** (١) .

أهتمام خلفاء الموحدين بالعمارة

✓ اهتم الامراء العرب بالعمارة اهتماماً كبيرا ،فأولوها عنايتهم واهتمامهم ،وتفننوا في انشاء المساجد والقصور ،والعمارة في العصر الموحدي قد تأثرت كثيرا بمبادئ الموحدين في الزهد والتقشف ، فكان الموحدون في عصر عبد المؤمن يتحرجون من الغلو في الزخرفة ، حيث كان فن بناء يتسم بالمتانة ، والخلو من التعقيد الزخرفي ، سيرا على منهج ابن تومرت في التقشف والزهد.

وتعددت منشآت الموحدين الدينية في مختلف بلدان المغرب بل وحتي الاندلس، فنجد ان يوسف ابن عبد المؤمن الذي كان يحب العمارة والبناء نجد انه اكثر من اعماله الفنية في الاندلس ، فهو الذي انشاء قنطرة "طريانة" ومسجد اشبيليه الأعظم وصومعتهلتي اكملها ابنه يعقوب ، وما تزال هذه الصومعة بجمالها وسموها ودقه زخارفها وفي تناسق بنيانها تثير إعجاب المسلمين والمسيحيين على السواء فهي بحق تمثل اسمى ما وصل اليه الفن الموحدي من التقدم والرقي

➢ لقد ترك الموحدون خلفهم آثار رائعة تدل على عظمتهم ورقيهم ، وليس في بلاد المغرب كلها آثار تعادلوا في الكثرة والعظمة والجمال بنوا في مدينه الرباط وحدها اربعه وسبعين برجا.

(١) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٥، ص ٣١٨.

اهم منشآت الموحدين :

لا شك ان الموحدين اولو المنشآت الدينية اهتماما خاصا وعنايه كبيره، وخلفوا آثارا ً عظيمةً ومساجد رائعة فمن أهم المنشآت الدينيه في عصر الموحدين:

1 - جامع تازا.

2 -جامع الكتيبة بمراكش.

3 -جامع تنميل.

4 -جامع حسان و منارته بالرباط.

5 -جامع القصبة بمراكش.

6 -جامع الاندلس بفاس.

7 -جامع القصبة الكبير بأشبيلية.

اولا : مسجد تازا

هذا المسجد بناه عبد المؤمن بن علي الموحدي سنه ٥٢٩ هجريه وكان معروفا بحبه للتعمير والبناء فكان هذا المسجد أول اعماله في مجال العمارة وهذا المسجد يشبه في تخطيطه تخطيط المسجد الجامع بتنميل كل الشبه.

ثانيا : جامع الكتيبة بمراكش

بني هذا الجامع الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي سنه ٥٤١ هجريه وهو ثاني مسجد يقوم بإنشائه بعد مسجد تازا ويعد هذا الجامع من اروع ما انشائه الموحدون في المغرب وهو يقوم في مراكش وقد أنشأه عبد المؤمن بعد أفتاه الفقهاء بأنشاء مسجد آخر لأن الموحدين اعتبروا مراكش مدينه يجب تطهيرها من اثار المرابطين المُجَسِّمة فقام عبد المؤمن بإنشاء هذا المسجد.

وتتجلى في هذا المسجد بوضوح التأثيرات الأندلسية في الفن الموحدي، وقد نقل اليه عبد المؤمن من منبرا عظيما كان قد امر بصنعه في الأندلس من العود والصندل الاحمر والاصفر، وصفائح من الذهب والفضة واقام للمسجد مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تَسعْ أكثر من ألف رجل وكان الذي تولى صنع المقصورة والمنبر الحاج يعيش المالقى.

وتعتبر مناره الجامع الكتيبة التي بناها يعقوب المنصوري من أجمل الآثار التي خلفها الموحدون وتتألف هذه المنارة من طبقات من الغرف المقوسة السقوف أو الحنايا يصل بينها درج لا مرقاه به ويوصل هذا الدرج الى الجزء الاعلى من مناره جامع الكتيبة وهذه النقوش الدقيقة قد صممت على شكل الازهار وسعف النخيل وتعلو القاعدة السادسة قبة مثمنه الشكل ذات اضلاع و مقرنصات تكون مجموعه هندسيه بديعه.

ويعد جامع الكتيبة أروع مسجد بناه الموحدون في المغرب وقد أقام عبد المؤمن جامع آخر للكتيبة خلافاً لجامع الكتيبة الأول و يغلب على الظن أن الجامع الأول كانت قبلته منحرفة عن الإتجاه الصحيح نحو مكة فكانت تميل كثيراً إلى الشرق فأضُطرَ عبد المؤمن إلى بناء جامع آخر صحيح القبلة إلى الجنوب من الجامع الأول وهدم الجامع الأول وقد بنى المسجد الثاني سنة ٥٥٣ هـ ، ويعلو أسكوب المحراب بهذا المسجد خمس قباب ، ومِئذنة الجامع تنتصب في الركن الشمالي الشرقي للجامع بين الجامع القديم والجامع الحالي وتعتبر هذه المئذنة بحق من روائع فن العمارة الإسلامية على الرغم من بنائها بقطع الحجارة غير المهذبة ويبلغ إرتفاع المئذنة ٥٧,٥ مترا حتى نهاية التفافيح الثلاثة المتوجهة لقبتها ، وطول كل جانب منها ١٢,٥ متراً.

ثالثا : جامع تنميل

كانت تنميل تحظى بمكانة خاصة عند الموحدين ، حيث اختارها المهدي بن تومرت مركزاً لدعوته وهي تضم رفات المهدي وعبد المؤمن وأبي يعقوب وأبي يوسف يعقوب المنصور وبعد اتساع نفوذ الموحدين وكثرة حشودهم لم تعد تتسع لهم فقام المهدي بتوسيعها وبنى فيها جامعاً وبعد أن فتح عبد المؤمن مراكش اتخذها عاصمة لدولته ففقدت تنميل مكانتها السياسية ، ولكنها ظلت تحتفظ بمكانتها الروحية

عند الموحدين ، وقام عبد المؤمن الموحدي ببناء جامع تنميل مكان الجامع القديم الذي بناه المهدي ، وقد بنى هذا المسجد في سنه ٥٤٦ هـ ومساحته مستطيلة طولها ٤٨متراً وعرضها ٤٣,٦٠ متراً ، وللمسجد سبعة أبواب ، تتميز بأن مداخلها ـ باستثناء الباب الشمالي ـ تقع بين كتلتين بارزتين من البناء .

رابعاً : جامع ومنارته بالرباط حسان

هذا المسجد بناه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في مدينة الرباط ، فكان مسجداً عظيماً متسع الفناء ، له مئذنة شامخة على هيئة منارة الاسكندرية ، يصعد اليها بغير درج ،وتسمى الان منارة حسان ، وقد فرغ من بنائه سنة ٥٩٣هـ /١١٩٧م.

خامسًا: جامع القصبة بمراكش

بناه المنصور في مراكش ، وتصميمه غريب الشكل فصحنه عظيم الإتساع بالنسبة لبيت الصلاة الذي يضم ١١ بلاطة عموديه على جدار القبلة ، تخترقها ثلاثة أساكيب ويقوم على أسكوب المحراب ثلاث قباب ، و محراب الجامع يقوم على عضادتين ، ومئذنة الجامع ليست في كبر صومعته الكتيبة ، ومزدان الصومعة ـ ابتداء من ارتفاع السطح ـ بشبكه زخرفيه من الفصوص المتقاطعة ، مؤلفه من شبكة رائعة من زهرة الزنبق ، ويعلو المئذنة بيت للمؤذن ، تسقفه قبه مفضضة.

سادسا : جامع الاندلس بفاس

سمي جامع الأندلس ؛ لأن جماعة من أهل الأندلس كانوا يعيشون حوله وساهموا في بنائه وبدأ بناءه سنه ٢٤٥ هـ وهو العام نفسه الذي بنى فيه جامع القرويين وقد ظل دون إهتمام حتى تولى محمد الناصر فأعاد بناءه.

سابعاً : جامع القصبة الكبير بأشبيلية

بدأ في بنائه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٦٧ هـ في الاندلس وقد جمع هذا المسجد بين بساطة الفن الموحدي والفن الزخرفي الأندلسي وهو الوحيد في الأندلس من مساجد الموحدين الذي لا تزال آثاره باقيه وهو يدل على مدى تأثر الفن الموحدي بالفن الاندلسي ، وتتجلى في هذا المسجد مدى روعه الفن الموحدي والفن والاندلسي ، و مدى ترابطهما ولما انتصر يعقوب المنصور على نصار الأندلس في

موقعة الأرك أكمل بناء الجامع الأعظم بمدينه اشبيليه وشيده به مناره عظيمه قيل إنه ليس في بلاد الاسلام مناره أعظم منها .

ضعف دولة الموحدين وسقوطها

ضعف الخلفاء الذين تولوا بعد "محمد الناصر" وزيادة نفوذ الإدارة والولاة و أول هؤلاء الخلفاء الضعاف هو " أبو يعقوب يوسف بن محمد الناصر" ٦١٠ هـ في عهده انتشرت الفتن وساده القلاقل البلاد وكثر الخارجون عليه في مدن شتى، ولما مات اضطرب الامن وعم البلاد جو من الفوضى.

٢- ولقد اعان على انهيار دولة الموحدين عامل الضعف الحربي والسياسي ، الذي اصيبت به الدولة على إثر هزيمة" العُقاب" التي أشرنا اليها ، فقد توسع النصارى بعد هذه الموقعة في الأراضي الأندلسية.
٣- الاضطراب الذي أحدثته العرب الهلالية في الدولة ، وغاراتهم المستمرة في بلاد المغرب .
٤- فوضى الادارة ،وتفكك القبائل الموحدية ،مما أضعف سلطانهم .
٥- ظهور الدويلات المناوئة في طول البلاد وعرضها، فقد نهض بنو حفص في تونس ،وبنو زيان في تلمسان ، وبنو مرين في فاس ،وهؤلاء الأخيرون هم الذين قضوا على الموحدين ،بعد ان تمكنوا من احتلال مدينة مراكش العاصمة عام ٦٦٨هـ ،وبذلك زالت الدولة الموحدية من الوجود نهائياً.
٦- ولا ننسى في نهاية المطاف ان ننوه بعامل اجتماعي كان له تأثير شديد على قوة الدولة وجنودها ، وهو شيوع الترف والملذات واللهو والعبث، تماما كما وصل إليه الحال من قبل عند سلفهم المرابطين ، وهكذا نفض الجيش ـ وهو قوام الدولة ـ يده من المبادئ العسكرية ، وخشونة العيش التي كانوا يتحلون بها.

ملاحق الكتاب

خلفاء الدولة الأموية

م	اسم	مدة الحكم بالسنوات الهجرية	مده الحكم بالسنوات الميلادية
١-	سيدنا معاوية بن أبي سفيان	(٤١هـ-٦٠هـ)	(٦٦١م – ٦٨٠م)
٢-	يزيد بن معاوية	(٦٠هـ - ٦٤هـ)	(٦٨٠م – ٦٨٣م)
٣-	معاوية بن يزيد	(٦٤هـ - ٦٤هـ)	(٦٨٣م – ٦٨٤م)
٤-	مروان بن الحكم	(٦٤هـ - ٦٥ هـ)	(٦٨٤م – ٦٨٥م)
٥-	عبد الملك بن مروان	(٦٥هـ - ٨٦هـ)	(٦٨٥م – ٧٠٥م)
٦-	الوليد بن عبد الملك	(٨٦هـ - ٩٦هـ)	(٧٠٥م – ٧١٥م)
٧-	سليمان بن عبد الملك	(٩٦هـ - ٩٩ هـ)	(٧١٥م – ٧١٧م)
٨-	عمر بن عبد العزيز	(٩٩هـ-١٠١ هـ)	(٧١٧م – ٧٢٠م)
٩-	يزيد بن عبد الملك	(١٠١هـ - ١٠٥ هـ)	(٧٢٠م – ٧٢٤م)
١٠-	هشام بن عبد الملك	(١٠٥هـ - ١٢٥هـ)	(٧٢٤م - ٧٤٣م)
١١-	الوليد بن يزيد	(١٢٥هـ - ١٢٦هـ)	(٧٤٣م – ٧٤٤م)
١٢-	يزيد بن الوليد	(١٢٦هـ - ١٢٦هـ)	(٧٤٤م – ٧٤٤م)
١٣-	إبراهيم بن الوليد	(١٢٦هـ - ١٢٧هـ)	(٧٤٤م – ٧٤٤م)
١٤-	مروان بن محمد	(١٢٧هـ - ١٣٢هـ)	(٧٤٤م – ٧٥٠م)

الخلفاء العباسيين

أبو العباس عبد الله بن محمد المعروف السفاح (١٣٢-١٣٦هـ /٧٥٠-٧٥٤م).

أبوجعفر المنصور (المؤسس الحقيقي للدولة العباسية) (١٣٦.١٥٨هـ/٧٥٤.٧٧٥م).

الخليفة المهدى بن المنصور(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م).

موسى الهادى بن المهدى(١٦٩-١٧٠هـ /٧٨٥-٧٨٦م).

هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ /٨٧٦-٨٠٩م).

محمد عبد الله الأمين(١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م).

عبدالله المأمون (ابوالعباس)(١٩٧-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م).

أبو اسحق محمد المعتصم(٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م).

هارون الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤٢-٨٤٧م).

أولا: العصر العباسى الأول

١٣٢ – ٢٣٢ هـ / ٥٧٠ – ٨٤٧ م

العباس (١)

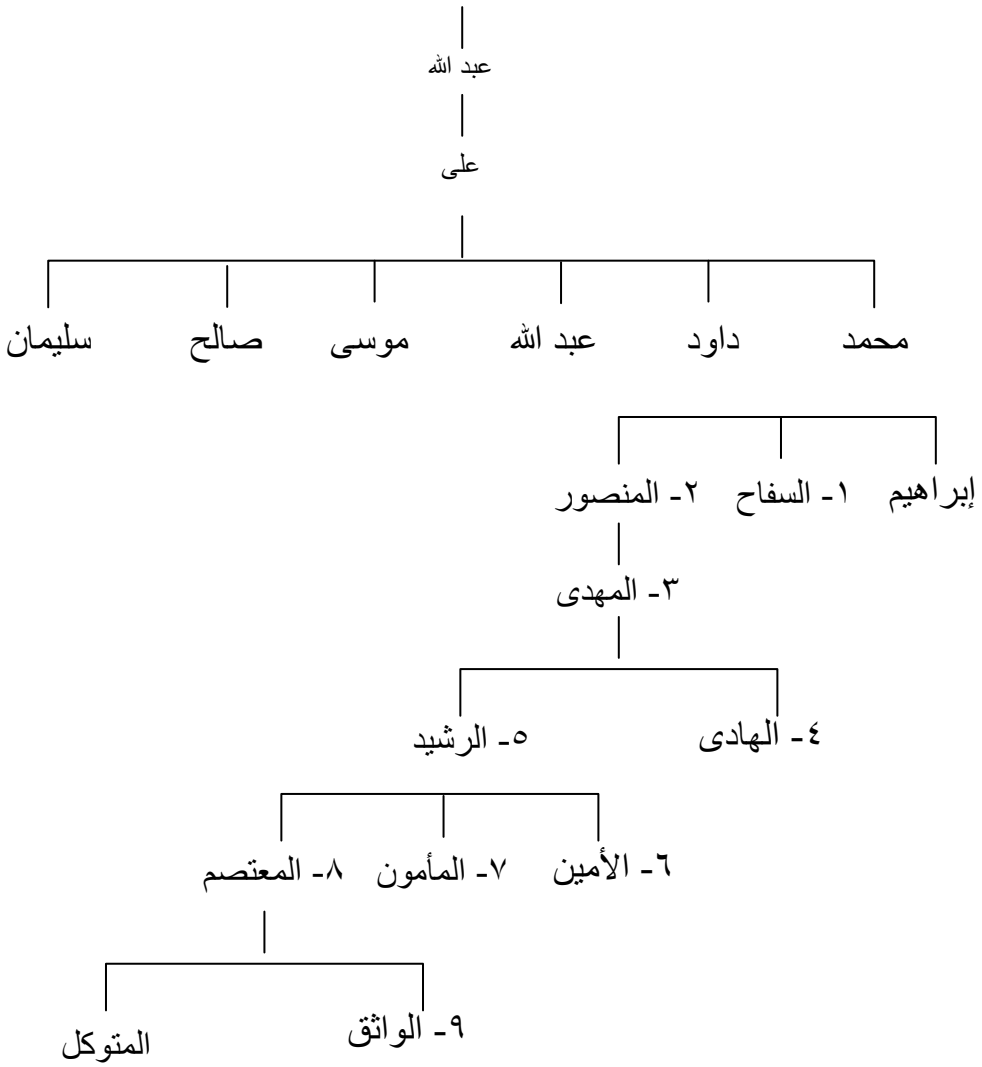

(١) على ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام (الجاهلية ، الدولة ، الدولة العباسية)، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ص ٣٣٦.

ثانيا دولة بني رستم الاباضية

(١٦١- ٢٩٦ هـ /٧٧٧- ٩٠٨م)

أمراء الدولة :

(١) عبد الرحمن بن رستم (١٦١- ١٦٨هـ /٧٧٦ ٧٨٤م)

(٢) عبد الوهاب بن الرحمن (١٦٨- ١٩٨ هـ /٧٨٤ ٨١٤م)

(٣)الأفلح بن عبد الوهاب (١٩٨- ٢٤٧هـ/ ٨١٤ – ٨٦١م)

(٤) أبو بكر بن الأفلح (٢٤٧- ٢٦٠هـ/ ٨٦١- ٨٧٣م)

(٥) محمد بن الأفلح (أبو اليقظان) (٢٦٠- ٢٨١ هـ/ ٨٧٣ -٨٩٤م)

(٦) يوسف بن محمد (أبوحاتم) (٢٨١- ٢٩٤ هـ/ ٨٩٤- ٩٠٧م)

(٧) يعقوب بن الأفلح (٢٩٤- ٢٩٦ هـ/ ٩٠٧- ٩٠٨م)

دولة الادارسة

ادريس الاول بن علي بن عبدالله بن الحسين بن الحسن(١٧٢هـ/٧٨٨م)

ادريس الثاني بن ادريس الاول.....(١٧٧هـ/٧٩٣م)

محمد بن ادريس الثاني.....(٢١٣هـ/٨٢٨م)

علي الاول بن محمد .....(٢٢١هـ/٨٣٦م)

يحيى الاول بن محمد.....(٢٣٤هـ/٨٤٩م)

يحيى الثاني بن يحيى.....

على الثاني بن عمر بن ادريس الثاني.....

يحيى الثالث بن قاسم.....

يحيى الرابع بن ادريس بن عمر.....(٢٩٢هـ /٩٠٤م)

الحسن بن قاسم.....(٣١٠هـ/٩٢٢م)

امراء متناثرون.....(٩٨٥م)

دولة الاغالبه

ابراهيم (الاول) بن الاغلب..... (١٨٤هـ/٨٠٠م)

عبد الله (الاول) بن ابراهيم..... (١٩٦هـ /٨١١م)

زياده الله(الاول) بن ابراهيم.....(٢٠١هـ/ ٨١٦م)

الاغلب السعدي بن ابراهيم..... (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)

محمد (الاول) بن الاغلب السعدي..... (٢٢٦هـ/٨٤٠م)

أحمد بن محمد الاول.....(٢٤٢هـ/٨٥٦م)

زيادة الله(الثاني) بن (محمد الاول).....(٢٤٩هـ/٨٦٢م)

محمد (الثاني) بن احمد .....(٢٥٠هـ/٨٦٤م)

ابراهيم (الثاني)ابن احمد.....(٢٦١هـ/٨٧٤م)

عبدالله(الثاني)بن ابراهيم (الثاني).....(٢٨٩هـ/٩٠٢م)

زيادة الله (الثالث)بن عبدالله(الثاني.... (من٢٩٠الى ٢٩٦هـ/من٩٠٣الى٩٠٩م)

أمراء دولة المرابطين

أبو بكر بن عمر	٤٣٨هـ/١٠٥٦م
يوسف بن تاشفين	٤٤٠هـ/١٠٨٧م
علي بن يوسف	٥٠٠هـ/١١٠٦م
تاشفين بن علي	٥٣٧هـ/١١٤٣م
ابراهيم بن تاشفين	٥٤١هـ/١١٤٦م
إسحاق بن علي	٥٤١هـ/١١٤٧م (توفي عام توليته)

خلفاء دولة الموحدين

محمد بن تومرت (المهدى) حتى سنة٥٢٤هـ/١١٣٠م

عبد المؤمن بن على من٥٢٤هـ/١١٣٠م(استولى على مراكش) حتى عام ٥٤١هـ/١١٤٦م

أبو يعقوب يوسف الأول	٥٥٨هـ/١١٦٣م
أبو يوسف يعقوب المنصور	٥٨٠هـ/١١٨٤م
محمد ناصر	٥٩٥هـ/١١٩٩م
أبويعقوب يوسف الثانى	٦١١هـ/١٢١٤م
أبو محمد عبد الواحد المخلوع	٦٢٠هـ/١٢٢٣م
أبو مجمد عبد الله العادل	٦٢١هـ/١٢٢٤م
يحي المعتصم بالله	٦٢٤هـ/١٢٢٧م
أبو العلاء إدريس المأمون	٦٢٦هـ/١٢٢٩م
عبد الواحد بن المأمون	٦٣٠هـ/١٢٣٢م
ابو الحسن على السعيد	٦٤٠هـ/١٢٤٢م
أبو جفص عمر المرتضى	٦٤٦هـ/١٢٤٨م
أبو العلاء الواثق	من ٦٦٥هـ/١٢٦٦م
إلى ٦٦٨هـ/١٢٦٩م	

https://cutt.us/p3vjN

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- **الحديث الشريف**

- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م .

- **ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى) ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م .**

- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٨٥.

- **ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم الجزرى) ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م**

- الكامل فى التاريخ ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م .

- **ابن الجوزى : (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج) ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م**

- المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩ .

- **ابن المعتز : (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م**

- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.

- **ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى) ت٥٤٢هـ/١١٤٧م .**

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٩٧م .

- **ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢**

- كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة ٢٠٠٨م .

- **ابن بطال : (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبى)**

- شرح صحيح البخارى، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض ٢٠٠٣.

- **ابن حجر : (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى) ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م**
  - الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م .

- **ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م .**
  - جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١ م .

- **ابن حماد : (محمد بن علي بن حماد)**
  - أخبار ملوك بني عبيد ، تحقيق التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ١٩٨٠م.

- **ابن حيان : (أبو مروان محمد بن خلف بن حسين بن حيان) ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م**

- المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق بيدرو شالميتا، فيديريكو كورينتى، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، مدريد ١٩٧٩.

- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الثقافة، بيروت١٩٨٣.

- **ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م**
  – المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م .

- **ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م .**
  - العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م .

- **ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .**
  - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ١٩٩٤م .

- **ابن دحية : (ذو النسبين أبى الخطاب عمر بن حسن) ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م**
  - المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى – أحمد بدوى،

المطبعة الأميرية، القاهرة١٩٤٥م .

- **ابن سعيد : (أبو الحسن على بن موسى) ت٦٥٨هـ/١٢٨٦م**
- المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٥ .

- **ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى) ت٢٨٧هـ/٩٠٠م .**
- فتوح مصر، مكتبة مدبولى، ط٢، القاهرة ١٩٩٩.

- **ابن عبد ربه : (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م**
- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٣.

- **ابن عذارى : (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشى) ت٧١٢هـ/١٣١٣م**
- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيقج ؛س ؛ كولان، ليفى بروفنسال، دار الثقافة، ط ٣، بيروت ١٩٨٣م .

ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقى) ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م

- البداية والنهاية،مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣م .

ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ت٧١١هـ/١٣١١م

- لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢.

- **أبو حاتم البستي : (الإمام أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستى) ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)**

- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق مجدى بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، .

- **أبو زكريا : (يحيى بن أبى بكر) ت٤٧١هـ/١٠٧٨م**
- سير الأئمة وأخبارهم : تحقيق إسماعيل العربى،ط٣، دار الغرب الإسلامى، بيروت١٩٨٢م .

- **الإدريسى : (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م**
- نزهة المشتاق فى إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت)
- **البكرى : (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي) ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م**

- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، دار

الكتاب الإسلامى، القاهرة (د .ت) .

- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الإرشاد ، بيروت ١٩٦٨.

- **الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت٧١٠م/١٣١٠م**

- الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت ١٩٨٠م .

- الحميرى صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار) تحقيق ليفى بروفنسال، دار الجيل، ط٢، بيروت١٩٨٨م .

- **الذهبى :(شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان) ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م**

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥.

- تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م .

- **السبتى : (محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصارى) ٨٢٥هـ/١٤٢١م**

- إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار؛ تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط٢، الرباط ١٩٨٣م .

- **السلاوى: (أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصرى) ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م**

- الإستقصا فى ألأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر السلاوى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧م، ج١، ص ١٢١.

- **السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضيري) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م**

- العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق موسى إسماعيل البسيط، (د . ت) .

- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة١٩٥٢ .

- الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م .

- **الشهرستانى : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت٥٤٨هـ/١١٥٣م**

- الملل والنحل، تحقيق محمد محمد فريد، المكتبة التوفيقية،القاهرة (د . ت) .

.

- **الصفدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م**
  - الوافى بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م.

- **الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى) ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م**
  - بغية الملتمس، تحقيق إبراهيم الإيبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨٩م .

- **الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م .**
  - تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، .

- **الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الأندلسى) ت٥٢٠هـ/١١٢٦م.**
  - سراج الملوك، دار صادر، بيروت ١٩٩٥ .

- **عبيد الله بن صالح : (عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم)** توفى حوالى القرن السابع الهجرى/ الحادى عشر الثالث عشر الميلادى .
  - فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفى بروفنسال، تعليق : حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، المجلد الثانى، مدريد ١٩٥٤م .

- **القزوينى :(زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م**
  - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت١٩٦٠.

- **القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على) ت٨٢١هـ/١٤١٨م**
  - نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، بيروت ١٩٨٠م .
  - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، ط٢، القاهرة ١٩٨٢م، .
  - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق١٩٨٧م .

- **مجهول : عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى**
  - الإستبصار فى عجائب الأمصار : تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، إدارة الشئون الثقافية العامة ، الكويت١٩٨٥ .
- **مجهول : (ألف كتابه سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)**
  - مفاخر البربر : دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبى رقراق، الرباط ٢٠٠٥ .

- **المراكشى : (محى الدين عبد الواحد بن على التميمى) ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م**
  - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣.
- **المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ت ٣٨٨هـ٩٩٧م**
  - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة، دمشق١٩٨٠.
- **المقدسى : (المطهر بن طاهر) ت ٥٠٧هـ/١١١٣م**
  - البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د . ت).
  - نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت١٩٦٨ .
- **المقريزى : (تقى الدين على بن أحمد المقريزى) ت ٨٤٥/ ١٤٤١م**
  - المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩١م، .
- **الونشريشى : (أحمد بن يحيى) ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م**
  - المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ، تحقيق محمد حجى وآخرون ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣م .
- **ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م**
  - معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م .

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت٢٨٤هـ/٨٩٧م

البلدان ، مطبعة ليدن ١٨٩١م .

المراجع العربية

- **إبراهيم القلا :**
  - تاريخ مصر الإسلامية وجوانب من حضارتها منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى (٢٠ – ٥٦٧هـ/ ٦٤٠– ١١٧١م دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠١م.
  - نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م
- **أحمد مختار العبادى:**
  - فى تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٥.
- **حسن إبراهيم حسن:**
  - سيرة عمرو بن العاص ، دار ابن خلدون ، ط ٢، الإسكندرية ١٩٢٤ م .
- **حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف**

- عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧م .

- **حسن الباشا :**
- الألقاب الإسلامية، الدار الفنية،القاهرة ١٩٨٩ م.

- **حسين مؤنس:**
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ط ٢، مكتبة مدبولى،القاهرة١٩٨٦ م .
- فجر الأندلس، دار العصر الحديث ، دار المناهل ، بيروت – لبنان ٢٠٠٢ م
- موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦ م.
- أطلس تاريخ الإسلامى ، دار الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٩٨٧ م .

- **خير الدين الزركلى :**
- الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢ م.

- **السيد عبد العزيز سالم:**
- المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٦ م، ج ٢، ص ٦١

- **صابر محمد دياب:**
- بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٢ م.

- **الصَّلاَّبيَّ :**
- الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتدعيات الإنهيار، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ .
- فقه التمكين عند دولة المرابطين، دار إقرا ، القاهرة ٢٠٠٦ م.

- **عبادة كحيلة:**
- الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥ .

- **عبد العزيز فيلالي :**
- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية فى الأندلس ودول المغرب، ط٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩ .

- **عبد الله عنان:**
- دولة الإسلام فى الأندلس، مكتبة الخانجى، الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، القاهرة ٢٠٠٣م .
- تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م .

- **محمد عيسى الحريرى:**
- الدولة الرستمية فى المغرب الإسلامى، دار القلم ، ط ٣ ، الكويت ١٩٨٧.

- **محمود شيت خطاب:**
- قادة فتح الأندلس، دار منار للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣ م.

المراجع المترجمة

- **ألفرد ج ؛ بتلر :**

- فتح العرب لمصر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، المركز العربى للنشر والتوزيه ، ط٢، القاهرة (د . ت) .

- **أرشبالد لويس :**
- القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د . ت) .

- **جوزيف رينو :** الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ترجمة : إسماعيل العربى، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٤.
- **ديونسيسيوس أجيوس :**
- التاثير العربى فى أوربا، ترجمة : قاسم عبده قاسم، عين للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م .
- **ستانلى بول :**
- العرب فى أسبانيا، ترجمة على الجارم ، دار المعارف، ط ٩، القاهرة ١٩٦٠م .

- **فلهاوزن يوليوس :**
- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨م.

- **كي لسترنج :**
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرامسيس – كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت ١٩٨٥م .

- **ول ديورانت :**
- قصة الحضارة، ترجمة : زكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م .

الدوريات العلمية .

- **أحمد مختار العبادى :**
- سياسة الفاطمين نحو المغرب والأندلس : مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، العدد الخامس، مدريد١٩٥٧م .
- **أميرة بنت أحمد الجعفرى :**
- سياسة الدولة الأموية فى إدارة الثغور الأندلسية، مجلة المؤرخ العربى، عدد (١٤) القاهرة ٢٠٠٦ .
- **عبد الله بن سليمان المنيع :**
- تحويل الموازين والمكاييل الشرعية الى المقادير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد التاسع والخمسون الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١٨٤ .
- **منيرة بنت عبد الرحمن الشرقى :**

- اللباس الزينة فى إفريقية فى القرن الثالث الهجرى، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو ٢٠٠٦.

المواقع الإلكترونية

- https://2u.pw/sBIC6
- https://cutt.us/p3vjN
- https://cutt.us/hHniP